الشعر في
العصر المملوكي والعثماني

أحداث العصر – الشعراء – مختارات من الشعر

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٨١١.٠٠٩	متولي، نعمان عبد السميع .
م . ن	الشعر في العصر المملوكي والعثماني أحداث العصر - الشعراء – مختارات من الشعر / نعمان عبد السميع متولى.- ط١.- دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،
	٣٢٠ ص ؛
	تدمك : ٢ – ٤٦٢– ٣٠٨ – ٩٧٧ – ٩٧٨
	١. شعراء العربي – تاريخ – العصر المملوكي والعثماني
	أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٧٥٥٥

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة
هاتـف. فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - هاتف: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٢٠٢٣
E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

٢٠١٥

فهرس الموضوعات

مقدمة

في هذا الجزء نتناول شعر فترة الحكم المملوكي والعثماني ، وقد وسم النقاد عبر عصور مختلفة عصر المماليك بعصر الضعف وانهيار الأدب شعره ونثره وحقيقة الأمر لم يكن العصر المملوكي عصر تخلف عقلي أو وجداني ، قد يكوم عصر ضعف اقتصادي وسياسي ، لكنه لم يكن عصر انحطاط علمي أو أدبي – كما يزعم البعض – فقد شهد نشاطا ثقافيا رائعا ، ودليل ذلك ما ظهر فيه من مؤلفات وموسوعات ومراجع في مختلف العلوم والفنون ندين لها بالفضل في وقتنا الحاضر فقد عشنا ننهل منه وما زلنا ننهل ونعيش على ضياء ما أبدع مؤلفو العصر المملوكي ، ونحن نعتقد أنه لولا تشجيع علماء وسلاطين المماليك ما أقدم هؤلاء المبدعون على إبراز نتاجهم لذلك في يقيني أن العصر المملوكي مفترى عليه .

على أية حال فقد عرضنا في القسم الأول من الكتاب لأحداث العصر المملوكي وقيام دولة المماليك وما عاصرها من أحداث حتى سقوطها ، كما تناولنا أبرز شعراء المماليك ونماذج من شعرهم .

وفي هذا المؤلف تناولنا العصر العثماني ، قيام الدولة وسقوطها ، وأبرز شعرائها ونماذج من شعر هذا العصر ففي عصر الثمانيين ضعف الأدب شعره ونثره بسبب ضعف السلاطين ، وكونهم لا يتحدثون العرب ولا يعرفون آدابها وفنونها فجعلوا اللغة التركية لغة دواوين الحكومة والمكاتبات الرسمية ولم يحفلوا بالشعر ولا بالشعراء ، فتوارى دور الشعر وماتت المواهب ، ولم نعد نرى الشعر إلا على لسان طائفة من محبيه من الشعراء الذين حافظوا على البقية الباقية منه ، في ظل دولة حكمت الوطن العربي فترة طويلة من الزمن جعل حكامها بلاد العرب في عزلة تامة عن التقدم العلمي الذي تعيشه دول الغرب ، فتخلف العرب عن ركب الحضارة وتيارات التقدم ورياح النهضة التي اجتاحت أوروبا آنذاك .

نسأل الله العون والعافية وأن يرشدنا لما فيه الخير والصواب .

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

ظهور المماليك ونهاية الدولة الأيوبية في مصر

الأصل اللغوي لكلمة مملوك

المماليك في اللغة العربية :

هم الذين سُبُوا ولم يُسْبَ آباؤهم ولا أمهاتهم[١].

ومع أن لفظ المماليك بهذا التعريف يعتبر عامًّا على معظم الرقيق، إلا أنه اتخذ مدلولًا اصطلاحيًّا خاصًّا في التاريخ الإسلامي.

المدلول الاصطلاحي لكلمة مماليك :

يرجع مدلول كلمة مماليك إلى أيام الدولة العباسية في عهد :

- ✓ الخليفة العباسي "المأمون" والذي حكم من سنة ١٩٨هـ إلى ٢١٨هـ .
- ✓ والخليفة "المعتصم" الذي حكم من سنة ٢١٨هـ إلى ٢٢٧هـ.

ففي فترة حكمهما جُلبت أعداد ضخمة من الرقيق عن طريق الشراء، واستخدموهم كفرق عسكرية بهدف الاعتماد عليهم في تدعيم نفوذهما.

ومع مرور الوقت- أصبح المماليك الأداة العسكرية الرئيسية -وأحيانًا الوحيدة- في كثير من البلاد الإسلامية..

وعندما قامت الدولة الأيوبية كان أمراؤها يعتمدون على المماليك الذين يمتلكونهم في تدعيم قوتهم، ويستخدمونهم في حروبهم، لكن كانت أعدادهم محدودة إلى حدٍّ ما، إلى أن جاء الملك الصالح أيوب، وحدثت فتنة خروج الخوارزمية من جيشه، فاضطُرَّ -رحمه الله- إلى الإكثار من المماليك حتى يقوي جيشه ويعتمد عليهم، وبذلك تزايدت أعداد المماليك، وخاصة في مصر[٢].

تاريخ المماليك :

كان الملك الصالح يستعين بالجنود الخوارزمية الذين كانوا قد فرُّوا من قبلُ من منطقة خوارزم بعد الاجتياح التتري لها، وكان هؤلاء الجنود الخوارزمية جنودًا مرتزقة بمعنى الكلمة.. بمعنى أنهم يتعاونون مع من يدفع أكثر، ويعرضون خدماتهم العسكرية في مقابل المال، فاستعان بهم الملك الصالح أيوب بالأجرة، ودارت موقعة كبيرة بين جيش الملك الصالح أيوب وبين قوى التحالف الأيوبية الصليبية، وعُرِفَت هذه الموقعة باسم موقعة غزة، وكانت في سنة٦٤٢هـ، وكانت هذه الموقعة قد وقعت بالقرب من مدينة غزة

الفلسطينية، وانتصر فيها الملك الصالح انتصارًا باهرًا، حرَّر بيت المقدس نهائيًّا، ثم أكمل طريقه في اتجاه الشمال، ودخل دمشق، ووحّد مصر والشام من جديد، بل اتجه إلى تحرير بعض المدن الإسلامية الواقعة تحت السيطرة الصليبية، فحرر بالفعل طبرية وعسقلان وغيرهما.

غير أنه حدث تطور خطير جدًّا في جيش الصالح أيوب رحمه الله، حيث انشقت عن جيشه فرقة الخوارزمية المأجورة..! وذلك بعد أن استمالها أحد الأمراء الأيوبيين بالشام مقابل دفع مال أكثر من المال الذي يدفعه لهم الصالح أيوب، ولم تكتفِ هذه الفرقة بالخروج، بل حاربت الصالح أيوب نفسه، ولم

يثبت معه في هذه الحرب إلا جيشه الأساسي الذي أتى به من مصر، وعلى رأسه قائده المحنَّك ركن الدين بيبرس.

وخرج الصالح أيوب من هذه الحرب المؤسفة وقد أدرك أنه لا بد أن يعتمد على الجيش الذي يدين له بالولاء لشخصه لا لماله.. فبدأ في الاعتماد على طائفة جديدة من الجنود بدلاً من الخوارزمية، وكانت هذه الطائفة هي: "المماليك"[٣].

من أين جاءوا؟

كان المصدر الرئيسي للمماليك إمّا بالأسر في الحروب، أو الشراء من أسواق النخاسة.. ومن أكثر المناطق التي كان يُجلَب منها المماليك بلاد ما وراء النهر (النهر المقصود هو نهر جيحون، وهو الذي يجري شمال تركمانستان وأفغانستان ويفصل بينهما وبين أوزبكستان وطاجيكستان)، وكانت الأعراق التي تعيش خلف هذا النهر أعراقًا تركيةً في الأغلب؛ لذا كان الأصل التركي هو الغالب على المماليك وإن كان لا يمتنع أن يكون هناك مماليك من أصول أرمينية، أو مغولية، أو أوربية وكان هؤلاء الأوربيون يُعرَفون بالصقالبة، وكانوا يُستَقدَمون من شرق أوربا بوجه خاص.

معاملة خاصة :

وقد كانت الرابطة بين المملوك وأستاذه من طراز خاص؛ فقد كان السلطان الصالح نجم الدين أيوب -ومن تبعه من الأمراء- لا يتعاملون مع المماليك باعتبارهم رقيقًا.. بل على العكس من ذلك تمامًا، فقد كانوا يقربونهم جدًّا منهم لدرجة تكاد تقترب من درجة أبنائهم، ولم تكن الرابطة التي تربط بين المالك والمملوك هي رابطة السيد والعبد، بل رابطة المعلم والتلميذ، أو رابطة الأب والابن أو رابطة كبير العائلة وأبناء عائلته.. وهذه كلها روابط تعتمد على الحب في الأساس لا على القهر أو المادة، حتى إنهم كانوا يطلقون على السيد الذي يشتريهم لقب "الأستاذ"، وليس لقب "السيد".

تربية متميزة :-

كما كانت تربية المماليك تربيةً متميزة للغاية، يمتزج فيها تعليم الشرع بفنون الفروسية، بالمحاسبة على السلوك والآداب، ويشرح لنا المقريزي رحمه الله كيف كان يتربى المملوك الصغير الذي يُشترى وهو ما زال في طفولته المبكرة فيقول: "إن أول المراحل في حياة المملوك هي أن يتعلم اللغة العربية قراءة وكتابة، ثم بعد ذلك يُدفع إلى من يعلمه القرآن الكريم، ثم يبدأ في تعلم مبادئ الفقه الإسلامي وآداب الشريعة الإسلامية.. ويُهتم جدًّا بتدريبه على الصلاة، وكذلك على الأذكار النبوية، ويُراقب المملوك مراقبة شديدة من مؤدبيه ومعلميه، فإذا ارتكب خطأً يمس الآداب الإسلامية نُبه إلى ذلك، ثم عُوقِب...".

ثم إذا وصل المملوك بعد ذلك إلى سن البلوغ جاء معلمو الفروسية ومدربو القتال فيعلمونهم فنون الحرب والقتال وركوب الخيل والرمي بالسهام والضرب بالسيوف، حتى يصلوا إلى مستويات عالية جدًّا في المهارة القتالية، والقوة البدنية، والقدرة على تحمل المشاق والصعاب.

ثم يتدربون بعد ذلك على أمور القيادة والإدارة ووضع الخطط الحربية، وحل المشكلات العسكرية، والتصرف في الأمور الصعبة، فينشأ المملوك وهو متفوق تمامًا في المجال العسكري والإداري، وذلك بالإضافة إلى حمية دينية كبيرة، وغيرة إسلامية واضحة.. وهذا كله -بلا شك- كان يثبت أقدام المماليك تمامًا في أرض القتال.

وكل ما سبق يشير إلى دور من أعظم أدوار المربين والآباء والدعاة، وهو

الاهتمام الدقيق بالنشء الصغير، فهو عادة ما يكون سهل التشكيل، ليس في عقله أفكار منحرفة، ولا عقائد فاسدة، كما أنه يتمتع بالحمية والقوة والنشاط، وكل ذلك يؤهله لتأدية الواجبات الصعبة والمهام الضخمة على أفضل ما يكون الأداء.

اهتمام خاص من سيدهم :-

وفي كل هذه المراحل من التربية كان السيد الذي اشتراهم يتابع كل هذه الخطوات بدقة، بل أحيانًا كان السلطان الصالح أيوب رحمه الله يطمئن بنفسه على طعامهم وشرابهم وراحتهم، وكان كثيرًا ما يجلس للأكل معهم، ويكثر من التبسط إليهم، وكان المماليك يحبونه حبًّا كبيرًا حقيقيًّا، ويدينون له بالولاء التام..[٤].

وكان المملوك إذا أظهر نبوغًا عسكريًّا ودينيًّا فإنه يترقى في المناصب من رتبة إلى رتبة، فيصبح قائدًا لغيره من المماليك، ثم إذا نبغ أكثر أُعطِي بعض الإقطاعات في الدولة فيمتلكها، فتدر عليه أرباحًا وفيرة، وقد يُعطى إقطاعات كبيرة، بل قد يصل إلى درجة أمير، وهم أمراء الأقاليم المختلفة، وأمراء الفرق في الجيش، وهكذا.

وكان المماليك في الاسم ينتسبون عادة إلى السيد الذي اشتراهم؛ فالمماليك الذين اشتراهم الملك الصالح يعرفون بالصالحية، والذين اشتراهم الملك الكامل يعرفون بالكاملية، وهكذا[٥].

المماليك في مصر:-

بدأ ظهور المماليك القوي على مسرح العالم الإسلامي في مصر في عصر الملك الصالح نجم الدين أيوب؛ ففي سنة ٦٤٧ﻫ/ ١٢٤٩م تواترت الأنباء عن قرب قدوم حملة جديدة تحت راية الصليب ضد مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا بهدف احتلال مصر. وبسرعة عاد الملك الصالح نجم الدين أيوب من الشام إلى مصر لكي ينظم وسائل الدفاع.

وفي العشرين من شهر صفر سنة ٦٤٧ﻫ/ ٤ يونيو ١٢٤٩م نزل الصليبيون قبالة دمياط، وأمامهم لويس التاسع يخوض المياه الضحلة، وهو يرفع سيفه ودرعه فوق رأسه. وانسحب الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ قائد المدافعين عن المدينة بسرعة بعد أن ظن أن سلطانه المريض قد مات، وفي أعقابه فرَّ الجنود، وفي أعقاب الجنود والفرسان فرَّ السكان المذعورون، وهكذا سقطت دمياط دون قتال.

دور مهم للمماليك في معركة المنصورة:

وفي ليلة النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـ وفي خضم هذه الأحداث توفي السلطان الصالح نجم الدين أيوب في يوم الاثنين ١٤ من شعبان سنة ٦٤٧هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٢٤٩م، وأخفت زوجته شجرة الدر نبأ وفاته لكي لا تتأثر معنويات الجيش، وأرسلت في استدعاء ابنه توران شاه من إمارته على حدود العراق.

واشتدت المقاومة المصرية ضد القوات الصليبية، وبعد عدة تطورات كانت القوات الصليبية تتقدم نحو مدينة المنصورة في سرعة، ولكن الأمير بيبرس البندقداري كان قد نظَّم الدفاع عن المدينة بشكل جيد، وانقشع غبار المعركة عن عدد كبير من قتلى الصليبيين بينهم عدد كبير من النبلاء، ولم ينجح في الهرب سوى عدد قليل من الفرسان هربوا على أقدامهم تجاه النيل ليلقوا حتفهم غرقًا في مياهه، أمّا الجيش الصليبي الرئيسي بقيادة لويس التاسع فكان لا يزال في الطريق دون أن يعلم بما جرى على الطليعة الصليبية التي اقتحمت المنصورة في ٤ من ذي القعدة ٦٤٧هـ/ فبراير ١٢٥٠م.

وفي المحرم من سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م دارت معركة رهيبة قرب فارسكور قضت على الجيش الصليبي، وتم أسر لويس التاسع نفسه في قرية منية عبد الله شمالي المنصورة، ثم نقل إلى دار ابن لقمان القاضي بالمنصورة؛ حيث بقي سجينًا فترة من الزمان حتى أُفرِجَ عنه لقاء فدية كبيرة، ومقابل الجلاء عن دمياط[٦].

انتهاء حكم الأيوبيين في مصر:

بعد عهد الصالح أيوب، تولَّى ابنه توران شاه الذي لم يكن على قدر المسئولية؛ فانشغل باللهو بعد انتصاره على الصليبيين، وأساء معاملة قادة الجيش من المماليك، وكذلك أساء إلى زوجة أبيه شجرة الدر؛ فتآمرت هذه مع فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس وقلاوون الصالحي وأيبك التركماني وهم من المماليك الصالحية البحرية على قتل "توران شاه"، وبالفعل تمت الجريمة في يوم ٢٧ محرم سنة ٦٤٨هـ، أي بعد سبعين يومًا فقط من قدومه من حصن كيفا واعتلائه عرش مصر..! وكأنه لم يقطع كل هذه المسافات لكي "يحكم" بل لكي "يُدفن"!

وهكذا بمقتل "توران شاه" انتهى حكم الأيوبيين تمامًا في مصر، وبذلك أغلقت صفحة مهمة من صفحات التاريخ الإسلامي[٧].

لقد حدث فراغ سياسي كبير بقتل توران شاه، فليس هناك أيوبي في مصر مؤهل لقيادة الدولة، ومن ناحية أخرى فإن الأيوبيين في الشام مازالوا يطمعون في مصر، وحتمًا سيجهزون أنفسهم للقدوم إليها لضمها إلى الشام.. ولا شك أيضًا أن المماليك كانوا يدركون أن الأيوبيين سيحرصون على الثأر منهم، كما أنهم كانوا يدركون أن قيمتهم في الجيش المصري كبيرة جدًّا، وأن القوة الفعلية في مصر ليست لأيوبي أو لغيره إنما هي لهم، وأنهم قد ظُلِموا

بعد موقعة المنصورة وفارسكور، لأنهم كانوا السبب في الانتصار ومع ذلك هُمِّش دورهم.

كل هذا الخلفيات جعلت المماليك -ولأول مرة في تاريخ مصر- يفكرون في أن يمسكوا هم بمقاليد الأمور مباشرة!.. وما دام "الحكم لمن غلب"، وهم القادرون على أن يغلبوا، فلماذا لا يكون الحكم لهم؟!

لكن صعود المماليك مباشرة إلى الحكم سيكون مستهجنًا في مصر، فالناس لا تنسى أن المماليك -في الأساس- عبيد، يباعون ويشترون، وشرط الحرية من الشروط الأساسية للحاكم المسلم.. وحتى لو أُعتِقوا فإن تقبُّل الناس لهم باعتبارهم (حُكَّامًا) سيكون صعبًا.. وحتى لو كثرت في أيديهم الأموال، وتعددت الكفاءات، وحكموا الأقاليم والإقطاعات، فهم في النهاية مماليك.. وصعودهم إلى الحكم يحتاج إلى حُجَّة مقنعة للشعب الذي لم يألفهم في كراسي السلاطين.

كل هذا دفع المماليك البحرية الصالحية إلى أن يرغبوا بعد مقتل توران شاه في "فترة انتقالية" تمهد الطريق لحكم المماليك الأقوياء، وفي ذات الوقت لا تقلب عليهم الدنيا في مصر أو في العالم الإسلامي.

كانت هذه هي حسابات المماليك الصالحية البحرية.. فماذا كانت حسابات شجرة الدر؟!

ولما قتل توران شاه أعلنت شجرة الدر نفسها حاكما على البلاد وصار يخطب لها على المنابر مما أهاج أمراء الشام وبدأت مطامعهم في ملك مصر .

وكان هناك صراع دائر بين عز الدين أيبك وفارس الدين إقطاي ، وهما قائدا المماليك آنذاك .

واستطاع عز الدين أيبك أن يتزوج من شجرة الدر ويعلن نفسه حاكما على مصر مما أوغر صدر إقطاي فبدا تمرده واضحا وراح يحرض مماليكه على إشاعة الفوضى والاضطرابات في البلاد ، فدبرت له شجرة الدر أمرا وأوعزت إلى قطز فقتله وحدث أن عاد عز الدين أيبك إلى زوجته القديمة (أم علي) فغضبت شجرة الدر ، ودبرت له مؤامرة وقتلته . ولما علمت زوجته (أم علي) أرسلت إليها جواريها فقتلنها .

وفي هذه الفترة هاجم التتار مصر بعد أن دمروا بغداد ، وأشاعوا الفوضى ونشروا الفزع في أرجاء العراق وبلاد الشام فاستعد لهم قطز نائب السلطنة آنذاك ، واستطاع أن يدبر المال اللازم للمعركة ووحد الصفوف وخرج للقاء التتار وانتصر عليهم في عين جالوت .

وبعد الانتصار الكبير على التتار وإراحة العالم من شرهم ووحشيتهم حدث خلاف بين قطز ومساعده بيبرس البندقداري إثر مماطلة قطز في تولية بيبرس إمارة حلب ، فاغتاله بيبرس ، وعاد إلى مصر ليتولى شؤون حكمها وتبدأ حلقة جديدة في حياة الدولة المملوكية

بدأت دولة المماليك في مصر سنة ٦٤٨هـ واستمرت حتى سنة ٩٢٣هـ، وهي منقسمة إلى عهدين:

عهد المماليك البحرية:

واستمر من سنة ٦٤٨هـ حتى سنة ٧٨٤هـ، وتعاقب خلالها سبع وعشرون سلطانًا وفي هذا العهد تحققت إنجازات عسكرية ضخمة مثل الانتصار على التتار في عين جالوت وفي حمص وشقحب، وأصبح الشام والحجاز واليمن تابعًا لدولة المماليك في مصر.

عهد المماليك الشراكة «البرجية»: واستمر من سنة ٧٨٤هـ حتى سنة ٩٢٣هـ، تعاقب خلالها ثلاثة وعشرون سلطانـًا، وفي هذا العهد كان الاهتمام منصبًا على التوسع العمراني وبناء القصور والجوامع والمدارس والمعاهد،

إلا إن هذا العهد اتصف بكثرة المظالم والمغارم والضرائب الفادحة، والضعف التجاري الناتج من تحول التجارة إلى رأس الرجاء الصالح.

كان المماليك دائمًا أهل طعان ونزال، عسكريون من الطراز الأول، لذلك كانوا أبطال عين جالوت حمص وشحقب وفتحوا قبرص، ولكنهم لما نسوا الرسالة التي عاشوا من أجلها في الدفاع عن الإسلام وتحولوا إلى جباة ضرائب متسلطين على العباد خرجوا من ذاكرة التاريخ وسقطت دولتهم.

أما سقوطها فكان على يد السلطان «سليم الأول» العثماني، الذي انتصر على السلطان «قنصوه الغوري» في مرج دابق بالشام سنة ٩٢٢هـ، ثم واصل الانتصار في الريدانية على السلطان «طومان باي» سنة ٩٢٢هـ، وبعدها سقطت دولة المماليك العريقة بعد حوالي ثلاثة قرون من الزمان.

الحضارة في عصر المماليك

الحياة العلمية في العصر المملوكي:

اتسم العصر المملوكي بظهور كثير من المنشآت الدينية من مساجد وتكايا ومدارس وأربطة وحلقات العلم، تقوم على تدريس العلوم الدينية، وتقديم الخدمات لطلبة العلم، هذا إضافة إلى الكتب الدينية التي صدرت آنذاك.

وزخر العصر المملوكي بعدد كبير من مشاهير العلماء الذين أثروا الحركة العلمية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- الإمام النووي .
- والعز بن عبد السلام .
- وابن تيمية .
- وابن قيم الجوزية .
- وابن حجر العسقلاني.
- وابن كثير .
- والمقريزي .
- والقلقشندي .
- وابن قدامة المقدسي .
- والمزي الفلكي.

العمارة والفنون

يعتبر عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٨- ٧٠٨هـ/١٢٩٩- ١٣٠٨م) من أزهى عصور الدولة المملوكية فقد أكثر من العمائر، ومن أهم منشآته في مدينة القاهرة الميدان العظيم، والقصر الأبلق بالقلعة، والإيوان ومسجد القلعة، والميدان الناصري، وبستان باب اللوق، وقناطر السباع.

ومن بين الأعمال العظيمة التي أنجزت في عصر الناصر محمد حفر قناة من الإسكندرية إلى فوة، وبذلك أعاد وصل الإسكندرية بالنيل.

وبلغ اهتمام الناصر بالعمارة أن أفرد لها ديوانًا، وبلغ مصروفها كل يوم اثني عشر ألف درهم[٩].

وكان السلطان قايتباي محبًّا للعمارة، فقد بنى ورمم كثيرًا من المساجد والقلاع والحصون والمدارس والزوايا، ولا يضارع عصره في المباني وفرة وجمالاً سوى عصر الناصر محمد بن قلاوون.

أمّا مدينة الإسكندرية فقد حظيت بعناية السلطان قايتباي، فقد أنشأ بها قلعة أطلق عليها اسم الرج، وتعتبر أكبر آثاره الحربية.

وقد وصلت الفنون في عصر المماليك حدَّ الروعة والإتقان والرقي، ويشهد على ازدهار فن النحت على الخشب في العصر المملوكي، أن الفنانين استطاعوا أن يبدعوا في زخرفة الحشوات بالرسوم الدقيقة.

كذلك ازدهرت في عصر المماليك صناعة الشبكيات من الخشب المخروط، المعروفة باسم المشربيات[١٠].

الأدب في العصر المملوكي

برغم أن العصر المملوكي كان عصر صراعات إلا أن الحركة الأدبية في العصر المملوكي ازدهرت ازدهاراً كبيراً.

ففي العصر المملوكي كان السلاطين والأمراء وكبار الجاه يرون تقريب العلماء والشعراء مظهراً من مظاهر الشرف والنبل. فكانت منازلهم وقصورهم موئلاً للأدباء والشعراء.

لذلك ونتيجة لهذا التشجيع برز على الساحة الأدبية آنذاك تأليف الموسوعات في شتى فروع العلم والمعرفة : الأدبية منها والسياسية والتاريخية والاجتماعية والإنسانية.

وترجع الريادة في هذه الموسوعات إلى شهاب الدين النويري، صاحب الموسوعة الشهيرة (نهاية الأرب في فنون الأدب) والتي علا قدرها وارتفع شأنها وذاع صيتها حتى ترجمت للغة اللاتينية منذ القرن الثامن عشر.

كما أن ابن دانيال، الأديب والطبيب القبطي، كان من أشهر أدباء مصر في العصر المملوكي ، وهو صاحب أول محاولة لمسرحيات خيال الظل في العصور الوسطى. حيث جمعت مثل هذه المسرحيات بين الشعر والنثر الفني.

وازدهر النثر الفني والشعر، حيث تم الاحتياج إلى الكتاب في ديوان الإنشاء، وبرع في ذلك الأديب بن عبد الظاهر، حيث عينه بيبرس كاتباً للسر بديوان الإنشاء.

كما ازدهرت المناظرات الأدبية والشعرية المختلفة، ومن أشهر شعراء العصر المملوكي :

- ابن الجزار
- وابن الوراق
- والمناوي المصري.
- واشتهر الصلاح الصفدي بتاليف الموشحات في العصر المملوكي.

ويعكس شعر العصر المملوكي كافة جوانب المجتمع المملوكي السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة .

اللغة في العصر المملوكي :

عندما جُلب المماليك إلَى البلاد العربية ، واتوا إليها أطفالاً ويافعيْن تعلموا من العربية – العامية – ما يُيسِّرُ لهم أداء واجباتِهم (الدينية خصوصاً) وغالباً ما استُخدموا مثُرجميْنَ لَهم، وكان لِجهلهم دورٌ في لجوء الأدباء إلَى العامية وابتعاد الشعراء عن البلاط، لذا كان الشعراء المحترفون قلةً، وتراجعتِ اللغة العربية على صعيد الاستخدام الأدبِي لمخالطة اللغات الأعجمية لها.

الشعر :

توارى الشعر في هذا العصر ولم يعد له بريقه الذي كان عليه في العصر العباسي وطغت عليه التقليدية والاهتمام بالمناسبات وما تحمل من فتور في التجربه لما في المناسبات من مجاملات ومبالغة ، فارتبط الشعر ارتباطاً وثيقاً بالمناسبات التاريخية وآثار مصر في العصر المملوكي.

- فقد مُدح السلطان بيبرس البندقداري عند افتتاح المدرسة الظاهرية .
- ومُدح السلطان برقوق شعراً عندما تم افتتاح مدرسته في بين القصرين.
- وقال ابن إياس شعراً في السلطان الغوري بعد فراغه من بناء مصطبة وان لم يخل الشعر حول الغوري من هجاء.
- وعندما سقطت إحدى منارات مسجد السلطان حسن (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) واعتبر الناس ذلك نذيراً بزوال الدولة، حتى سارع الشاعر بهاء الدين السبكي ليجعل من ذلك بشير سعد للسلطان والدولة إذا ما سقطت المئذنة إلا إجلالاً للقرآن الذي يقرأ تحتها.

أمَّا البلاط فلم يعدِ الشعراء يتكسبونَ من الشعر، لعدم فهم الحكَّام الشعر فأُغلق الباب في وجههم، وكانَ الأعيان الأغنياء كذلك، فانكفأ الشعراء على أنفسهم، وامتهنوا المهن والحرف ، فكان منهم:

- الكحَّال .
- والجزَّار .
- والورَّاق .
- والنجار وغيْر ذلك.

وأضحى الأدب هوايةً يُمارسونَها أحياناً، فأنتجتْ أدباً مختلفاً عن العصور السابقة، فلم يعد في قصائدهمُ المقدمة الطلليةُ والنسيبُ مثلاً، وكثُرتِ المقطعات لأنَّها استجابةٌ لدفقةٍ شعوريَّةٍ سريعةٍ، وكان الشاعر يضع نصب عينيهِ المتلقِّي الجاهل لقلة الثقافة حتَّى ولو كان المتلقِّي وزيراً، ولذا شاع في شعرهم السهولة والوضوح وامتزاج العامية بالفصحى، وانتشرت الصنعةُ والمبالغةُ والتكلُّفُ، وبالغوا فيها لمحاولة مجاراة الأقدميْن، فاستخدموا كل المحسنات البديعية والصنعة البيانية، وصارت الألفاظ قريبةً من العامة، واستمرتِ الأجناسُ الأدبيةُ السابقة كالغزل والمدح (الذي قلَّ لعدم وجود الحكَّام العرب) والرثاء وغيْر ذلك.

كان الشعراءُ المحتَرفونَ قلةً حينها، فلم يعودوا يتكسبونَ بالشِّعْرِ لعدم فهْم الحكَّام والنبلاءِ (الأغنياءِ – الأعيانِ) الشعرَ، فأُغلقَ البابُ أمام الشعراءِ، وأوَّل من أحسَ بهذا التغييْرِ الشعراء الذيْنَ استشعرُوا أنهمْ محاصرونَ فالبلاطُ مغلقٌ في وجوههِم لكونِ الحاكم غريباً لا يفهمُ العربيَّةَ فلا يَهتزّ للمدح ويُغدقُ العطايا، كما وجدوا الجمهورَ جاهلاً غارقاً في الأميِّةِ، فتقوقعُوا وصاروا يكتبونَ شعرَهم في مناسباتٍ كهوايةٍ، ويكرِّرونَ أنفسَهمْ في الأغراض التقليدية بِما حفظوهُ من التـُّراثِ، وحاولُوا تفسيْرَ قصور إنتاجِهمُ الأدبِيُّ عند مقارنتهِ بأدبِ الازدهارِ، وكانوا مقتنعيْنَ بِما نسميِّهِ الدوافعَ والأسباب، وهذا الدافعُ إمَّا خارجِيٌ وإمَّا داخلِيٌ، قال أحد الشعراء:

أنا في جيل خسيس وقبيل وزمان

أمدح السلطان كي يصبح مالي في أمان

أكذا كان أبو تمام قبلي وابن هاني؟

فيلقي باللائِمةِ على أبناءِ عصرهِ، ويَمدحُ السلطان ولَمْ يَجِدْ كأبِي تَمَّام وابنِ هانِئٍ من يتبنَّاهُ ويُغدقُ عليهِ العطاءَ، فيمدحهُ خوفاً على مالهِ وحسب.

شاعَ حينذاكَ ما يُسمَّى بالمصادرةِ، حيثُ يأمرُ السلطانُ بأخذِ أموال الناسِ وتَجريدِهمْ منها، كما كانَ الْمُصادَرُ يُعذَّبُ بِما خبَّأهُ من أموالٍ عن عيونِ السلطانِ، وكانتِ المصادرةُ تشملُ العوامَّ والشعراء والأمراء وأصحاب المناصب، يقولُ أحد الشعراءِ:

لمن أبوح بشعري حين أنظمه أم من أخص بما فيه من الزبد

إما جهول فلا يدري مواقعه أو فاضل فهو لا يخلو من الحسد

فعامةُ الناسِ جاهلةٌ لا تعرفُ قيمة الشعرِ، والعارفُ بهِ يقف ضد الشعرِ حسداً، فلا يَجدُ من يَفهمُهُ ففضَّلَ السكوتَ.

وتكلَّمَ آخرونَ عن نظريَّةِ الدوافع والأسبابِ، فلا ثوابَ على المدح ولا اعتذارٌ فماتتْ موهبتُهمْ لعدم وجود الأسباب، يقولُ السرَّاجُ الورَّاقُ:

وكان الناس إن مدحوا أثابوا وللكرماء بالمدح افتخار

وكان العذر من وقت لوقت فصرنا لا عطاء ولا اعتذار

لذلك توارى الشعرُ وأصبحَ هوايةً ، وصارَ لكلِّ شاعرٍ مهنةٌ :

- فالسرَّاجُ الورَّاقُ كان ينسخُ الكتبِ .
- والبوصيْري افتتحَ كتَّاباً لتعليْم الصبيانِ .
- وأبو الحسيْنِ الجزَّار كانتْ مهنتهُ الجزارةَ وبيَّنَ أنَّهُ بعملهِ الجديد أصبحتِ الكلابُ ترجوهُ لتأكلَ، بينَما كان بالشعرِ يقصدُ الكلابَ وهي توريةٌ للأغنياءِ، فيقولُ:

لا تلمنـــي سـيدي شـــرف   الـــدين إذا مـــا رأيتنـــي قصـــابا

كيـــف لا أشـــكر الجـــزارة   مـا عشـت حفاظـا وأرفض الآدابـا

وبهـا أضـحت الكـلاب ترجـوني   وبالشـعر كنـت أرجـو الكلابـا

لقدْ صارتِ الأفهامُ جامدةً، والقرائحُ خامدةً .

وخرقَ الشعراءُ قواعد القصيدةِ التقليديَّةِ علَى عدَّةِ مستوياتٍ: هيكل القصيدةِ، والمعجم اللغوي، والموضوعات، فالبوصيْري صاحب المدائِح النبويَّةِ كانَ فقيْراً اشتغلَ مدرساً في مجلسِ أقامهُ، ثُمَّ عرض عليهِ صديقٌ وظيفة الحِسبة وهي دينيَّةٌ فرفضها لأنَّهُ لا يفهمُ فيها ولا يريدُ دخول عالمَ الفسادِ فقالَ:

لا تظلمـوني وتظلمـوا الحسـبة   فلـيس بينـي وبينهـا نسـبة

غيـري فـي البيـع والشـرا درب   ولـيس فـي الحـالتين لـي دربـة

مـا سـوى حرفـة الكتابـة لـي   مـن وطـر أبتغـي ولا إربـة

والشـعر ميزانـه أقومـه   ولـيس تنقـام منـه لـي حدبـة

خروج عن القواعد الشعريَّةِ ، وخليط من العامي والفصيح ، وتدنى المعجمُ اللفظيُ كثيْراً فخلطهُ بالألفاظِ العاميَّةِ ليوصلَ كلامه لكلِّ الناسِ فالمقامُ يقتضي ذلكَ، كما استخدمَ التراكيبَ العاميَّةَ بألفاظٍ فصيحةٍ مثل (فليسَ بينِي وبينَها نسبةْ).ولَمْ تكنْ قصائِدهُمْ مقطعاتٍ فقطْ بل هناك قصائد طويلةٌ، كقصيدة البوصيْري عشيةَ العيدِ ولَمْ يكنْ لأولادهِ ثيابٌ وطعامٌ فقصدَ أحد المتنفذِّيْنَ قائلاً:

إليـــكَ نَشْــكُو حالَنــا إنّنــا	عائلـــةٌ فـــي غايَـــةِ الكَثْـــرَهْ
أُحَــدِّثُ المَــوْلَى الحَــدِيثَ الّــذي	جَــرَى علــيهم بــالخيطِ وَالإِبْــرَهْ
صَــاموا مَــعَ النَّــاسِ ولكــنَّهمْ	كــانوا لِمَــنْ يُبصِــرُهم عِبْــرَهْ
إن شَــرِبُوا فــالبِئْرُ زِيــرٌ لهُــمْ	مــا بَرِحَــتْ والشَّــرْبَة الجَــرَّهْ
لهُــمْ مِــنَ الخُبَّيْــزِ مَسْــلوقةٌ	فــي كــلِّ يَــوْمٍ تُشْــبِهُ النَّشْــرَهْ
أَقُــول مَهمــا اجتمعــوا حَوْلهــا	تَنَزَّهُــوا فــي المــاءِ والخُضْــرَهْ
وأقبــلَ العيــدُ ومــا عنــدهم	قَمْــحٌ وَلا خُبْــزٌ ولا فطْــرَهْ

ويتحدث ابن الوراق عن فقره ولباسه (الجبة) وهي لباس خشن ، وأنه ظل يقلبها ظهرا لبطن حتى بليت ، كما يشير إلى النفاق في عصرهِ فيقول :

هـذا وجـوختي الزرقـاء تحسـبها	مـن نسـج داود فـي سـرد وإتقـان
قلبتهــا فغــدت إذ ذاك قائلــة	سـبحان قلبـي بلـى قلبـي وأبلانـي
إن النفــاق لشــيء لسـت أعرفــه	فكيـف يطلـب منـي الآن وجهـان

وهذا ابن دانيال يصف بيته وما فيه من فاقة وأثاث متهالك يقول :

أصبحت أفقر من يروح ويغتدي	مـا فـي يـدي مـن فاقـة إلا يـدي
فـي منـزل لـم يحـو غيـري قاعـدا	فـإذا رقـدت رقـدت غيـر ممـدد
لـم يبـق فيـه سـوى رسـوم حصيرة	ومخــدة كانــت لأم المهتــدي

ملقى على طراحة في حشوها قمل كمثل السمسم المتبدد

والفأر يركض كالخيول تسابقت من كل جرداء الأديم وأجرد

هذا ولي ثوب تراه مرقعا من كل لون مثل ريش الهدهد

ويصف ابن الجزار حماره قائلا :

هذا حمار في الحمير حمار في كل خطو كبوة وعثار

قنطار تبن في حشاه شعيرة وشعيرة في ظهره قنطار

النثر وفن الكتابة :

كان النثر في العصر المملوكي على قسميْنِ: مسجوع (مقيد) ومرسل (مطلق)، وقد يُنسبُ التكلفُ والتصنُّعُ إلَى العصر المملوكي، وهذا ظلمٌ فقد ظهر قبل ذلكَ بوقتٍ طويلٍ في كتابات المعري كرسالة الغفران، وبلغت قمة التصنع في مقامات بديع الزمان الهمذانِي وتابعه الحريري في مطلع القرن السادس الهجري وهذه المقاماتُ أشدُّ تكلفاً مِما نعرفه من النثر في العصر المملوكي.

أسلوب القاضي الفاضل: كان كاتبَ ديوانِ الإنشاءِ عند صلاح الدين الأيوبِي، وكان أسلوبه في الكتابة هو أسلوب العصر خاصةً الكتابة الديوانية (دواوين الدولة)، ويتسمُ بالتصنُّع باستخدام التورية وأنواع البديع الأُخرى، وأثر في كتَّاب عصره كثْيراً في طريقته وأسلوبه، وكان له تلامذةٌ أشهرهم:

١- العماد الأصفهانِي أو الكاتب (ت٥٩٧هـ)

٢- ضياء الدين بن الأثْير الجزري (ت٦٣٧هـ)

البلاغة في العصرِ المملوكي:

كانتِ البلاغة في العصر المملوكي امتداداً لِما كانَ في العصور السابقةِ، وقدِ ازدهرتْ علوم البلاغة العربية نتيجةً لأمريْنِ: الترجمات عن الإغريق وخاصةً أرسطو، والخوض في موضوع إعجاز القرآنِ الكريْمِ.

السير الشعبية:

سيرة سيف بن ذي يزن هي سيرة شعبية خيالية تروي حكاية سيف بن ذي يزن الملك اليمني الذي طرد الأحباش من اليمن.

تتناول سيرة سيف بن ذي يزن - منذ صفحاتها الأولى- الإشارة إلى أن المهمة الأولى لبطلها هي إحضار كتاب النيل، الذي هو في بلاد الأحباش، لأنه باستيلاء هؤلاء على هذا الكتاب فقد حجزوا النيل عن مصر!. ورغم أن الملك سيف هو من أواخر ملوك حمير التاريخيين في اليمن قبل الإسلام فقد استغل الراوي الشعبي دلالة صراعاته في حروب اليمنيين مع الأحباش، ليجعله رمزاً للقلق المصري في القرن الرابع .

ولم تكن السيرة عند إنشائها بعيدة عن عصر "التصارع الصليبي" بين الغرب والمنطقة؛ في إطار تلك العولمة المبكرة ، والسيرة مليئة بآفاق الإحساس بالحبش الأفارقة، وبأهل مصر المسلمين .

وفي العصرين المملوكي والعثماني ظهرت فنون شعرية جديدة ابتدعها شعراء العصرين .

ومن هذه الفنون:

أولاً : التأريخ الشعري:

اختلف مؤرّخو الأدب العربي في توقيت العصر الذي ابتُدع فيه التأريخ بالشعر اختلافاً كبيراً ، فالأمير حيدر الشهابي ادّعى أنّ عبد الرحمن البهلول النحلاوي وهو أحد أبناء القرن الثاني عشر الهجري) الثامن عشر الميلادي) أوّل من اخترعه حيث قال : " وهو الذي اخترع فنَّ التاريخ على حساب الجمل ، لأنّنا لم نجد تأريخاً على هذا الحساب قبل عهده".

وتعتمد هذه الطريقة على حساب التاريخ تبعاً لترتيب الحروف الهجائيّة العربيّة ، وهي : أبجد هوّز حطّي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

فكلّ حرف له قيمة عدديّة يمثلها كالتالي :

أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ، ط =٩ ، ي = ١٠ ، ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ، ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ، ص = ٩٠ ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠ ، خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض =٨٠٠ , ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠.

لكن هناك شروط يجب توافرها في هذا الفنّ:

منها أن يتقدّم على ألفاظه كلمة " أرّخ " ، أو " أرّخوا " ، أو ما يدلّ على التاريخ ,وإذا تصرف الشاعر في تقديم أو تأخير أو زيادة بعد لفظة " التاريخ " أشار إليه لئلا يستغلق على القارئ ، كقول بعضهم في تأريخ بستان:

يهنيك تاريخٌ أتى ضبطه (بستان بسط باهر زاخر)

فلم يحسب في التاريخ قوله : " أتى ضبطه"

وقال شاعر آخر :

(فتحنا العراق) وذا اللفظ من رشاقته جاء تاريخه

فقد قدّم كلمات التاريخ على ألفاظ البيت ، ودلَّ على الألفاظ التي قصد بها التأريخ .

ومن شروط هذا الفنّ ألا يكون في بيتين ، بل في بيت واحد ، ويستحسن أن يقع في عجز البيت أو في قسم من العجز.

ومنها أنّ الحروف تحسب على صورتها دون مراعاة لفظها ، فتحسب مثلاً ألف كلمة " فتى " ياء ، وتاء التأنيث المنقّطة تاء ، وغير المنقّطة هاء ، ولا يحسب المشدّد إلا حرفاً واحداً ، والهمزة التي لا كرسي لها لا تحسب شيئاً ، ويحسبون ألف الإطلاق ألفاً ، وهلمَّ جرا) .

وهذه بعض الأمثلة:

الأديب ماميه الانقشاري يؤرّخ تاريخ موت سلطان الروم السلطان سليم ابن السلطان سليمان:

فارق الملك سليم المجتبى وغدا ضيفاً على باب الكريم

وغدا في الشهداء تاريخه رحمة الله على حي سليم

ولماميه الانقشاري تاريخ ابتداء سلطنة سليم نصيف هو " تولّى سليم الملك بعد سليمان"، وتولّى بعده ولده السلطان مراد ,ولنامية الانقشاري في تاريخ ذلك :

بالبخت فوق التخت أصبح جالساً ملك به رحم الإله عباده

وبه سرير الملك سرّ فأرّخوا حاز الزمان من السرور مراده

فيكون تاريخ تولّيه (حاز الزمان من السرور مراده) = ٩٨٢ هـ (١١).

ثانيا : الزجل :

الزجل في اللغة يعني الصوت ، وهو فن نشأ في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري حيث نشا على يد أخطل بن نمارة وبلغ عصره الذهبي على يد أبي بكر بن قزمان ت٥٥٤هج ،واستمر يتطور في القرن السابع الهجري وجنح نحو التصوف والزهد بسبب المصائب التي أحاطت بالأندلس ، وانتقل إلى المشرق ومصر قبل كل البلاد لقربها من المغرب وأول من عني به من المشارفة صفي الدين الحلي في كتابه العاطل الحالي والمرخص الغالي اذ جعله في أول الفنون الشعرية غير المعربة ، وكذلك جاء ذكره في كتاب "بلوغ الأمل في فن الزجل" لتقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي "ت٨٣٧هج" حيث تابع الاهتمام بهذا الفن بعد صفي الدين الحلي .

ويذكر لنا صفي الدين الحلي في كتابه العاطل الحالي رأيه في مكانة هذا الفن بالنسبة إلى الفنون المستحدثة الأخرى ، ومخترعوه من أهل المغرب ثم تداوله الناس بعدهم.

مكونات الزجل :

- يتألف الزجل من أربعة اشطر والمصاريع الثلاثة الأولى من روي واحد معين والرابع مغاير له .
- ويشيع الجناس في القوافي الثلاثة الأولى .
- وقد ينظم الزجل من الأقفال التي لا يزيد الواحد منها عن بيتين ويكون للصدر روي وللعجز روي أو قافية واحدة .

ويمتاز فن الزجل بما يلي :

- أنه يصلح للغناء.
- بعيد عن الإعراب.
- يغلب عليه التسكين.
- ينظم على بحور الشعر المعروفة وبحور أخرى.
- يتكون من أربعة اشطر حيث يشيع الجناس في الثلاثة الاولى .
- ينظم بشكل إقفال لا يزيد القفل الواحد منها عن بيتين ويكون للصدر روي وللعجز روي او قافية واحدة.

ولقد اشتهرت مصر بالزجل ومن أعلامه شرف الدين بن أسد ت٧٣٨هج كما ينقل لنا صاحب فوات الوفيات الجزء الثاني ،ومن أزجاله اللطيفة التي وردت قوله :

يا مالك الحسن أرفق بالمستهام العليل   حياته قربك ولكن ما يلتقي له سبيل

خدام حسنك كثير هم سبحان من صورك

وصفك جميل ووجهك صبيح ما ازهرك

ياقوت وجوهر بثغر وريحان عذارك شرك

ثم انتقل الزجل إلى الشام واستساغه العامة والخاصة ونظموا فيه ومن أشهرهم شهاب الدين احمد بن عثمان الامشاطي " وعلي بن مقاتل الحموي "ت٧٦١هج" وابن حجة الحموي "ت٨٣٧هج" (١٢).

ولقد وصل الزجل إلى العراق واقبل عليه الشعراء ونظموا فيه أمثال صفي الدين الحلي في كتابه العاطل الحالي والمرخص الغالي يقول الحلي :

أنت يا قبلة الكرام زينة المال والبنين الله يعطيك

فوق ذا المقام

ويعيدك على السنين

أنت شامة بين الأنام الله يحرس شمائلك

ويؤيدك بالدوام تانعيش في فواضلك

وتا نطوي ذكر الكرام تا ننشر فضائلك

ونهنيك بكل عام

والخلائق تقول آمين

ثالثا المواليا :-

جاء في كتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي ان ناظم هذا اللون يسمى الموالي وجمعه ألمواله ،نشا في واسط واخترعه أصحاب البرامكة بعد نكبتهم لأن هارون الرشيد حرم عليهم رثاؤهم باللغة الفصحى فراح الشعراء يرثونهم بلغة عامية وتنتهي عبارة الشعراء بكلمة "يا مواليا" فعرف بهذا الاسم .

ويتكون المواليا من:

- أربعة مصاريع متشابهه الأواخر ساكنة الروي من بحر البسيط

مســـتفعلن فـــاعلن مســـتفعلن فعلـــن مســـتفعلن فـــأعلن مســـتفعلن فعلـــن

أي تام البسيط أو مجزوء البسيط او مخلع البسيط فهو من وزن واحد فقط ، وفي وفيات الأعيان الجزء الأول لابن هلكان يقول :"ان البغداديين لا يتقيدون بالاعراب في المواليا ،فهم ينظمون كيفما اتفق ." (١٣)

ومن المواليا قول احد البغداديين :

ظفـــرت ليلـــة بليلـــى ظفـــرة المجنـــون

وقلـــت وافـــى لحظـــي طـــالع ميمـــون

تبســـمت فأضـــاء اللؤلـــؤ المكنـــون

صـــار الـــدجى كالضـــحى فاســـتيقظ الواشـــون

ومن المعلوم ان المواليا شاع في نهاية الدولة العباسية ومن الذين نظموا فيه

- حسام الدين الحاجري الاربلي .
- ومن العراقيين مجد الدين النشابي
- وعز الدين الموصلي .
- وعلي بن إبراهيم بن معتوق الواسطي .

- وصفي الدين الحلي وغيرهم كالذي نجده عند البدر الزيتوني الذي توفي بعد القرن التاسع فقال في مدح الرسول الكريم :

يقول حسام الدين الحاجري الأربلي :

لـــم تـــدعي الـــذوق والوجـــدان والأحـــوال
وأنـــت خـــالي مـــن الاخـــلاص فـــي الاعمـــال
ارجـــع لجســـمك فســـم البـــين لـــك قتـــال
ترمـــي حجـــر مايشـــيلة خمســـميت عتـــال

وقد رغب الشاميون في المواليا وشاع بينهم ومن الذين وصلت الينا نماذج من نظمهم صلاح الدين ألصفدي وهذه المواليا لابن السويدي نقلا عن كتاب النجوم الزاهرة الجزء الثامن مثل :

البـــدر والســـعد :ذا شـــهبك وذا نجمـــك
والقـــد واللحـــظ :ذا رمحـــك وذا ســـهمك
والـــبغض والحـــب :ذا قســـمي وذا قســـمك
والمســـك والحســـن :ذا خالـــك وذا عمـــك

رابعا: الكان وكان :-

جاء في كتاب (العاطل الحالي) أنه ظهر في القرن الخامس الهجري وشاع بعد ذلك ،وقد اخترعه البغداديون وسمي بالكان وكان لأنهم يقولون في حكاياتهم كان وكان للدلالة على أنها روايات لا أصل لها ولا سند .

وفن الكان وكان انتقل إلى مصر وسمي بالزكالش وأما العراقيون فيسمونه بالكان وكان ،وأما في الشام فلم يشع كثيرا .(١٤)

نماذج من فن الكان وكان :

قال شمس الدين الكوفي في كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي مخاطبا الغافلين عن عبادة الله تعالى :

إلــى مـن غفـل وتـوانى الركـب فاتـك صـحبته
وفــي الـدجى حـدا بـيهم الحـادي وحـث النـوق
حـــث المطايـــا لعلـــك بمـــن تقـــدم تلحـــق
مـــن لا يحـــث المطايـــا مـــا يبصـــر المعشـــوق
فناقتـــك تتضـــمخ مـــن شـــدة الســـير بالـــدما
تصـــل إلـــى مواطنهـــا مضـــمخه بخلـــوق
يـاذا مطلـب قـد بلغـت الأرب وقـد زال التعـب
إلـــف الفـــت فالناقـــة لهـــا عليـــك حقـــوق
يـــا بـــدر ثـــم تجلـــى وتـــيم الخلـــق منظـــره
جميـــع مـــن فـــي العـــالم إلـــى لقـــاك مشـــوق
فبـــالنبي محمـــد وحـــق مولانـــا علـــي
مـــا تـــيم القلـــب إلا قوامـــك المشـــوق

خامسا : القوما :-

ظهر هذا الفن في بغداد في أواخر الدولة العباسية وقد اخترعه أبو بكر محمد بن عبد الغني "ابن نقطة" ".

،ويذكر الشاعر صفي الدين الحلي أن البغداديين قد اخترعوه في شهر رمضان وأصله قوما إلى السحور ويأتي على بحر الرمل أو الزجل حيث نظموا فيه الغزل والعتاب وقد شجعه الخليفة الناصر العباسي وأجزل العطاء للشعراء وخاصة الشاعر ابن نقطة ومن بعده ابنه .

وينظم هذا الفن المستحدث على أربعة إقفال ثلاث منها تأتي على روي واحد وقافية واحدة وهي الأول والثاني والرابع وأما القفل الثالث فأطولها وهو مهمل القافية.
ومجموع الأقفال الأربعة تسمى بيتا ووزنه مستفعلن فعلان أو فاعلان،واليك هذا القوما الذي يرويه لنا ابن حجة الحموي في كتابه بلوغ الأمل في فن الزجل والمنسوب إلى ولد صغير لابن نقطة يقول فيه"

يـــــــــا ســــــــــيد الســـــــــادات
لـــــــــك بـــــــــالكرم عــــــــادات
أنـــــــا بنـــــــي ابــــــن نقطـــــــه
وأبــــــي تعــــــيش أنــــــت مــــــات

وكان الخليفة الناصر من المعجبين بهذا القوما كما يذكر لنا ابن حجة الحموي في كتاب بلوغ الأمل في فن الزجل .
ومن القوما قول صفي الدين الحلي في الملك المؤيد إسماعيل بن علي بن محمود صاحب حماة " والمنشور في ديوان الشاعر العاطل الحالي والمرخص الغالي" حيث يقول:

لازال ســـــــعدك جديـــــــد
دايــــــم وجــــــدك ســـــعيد
ولا برحـــــــــت مهنــــــــا
بكــــــل صـــــوم وعيـــــد
فـــــي الـــــدهر أنـــــت فريـــــد
وفـــــي صــــــفاتك وحيـــــد
فـــــالخلق شـــــعر مـــــنقح
وأنـــــت بيـــــت القصـــــيد

سادسا البند :-

فن أدبي عراقي نشا في أواخر القرن الحادي عشر الهجري ثم انتقل إلى منطقة الخليج العربي وشاع فيها مدة ثلاثة قرون كما يذكر لنا عبد الكريم الدجيلي في كتابه البند في الأدب العربي .

والبند يكتب على هيئة النثر فهو من هذه الناحية يشبه النثر ووزنه مفاعيلن مكررة وكفها جيد وحسن والكف هو حذف نون مفاعيلن فتصبح مفاعيل ، ويجوز في اول التفعيلة الحزم والخرم والخرم هو حذف اول متحرك من الوتد المجموع بحيث ان مفاعيلن تصبح "فاعيلن" وأما الحزم فهو زيادة في أول التفعيلة لا يعتد بها في المقطع ،ويغلب في آخر جزء منه الحذف "مفاعي"

وللبند شبه بالشعر الحر من حيث إقامة الوزن على التفعيلة دون الأشطر ولقد اشتهر الكثيرون في نظم البند مثل شهاب الدين ابن معتوق الموسوي .

ويذكر لنا الدكتور جميل الملائكة في كتابه ميزان البند ان العراقيين ينشدون البند على إحدى طريقتين:-

الأولى/ الوقوف اختيارا في مواضع القوافي حيثما يمكن الوقف لأجل الموسيقى وهذا هو الشائع في الاتشاد .

الثانية / إعراب أخر الكلمات كما في التلاوة السريعة.

ولقد نظم الشاعر عبد الغفار الأخرس بندا يمدح فيه السيد سلمان بن السيد علي القادري الكيلاني "ت١٣١٥ه" نقله لنا د .صفاء خلوصي في كتابه "علم القافية" واليك نصا منه :

"محب ذائب الدمع ،رماه البين بالصدع،بكى من حرقة الوجد، على من حفظ العهد،وخشف ناعم الخد ،مليح عبل الردف،صبيح لين الوطف ، أدار الكأس والطاس ،وحاكى الورد والأس ،لعمري منه خدا وعذارا ولقد طالت عليه حسراتي بعدما كانت قصارا فهل يرجع ما فات ، وهيهات وهيهات ،فلو تنظر أشياء نظرناها ،بأيام قضيناها بحيث ابتسم الزهر ،وقد بلله القطر. " .(١٥)

الهوامش

[١] ابن منظور: لسان العرب ٤٩٣/١٠.
[٢] د. طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص١٥، ١٦.
[٣] د. راغب السرجاني: قصة التتار ص٢١١، ٢١٢.
[٤] المصدر السابق ص٢١٤-٢١٦.
[٥] السابق نفسه ص٢١٦، ٢١٧.
[٦] قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية ص١٢٩، ١٣٠.
[٧] د. طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ص٣١-٣٤. د. راغب السرجاني: قصة التتار ص٢٢٥، ٢٢٦.
[٨] محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي ١٥/٧-١٧.
[٩] المقريزي: الخطط ٧٠/٢.
[١٠] د. محمود محمد الحريري: مصر في العصور الوسطى ص٢٨٧، ٢٨٨.
[١١] الأدب المملوكي. موسوعة مصر الخالدة.
[١٢] الأدب في العصر المملوكي - دراسة تفصيلية. منتدى اللغة العربية.
[١٣] النيل... وملحمة سيف بن ذي يزن. عنبسا: (٢٠١٢-٠٧-٠١).
[١٤]مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني : بكري شيخ أمين ، ص ١٦٦-١٦٧.
[١٥]مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني : بكري شيخ أمين ، ص ١٧٠-١٧١

شعراء العصر المملوكي

أبو الحسين الجزار

جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد الجزار المصري، شاعر من ذوي الحرف

ولد بالفسطاط ونشأ فيها، يعمل بالجزارة كأبيه وأقاربه ولكن ظهرت عليه وهو صغير دلائل حب الشعر وإنشاده، ترك الجزارة حرفة أبيه وتكسب بالشعر فاتصل بالحكام والوزراء والأمراء والكتاب ومدحهم ونال عطاءهم ولكن على الرغم من ذلك لم يجد سوق الأدب مربحة ويظهر أنه كان كريماً شديد الإسراف لا تكاد خلته تنسد مما جعله كثيراً ما يشكو الفقر والحاجة ومعاداة الأيام له، فلما وجد مهنة الأدب قد أورثته الخمول ولم تسد حاجته حن إلى حرفة الجزارة عساه يجد فيها بحبوحة العيش التي لم يوفرها له اشتغاله بالأدب

وكان له صديقان شاعران هما: السراج والحمامي وهو ثالثهما الجزار، وكانوا يتطارحون الشعر وقد ساعدتهم صنائعهم وألقابهم على التفوق في نظم التورية ، وما أجمل تصويره لذلك في قوله:

لا تلمنـــــــي يــــــا ســـــــيد شـــــــرف

الــــــدين إذا مــــــا رأيتنـــــــي قصــــــابا

كيـــف لا أشـــكر الجـــزارة مـــا عشـــت

حفاظـــــــــاً وأرفــــــــض الآدابـــــــــا

وبهـــــا أضـــــحت الكـــــلاب ترجّينـــــي

وبالشــــــعر كنــــــت أرجــــو الكلابــــا

ومن أشعاره في حرفته

حســــــبي حرافـــــاً بحرفتـــــي حســــــبي
أصـــــــبحت منهـــــا معـــــــذب القلـــــــب
موســـــــخ الثـــــوب والصـــــحيفة مـــــن
طـــــول اكتســــــابي ذنبـــــاً بـــــلا كســـــب
أعمــــــــل فـــــــي اللحـــــــم للعشـــــــاء ولا
أنـــــــال منـــــــه العشـــــــا فمـــــــا ذنبـــــــي

وقال يمدح الظاهر بيبرس، ويذكر طواف المحمل والنداء في الناس بالحج سنة ٦٦٤هـ:

دَعــاكَ لنصْــرةِ البيــتِ العتيــق ... فــأمكنَ مــنْ يحــجُّ لــه الطريــقُ
ونادتــــك المشــــاعرُ واثقــــاتٍ ... فــــتَمَّ لهــــا بهمَّتِــــك الوثــــوقُ
ومثلــك مــن يغــوثُ إذا اســتغاثت ... بهمَّتــــه وغيــــرك مــــن يعــــوقُ
لقــــدْ أَوْسَــــعتَ بيــــتَ اللهِ بــــرًّا ... وكــانَ مــن الملــوكِ لَــهُ عُقُــوقُ
وقــد أدنيــتَ منــه كُــلَّ قَــاصٍ ... يبيــــتُ وَقَلبُــــهُ قَلْــــبٌ مَشُــــوقُ
لقــد خَفَّفــتَ فيــه عــن الرعايــا ... وقــد حمَلــتْ بــه مَــا لا يطيــقُ
وقمــــتَ مَقَــــامَ إبــــراهيم فيــــه ... فلــم يبعــدْ بــكِ الفَــجُّ العَمِيــقُ

وفــي حَـرَمِ الرسـولِ فعلـتَ أيضًـا ... مــن الحَسَــنَاتِ أحْسَــن مــا يليــقُ

لقــد أثلجــتَ صَــدْرَ الحَــقِّ حتــى ... تلاشَـــى وانطَفَـــى ذَاكَ الحَرِيـــقُ

وأمَّنـــــتَ الـــــبلادَ وَســـــاكنيها ... فبعـــدَ اليـــومِ لا عُـــقَّ العَقيـــقُ

جــزَاكَ اللهُ أحْسَــنَ مــا يُجَــازي ... بـــه ملـــكٌ بمكَّتِـــهِ شـــفيقُ

جَميـــعُ زمانـــه أيـــامُ حـــجٍّ ... فـــلا رَفَـــثٌ بهـــنَّ ولا فُسُـــوقُ

وطــافَ المحمــلُ البلــدين يجلــى ... علــى الأَبْصَــارِ مَنْظَــرُهُ الأنيــقُ

فكـــانَ بـــه لأفئـــدةِ الأَعَـــادي ... وللرّايـــاتِ يَومئـــذٍ خُفُـــوقُ

وجيشُـــكَ للعجـــاجِ يثيـــرُ لـــيلاً ... لوجهـــكَ فـــي دُجُنَّتِـــهِ شُـــرُوقُ

وصـــدرُكَ لا يضـــيقُ بِمَـــا حَـــوَاه ... وإن كـــانَ الفضـــاءُ بِـــه يَضِـــيقُ

لقــد نَصَــرَ الهــدى والحَــقَّ مَلِــكٌ ... بـــأمرِ الـــدِّينِ والـــدُّنيا خَليـــقُ

يفكِّـــرُ بالمصَـــالِحِ لا صـــبوحٌ ... لـــه مـــن دُونَهُـــنَّ ولا غبـــوقُ

وبـــينَ الظـــاهرِ السـلطانِ فـــاعلمْ ... وبـــينَ سِـــوَاهُ فـــي هـــذا فـــروقُ

وفــي الملــكِ السَّــعِيد شــمائلُ مــن ... أبيـــهِ وَحَسْـبُكَ الأصــلُ العَرِيـــقُ

فـــداما للرَّعِيَّـــة مـــا تَغَنَّـــى ... حمـــامٌ وانثنَـــى غُصْـــنٌ وَرِيـــقُ

وفي رثاء الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول :

أمَّـــــا الفتـــــاوى فعليهـــــا السَّــــلام
مُـــذْ فُقِـــدَ الشـــيخُ ابـــن عبـــدِ الســـلامْ
مَــــاتَ فمــــنْ يوضـــــحُ أشْـــــكالَها
ويعـــــرفُ الحِـــــلُّ بهـــــا والحــــرامْ
إنَّـــــا إلــــى اللهِ لفقـــــدِ امــــرئٍ
قــــامَ بحـــــقِّ الله حَـــــقَّ القِيَـــــامْ
مـــــنٍ للتفاســـــيرِ وتَحْرِيرِهَـــــا
مَـــنْ)للأُصُـــوليِّ (وعلـــمِ الكـــلامْ
كُـــلُّ أخـــي عِلْـــمٍ بَكَـــى فَقـــدَهُ
لأنَّـــهُ فـــي كُـــلِّ عِلْـــمٍ إمَـــامْ
كـــمْ دَعْـــوةٍ منـــكَ غنينَـــا بهَـــا
عـــن ذابـــلِ يَـــومِ الـــوَغَى أوْ حُسَـــامْ
مَـــنْ للـــذِي يَطْمَـــعُ فـــي جُـــودِه
بعـــدكَ إن ضَـــنَّ بِغَيـــثٍ غَمَـــامْ
وَمَـــنْ بقـــى ينصـــرُ إخوانَـــه
ويحفـــظُ العهـــدَ وَيَرْعَـــى الـــذِّمامْ
لا تقـــدرُ الأمـــلاكُ تثنيـــكَ عـــن
حـــقٍّ وَكَـــمْ أَغْـــرَاكَ مِـــنْهم مَـــلامْ
زُخْرِفَـــتِ الجَنَّـــةُ شَـــوْقًا إلـــى
وجـــهٍ لـــه تشـــتاقُ دارُ الســـلامْ
والحُـــورُ فـــي أبوابهَـــا قـــد غـــدا
لَهـــا علـــى رُؤْيَـــاكَ أيّ ازدحـــامْ

ابن النبيه المصري

هو كمال الدين علي بن محمد بن الحسن الملقب بـ (ابن النبيه المصري) أحد شعراء العصر العباسي ؛عاش في مصر أثناء حكم الأيوبيين .

نشأته وحياته :-

ولد بمصر عام ٥٦٠ هجريّة ،وارتاد كُتّاب حفظ فيه القرآن الكريم وبعض الأشعار على عادة أقرانه في هذه الأوقات، ثم أخذ يتردد على حلقات العلماء والأدباء، وتفتحت ملكته الشعرية، وطمح إلى الالتحاق بدواوين صلاح الدين الأيوبي ووزيره الكاتب البليغ القاضي الفاضل راعي الأدباء في عصره.

تولى بمصر ديوان الخراج والحساب، ومدح الملوك من بنى أيوب، ووزراء تلك الدولة وأكابرها، ثم اتصل آخراً بخدمة الملك الأشرف مظفر الدين أبى الفتح موسى بن محمد بن أيوب بن شادي، فانتظم في سلك شعراء دولته.

خصائص شعره:-

ينتمى شعر ابن النبيه إلى مدرسة عرفت بمدرسة الرقة، وطريقتها التي عرفت بالطريقة الغرامية ، وهذه المدرسة ظهرت في العصر العباسى وازدهرت في عصر الفاطميين والأيوبيين وتتسم مدرسة الرقة بالألفاظ اللينة وبحور الشعر المجزوءة أو القصيرة، ولا يظهر في فنها أي لون من ألوان التكلف، وقلّ أن يجد ألوان الزينة اللفظية إلا ما جاء للتظرف، وأكثر شعراء هذه المدرسة من الغزليين ولذا عرف مذهبهم في العصر الأيوبي بالطريقة الغرامية.

ومن مشهور قصائده :-

- أفديه إن حفظ الهوى.
- قل للبخيلة بالسلام تودعا.
- أماناً أيها القمر المطل.

وفاته :-

مات ابن النبيه سنة ٦١٩ هجريّة في نصيبين، وقال الملك الأشرف عند موته – وكان معجبا بمحاسن شعره –" مات رب القريض".

من شعره :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا

أفديـه إن حفـظ الهـوى أو ضـيعا	ملـك الفؤاد فمـا عسـى أن أصـنعا
مـن لـم يـذق ظلـم الحبيـب كظلمـه	حلـوا فقـد جهـل المحبـة وادعـى
يـا أيهـا الوجـه الجميل تدارك الصب	النحيــل فقــد عفــا وتضعضــعا
هــل فــي فــؤادك رحمــة لمتــيم	ضــمت جوانحــه فــؤادا موجعــا
فـتش حشـاي فأنـت فيـه حاضـر	تجـد الحسـود بضـد مـا فيـه سـعى
هـل مـن سـبيل أن أبـث صـبابتي	أو أشــتكي بلــواي أو أتضــرعا
إنـــي لأســـتحيي كمـــا عـــودتني	بسـوى رضــاك إليـك أن أتشـفعا
يا عين عذرك في حبيبك واضح	ســحي لوحشــيته دمــا أو ادمعــا
الله أبـــدى البـــدر مـــن أزراره	والشمس من قسمات موسى أطلعا
الأشـرف الملـك الـذي سـاد الـورى	كهـلا ومكتمـل الشـباب ومرضـعا
ردت بـه شـمس السماح علـى الـورى	فاستبشـروا ورأوا بموسـى يوشـعا
سـهل إذا لمـس الصـفا سـال النـدى	صـعب إذا لمـس الأشـم تصـدعا
دان ولكـــن مـــن ســـؤال عفاتـــه	ســام علــى سـمك السـماء ترفعـا

يا برق هذا منك أصدق شيمة | يا غيث هذا منك أحسن موقعا
يا روض هذا منك أبهج منظرا | يا بحر هذا منك أعذب مشرعا
يا سهم هذا منك أصوب مقصدا | يا سيف هذا منك أسرع مقطعا
يا صبح هذا منك أسفر غرة | يا نجم هذا منك أهدى مطلعا
حملت أنامله السيوف فلم تزل | شكرا لذلك سجدا أو ركعا
حلت فلا برحت مكانا لم يزل | من در أفواه الملوك مرصعا
أمظفر الدين استمع قولي وقل | لعثار عبد أنت مالكه لعا
أيضيق بي حرم اصطناعك بعدما | قد كان منفرجا علي موسعا

ومن رائع شعره :

أمانا أيها القمر المطل

أمانـــــا أيهـــا القمـــر المطـــل	علـــى جفنيـــك أســـياف تســـل
يزيـد جمـال وجهـك كـل يـوم	ولـــي جســد يــذوب ويضــمحل
ومـا عـرف السـقام طريـق جسـمي	ولكـــن دل مـــن أهـــوى يـــدل
يميـــل بطرفـــه التركـــي عنـــي	صـــدقتم إن ضـــيق العـــين بخـــل
إذا نشـــــرت ذوائبـــــه علـــــي	تـــرى مـــاء يـــرف عليـــه ظـــل
وقـد يهـدي صـباح الخـد قومـا	بليـل الشـعر قـد تـاهوا وضـلوا
أيـــا ملـــك القلـــوب فتكـــت فيهـــا	وفتكـــك فـــي الرعيـــة لا يحـــل
قليـــل الوصـــل يقنعهـــا فـــإن لـــم	يصـــــبها وابـــــل منـــــه فطـــــل
أدر كـــأس المـــدام علـــى النـــدامى	ففـــي خـــديك لـــي راح ونقـــل
فنيرانـــي بغيـــرك لـــيس تطفـــا	وأشـــــواقي بغيـــــرك لا تبـــــل

بمنظـــرك البـــديع تـــدل تيهـــا ولــــــي ملــــــك بدولتـــــه أدل

أبـو الفـتح الكـريم الطلـق موسـى فتـــى يعطـــي الكثيـــر ويســـتقل

بـه اخضـرت فجـاج الأرض خصـبا فمـــا للمحـــل فـــي بلـــد محـــل

أغــر علــى ســرير الملــك منــه ســـليمان وأهـــل الأرض نمـــل

باكر صبوحك أهنى العيش باكره

باكر صبوحك أهنى العيش باكره فقد ترنم فوق الأيك طائره

والليل تجري الدراري في مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره

وكوكب الصبح نجاب على يده مخلق الدنيا بشائره

فانهض إلى ذوب ياقوت لها حبب تنوب عن ثغر من تهوى جواهره

حمراء في وجنة الساقي لها شبه فهل جناها مع العنقود عاصره

ساق تكون من صبح ومن غسق فابيض خداه واسودت غدائره

بيض سوالفه لعس مراشفة نعس نواظره خرس أساوره

مفلج الثغر معسول اللمى غنج مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره

مهفهف القد يندى جسمه ترفا مخصر الخصر عبل الردف وافره

تعلمت بانة الوادي شمائله وزورت سحر عينيه جاذره

كأنه بسواد الليل مكتحل أو ركبت فوق صدغيه محاجره

نبي حسن أظلته ذؤابته وقام في فترة الأجفان ناظره

فلو رأت مقلتا هاروت آيته الكبرى لآمن بعد الكفر ساحره

قامت أدلة صدغيه لعاشقه ... على عذول أتى فيه يناظره

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما ... وأنت ناه لهذا الدهر آمره

فالعمر كالكأس تستحلى أوائله ... لكنه ربما مجت أواخره

واجسر على فرص اللذات محتقرا ... عظيم ذنبك إن الله غافره

فليس يخذل في يوم الحساب فتى ... والناصر ابن رسول الله ناصره

إمام عدل لتقوى الله باطنه ... وللجلالة والإحسان ظاهره

تجسد الحق في أثناء بردته ... وتوجت باسمه العالي منابره

له على سر ستر الغيب مشترف ... فما موارده إلا مصادره

تنجست بدم القتلى صوارمه ... وطهرت بيد التقوى مآزره

إذا حبا أغنت الأيدي مواهبه ... وإن سطا سدت الدنيا عساكره

أين المفر لمن عاداه من يده ... والوحش والطير أتباع تسايره؟

إن يصعد الجو ناشته خواطفه ... أو يهبط الأرض غالته كواسره

يا جامعا بالعطايا شمل عترته ... كالقطب لولاه ما صحت دوائره

ابن دقيق العيد

محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي أبو الفتح تقي الدين، ابن دقيق العيد.
مولده ونشأته :

ولد سنة خمس وعشرين وستمائة من الهجرة ، في البحر الأحمر عند ساحل ينبع، حيث كان والده مجد الدين القشيري القوصي متوجهاً إلى الحج.
قال ابن حجر : ولد بطريق مكة فِي المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة ويقال إن والده طاف بِهِ عَلَى يديه ودعا لَهُ بالعِلم والعمل.
حفظ القرآن، وسمع الحديث من والده الشيخ مجد الدين القشيري، وأبي الحسن بن هبة الله الشافعي، والحافظ المنذريوغيرهم من العلماء .
نشأ ابن دقيق العيد في مدينة قوص التي كانت تشتهر في ذلك الوقت بمدارسها العديدة ونهضتها الثقافية الواسعة، تحت رعاية والده مجد الدين القشيري الذي تخرج على يديه الآلاف من أبناء الصعيد، كما يشير إلى ذلك الأدفوي في "طالعه السعيد" في تراجم متفرقة.
وقد عاش شبابه تقياً نقياً ورعاً طاهر الظاهر والباطن، يتحرى الطهارة في كل أمر من أمور دينه ودنياه، فحفظ القرآن الكريم حفظاً تاماً، وتفقه على مذهب الإمام مالك على يد أبيه، ثم رجع وتفقه على مذهب الإمام الشافعي على يد تلميذ أبيه البهاء القفطي، كما درس النحو وعلوم اللغة على يد الشيخ محمد أبي الفضل المرسي، وشمس الدين محمود الأصفهاني، ثم ارتحل إلى القاهرة التي كانت في ذلك الوقت مركز إشعاع فكري وثقافي يفوق كل وصف، تكتظ بالعلماء والفقهاء في كل علم وفن، فانتهز ابن دقيق العيد هذه النهضة العلمية الواسعة التي شهدتها القاهرة في ذلك الوقت، والتف حول العديد من العلماء، وأخذ على أيديهم في كل علم وفن في نهم بالغ، ولازم سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام حتى وفاته، وأخذ على يديه الأصول وفقه الإمام الشافعي.
ومكث بالقاهرة فترة يسيرة، اتجه على أثرها إلى مسقط رأسه قوص، حيث تقلد منصب التدريس بالمدرسة النجيبية، وهي إحدى المدارس الشهيرة في قوص، وهو لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره، فالتف حوله المريدون يأخذون على يديه في مختلف الفنون والمعرفة الإسلامية. وقد عرف بغزارة علمه وسعة أفقه، فذاع صيته بين الناس حتى إن والي قوص أسند إليه منصب القضاء على مذهب الإمام مالك. ثم اتجه بعد ذلك إلى القاهرة، وقام فيها بالتدريس بالمدرسة الفاضلية، والكاملية، والصالحية، والناصرية، وكان ثقة في كل ما يقول أو يشرح حتى بلغ في النفوس مكانة سامية مرموقة.

ووصل الفتى بجدّه وذكائه ومثابرته في الدرس وتحصيل العلوم إلى مرتبة قاضي قضاة المسلمين في العصر المملوكي.

وقد وصفه كثير من المؤرخين وكتّاب التراجم والطبقات كالسبكي وابن فضل الله العمري والأدفوي وغيرهم: بأنه لم يزل حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه.. وقف نفسه على العلوم وقصدها، فأوقاته كلها معمورة بالدرس والمطالعة أو التحصيل والإملاء.

وفاته :

توفي سنة ٧٠٢ هـ ، ودفن السبت بسفح المقطم شرق القاهرة، وكان يوماً مشهوداً.

من أشهر مؤلفاته :

- الإلمام الجامع أحاديث الأحكام، في عشرين مجلداً، وهو من أعظم ما صُنف في مجاله.
- شرح كتاب التبريزي في الفقه.
- شرح مقدمة المطرزي في أصول الفقه.
- الاقتراح في علوم الاصطلاح.
- اقتناص السوانح.
- شرح مختصر ابن الحاجب.
- ديوان شعر.

من شعره :

قد جرحتنا يد أيامنا

قـــد جرحتنـــا يـــد أيامنـــا ولـــيس غيـــر الله مـــن آســـي

فــلا تُــرجّ الخلــق فــي حاجــة ليســوا بأهــل لســوى اليــاس

ولا تــزد شــكوى إلــيهم فــلا معنـــى لشـــكواك إلـــى قاســـي

فـــإن تخـــالط مـــنهمُ معشـــراً هويـت فـي الـدين علـى الـراس

يأكــل بعــضٌ لحــم بعــض ولا يحســب فــي الغيبــة مــن بــاس

لا ورعٌ فـــي الـــدين يحمـــيهمُ عنهـــا ولا حشـــمة جـــلاس

لا يعـــدم الآتـــي إلـــى بـــابهم مـن ذلـة الكلـب سـوى الخاسـي

فــاهرب مــن النــاس إلــى ربهــم لا خيــر فــي الخلطــة بالنــاس

ومن شعره :

يهيم قلبي طرباً عندما

يهـــيم قلبـــي طربـــاً عنـــدما	أســـتلمح البـــرق الحجازيـــا
ويســـتخف الوجــد قلبـــي وقــد	أصــبح لــي حســن الحجــى زيــا
يــا هـل أقضّــي حــاجتى مـن مِنــى	وأنحـــــر البـــزل المهاريـــــا
وأرتــوي مــن زمــزمٍ فهــو لــي	ألـــذ مـــن ريـــق المهاريـــا

ابن دانيال

شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف بن معتوق الخزاعي الموصلي لقب ب الشيخ والحكيم ، طبيب رمدي (كحال) وشاعر وفنان عاش في العصر المملوكي وبرع في تأليف تمثيليات خيال الظل وتصوير حياة الصناع والعمال واللهجات الخاصة بهم وحاكى بطريقة مضحكة لهجات الجاليات التي كانت تعيش في مصر في زمنه. من أشهر تمثيلياته التي لا تزال مخطوطاتها موجودة "طيف الخيال "، و" عجيب غريب " و" المتيم وضائع اليتيم ". تعتبر أعماله تصويرا حيا لعصره. وصفه المؤرخ المقريزى بأنه كان كثير المجون والشعر البديع، وأن كتابه طيف الخيال لم يصنف مثله في معناه.

حياته:

ولد ابن دانيال بالموصل في فترة حافلة بالأحداث شهدت توغل المغول داخل الحدود الشرقية للعالم الإسلامي.

درس ابن دانيال القرآن في الموصل وتلقى العلم في مدارسها. وكانت الموصل في ذاك العصر من أهم مراكز العلم والثقافة في العالم الإسلامي. وفي عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م وهو لم يزل صبياً هجم المغول بقيادة هولاكو على بغداد فدمروها وقتلوا الخليفة العباسي المستعصم، وقضوا على حضارتها وفنونها وعمائرها وطاردوا علمائها ومفكريها فقتلوا منهم بعض وفر منهم بعض نزحوا إلى بلاد آمنة بعيدة عن بطشهم. ثم احتل المغول الشام ودخلوا دمشق ولم يعد للمسلمين معقل يزود عنهم سوى مصر .

في عام ١٢٦٠م تمكن قطز سلطان مصر المملوكي من هزيمة المغول في معركة عين جالوت التاريخية ودخلت جيوش المسلمين دمشق وحررتها، وأرغم المغول على التراجع إلى العراق التي بقيت تحت سطوتهم وظلت جريحة تنزف علمائها ومفكريها وتعمها الفتن والتفكك والمجاعات بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمة الإسلامية.

في عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧م نزح ابن دانيال وهو في التاسعة عشرة من عمره إلى مصر مع غيره من العلماء والأدباء والمفكرين. ودخل القاهرة في عهد السلطان الظاهر بيبرس. وكان عهد بيبرس عهد حزم وجهاد ضد المغول والصليبيين خال من اللهو والهزل. وعندما وصل ابن دانيال القاهرة وجد بيبرس قد أصدر مراسيماً تمنع الملاهي والموبقات.

وأتقن ابن دانيال لهجة وألفاظ المصريين في سرعة، وكان يتقن كتابة الشعر حتى وصفه المؤرخ ابن إياس بأنه كان شاعراً ماهراً ، ولكنه عاش في بدايات حياته بمصر في فاقة وقلة مورد، وكان وقتها يعمل كحالاً. وفي تصوير شعري لحاله في تلك الفترة مستخدماً ألفاظاً مصرية يقول:

" يا سائلي عن حرفتي في الوري   وضـــيعتي فـــيهم وإفلاســـي.

مـــا حـــال مـــن درهـــم إنفاقـــه   بأخـــذه مـــن أعـــين النـــاس"

خيال الظل

اتجه ابن دانيال إلى خيال الظل وقد كان وسيلة الترفيه الرائجة في تلك الأيام وأكثر وسائل التسلية شيوعا وانتشارا، وكان الناس من كل الطبقات الاجتماعية يقبلون على مشاهدة عروضه، بما فيهم السلاطين. وقد عرف المصريون في العصر المملوكي بأنهم " ذوو طرب وسرور ولهو" كما وصفهم الرحالة ابن بطوطة الذي زار مصر في ذاك العصر.

وبرع ابن دانيال في هذا الفن فكان هو الذي يؤلف الرواية وهو الذي يكتب حوارها ويلحنها ويعين أزيائها وينظم الأصوات فيها وفوق ذلك كان يشترك بنفسه في أدائها. فكان بذلك هو المؤلف والمخرج والموسيقي والمغني والممثل.

في المرحلة الأولى من عمله في مجال خيال الظل كانت لإبن دانيال دكان كحل في داخل باب الفتوح [١٠]، فكان حينذاك يجمع بين مهنتي الكحالة و" المخايلة "، وفي جزء من الليل كان يؤلف ويدون. ولكنه لم يستمر على هذه الحالة طويلاً، إذ سرعان ما اشتهر وذاع صيته في مجال المخايلة، وصار أرباب الدولة والأمراء يسعون إلى التعرف عليه وينعمون عليه بالهبات والعطايا ويدعونه إلى حفلاتهم ومجالسهم للترفيه عنهم وضيوفهم بعروضه وأشعاره وظرفه وخفة روحه. ففي تلك الأيام كانت عروض خيال الظل تنتقل إلى علية القوم ولا ينتقلون هم إليها. وظل ابن دانيال يعمل على هذا النحو إلى أن أصبح يحصل على راتب من الديوان ، وتحسنت أحواله.

نزح ابن دانيال إلى مصر في سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م وتوفى فيها في سنة ٧١٠ هـ / ١٣١١ م، وبذلك يكون قد عاش في مصر نحو أربعة وأربعين سنة وشهد عهود أكبر سلاطين دولة المماليك البحرية وهم : الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، والأشرف خليل، والناصر محمد بن قلاوون.

من جميل شعره :

هز النسيم معاطف الأغصان

هــزَ النّســيمُ معــاطِفَ الأغصـــان

فانشـــق قلـــب شـــقائق النعمـــان

وَتَبَسَمَ الروضُ الأريضُ عن الرُّبى

بـــــالاقحوان تبســـــم الجـــــذلان

وأبانَت العجمُ الفصاحُ عن الجوى

والشّوق صَدْحاً في غصون البان

يـــا حبّـــذا وادي السّـــدير فإنْـــهُ

مـــأوى المهـــا ومراتِـــعُ الغـــزلان

وادٍ يــزورُ الطيــرُ ناضــرَ روضــه

زمنـــا فيلهيـــه عـــن الأوطـــان

يـا سَـعدُ قـد جـاء الربيـعُ وأَصَـبَحتْ

تلـــكَ الجنـــانُ مـــواطِنَ الولـــدان

وغـدا جليـلُ الطيـر يهتُـفُ بالضـحى

بغرائـــــب الأنغـــــام والألحـــــان

فاتَبعُـــه بالأوتـــار حســـاً مُطربـــاً

قلبـــاً يَهُـــمُّ إليـــه بـــالطيران

مــن كُــلِّ كرْكــيّ تســامى صــاعداً

كـــالمبتغي ذكـــراً لَـــدى كيـــوان

لَطَـــم السّـــحابَ جَنَاحـــهُ بمثالـــه

وأجـابَ صَـوْتَ الرّعـد منـه بثـان

وإوَزُّهُ مِثـــلُ الخريـــدَة صَـــدْرُها

فَعْـــم وَجؤجُؤهـــا بـــديعُ معـــانِ

خنســاءُ واضــحةُ الجبــين صَــباحَة

جيـــداءُ تنظـــرُ نَظْـــرَةَ النّشـــوانِ

تَمشـــي فَتَسُــبرُ كــلَّ روضٍ ناضِــرٍ

رَعْيـــاً بِمنقـــارِ مِـــنَ العُقيـــانِ

أو لَغْلَـــغ حَسَـــنُ الشّـــياة مُـــدَبّج

مثـــلَ العـــروس تُـــزَف ذا ألـــوانِ

وأنيســـةٍ وشّـــى نَهـــارَ أديمِهـــا

ليـــل نجـــومُ ظَلامـــه العينـــانِ

وألـــتّم ذو الحُســـن الأتّـــم كيانُـــهُ

در ومـــن شـــيحٍ لَـــهُ رجـــلانِ

وتخـــالُ خـــالاً لاحَ فـــي منقـــاره

مـــن عَنْبَـــرٍ مُلِهـــي فـــؤاد العـــاني

وِشُـــبَيْطرٍ ألِـــفَ الجبـــالَ تَرَفُّعـــاً

وَسَـــطَا بقوتـــه علـــى الثعبـــانِ

أو مثـــل كـــي للوَقـــار كأنّـــه

قــاضٍ يُــدينُ بحُكمــه الخصــمانِ

أو مثـل غُرنـوقٍ شـريفٍ لـم يَـزَل

بِذؤابتيــــه مُشَــــرفَ الأقـــــرانِ

والصّـوغُ صِـيغَ مِـنَ الملاحَـة كُلّهـا

فَلِــذاكَ يُســبي نــاظِرَ الإنســانِ

أو مثـــلُ عَنّـــازٍ يُريـــك مـــدارعاً

ســـوداً كمثـــل مـــدارع الرُّهبـــان

كالليـــل إلا أنَّ أبـــيضَ صَـــدره

صُــبح تَشَعْشَــعَ واضِــحاً لِعيــانِ

أو حُبْــرُجٍ متَــدرْعٍ نــورَ الضُّــحى

مصَــفَرَّ لــون مثــل ذي اليَرَقــانِ

أو مُـرزمٍ قَـدْ قَـدَّ مـن شَـفَق الـدجى

ثوبـــاً لَـــهُ كـــالورد أحمـــرَ قـــانِ

أو مثـــل نَسْـــرٍ قـــد تَسَـــرْبَلَ حُلـــةً

دكنـــــاءَ دونَ سُـــــمُوَه النســــرانِ

أو كالعُقــاب أخـــي العقــاب بمنســرٍ

وبمخلــــبٍ يُفـــري بِحَـــدِّ سِـــنانِ

طيـــرٌ غـــدا ملِـــك الطيـــور لأنـــه

زَنـــكُ المليـــك الصَـــالِح السُـــلطانِ

أعني فتى المنصور ذا النصر الذي

أردى الطغــــاة بذلــــة وَهَـــــوانِ

ومن رائع شعره :

أصبحت أفقر من يروح ويغتدي

أَصـبّحتُ أَفقَـرَ مَـن يَـروحُ وَيغتـدي

مـا فــي يَـدي مـن فـاقتي إلاَ يَـدي

فــي مَنــزِلٍ لـم يحَـوِ غَيـريَ قاعـداً

فمتــى رَقَـدتُ رَقَـدتُ غيـرَ مُمَـدَّد

لَـمْ يبـقَ فيـهِ سِـوى رسـومِ حَصـيرةٍ

ومخـــــدَّةٍ كانَــــتْ لأُمِّ المهتَــــدي

تُلقــى علــى طُرَّاحــةٍ فــي حَشْـوها

قمــــلٌ شــــبيهُ السمســـمِ المُتَبَـــدِّدِ

والبـــقُّ أَمثـــالُ الصّراصِـــرِ خِلقـــةً

مِــن مُــتْهمٍ فــي حَشـوِها أو مُنْجِـدِ

يَجْعَلْـــنَ جِلْـــدي وارِمـــاً فَتَخالُـــه

مــن قَرْصِـــهِنَّ بـــه يـذوبُ الجلمـدُ

وتــــرى بَراغيثـــاً بجســـمي عُلِّقَــتْ

مثلَ المحـاجمِ فـي المسـاءِ وفـي الغَدِ

وكـذا البعـوضُ يطيـرُ وهـو بِريشـهِ

فمتـــى تمكّــنَ فــوقَ عــرقٍ يفصُــدِ

وَتَـرى الخنـافِس كـالزنوجِ تصـفّقَتْ

مــنْ كُــلِّ ســوداءِ الأَديــمِ وأَســودِ

وَلَرُبّمـــا قُرِنَـــتْ بِجَمْـــعِ عَقَـــاربٍ

قتالــــةٍ قـــدرَ الحمـــامِ الرُّكّــــدِ

وَتقــيمُ لـــي عنــدَ المســاءِ زبانَهــا

فـــأراهُ وهـــو كإصـــبع المتشـــهدِّ

هـذا وَكَـمْ مـن ناشـرٍ طـاوي الحشـا

يبـــدو شـــبيهَ الفتـــكِ المتَســـرِّدِ

يُبـدي إذا مـا انسـابَ صـفحةَ جَـدولٍ

عَبَثَــتْ بــهِ ريــحُ الصّــبا مُتَجعِّــدِ

والفــارُ يَــرْكضُ كــالخيولِ تَســابُقاً

مــن كُــلِّ جَــرداءِ الأَديــمِ وأجــرَدِ

يـــأكُلنَ أَخشـــابَ السّـــقوفِ كمثـــلِ

فـــاراتِ النِّجـــارةِ إذْ تُحَـــكُّ بمِبْـــرَدِ

وكـــأنَّ نســـجَ العنكبـــوتِ وَبَيْتَـــه

شَـــعْرِيّةٌ مـــن فَـــوْقِ مُقْلَـــةِ أرمَـــدِ

وكـــذاكَ للحِـــرذَونِ صَـــوْتٌ مثلُـــهُ

فـي مَسْمَعي صوتُ الزِّنـادِ المُصْـلَدِ

وإذا رأى الخُفّـــاشُ ضـــوءَ ذُبالـــةِ

عنـــدي أَضـــرَّ بِضَـــوئها المتَوَقِّـــدِ

وكأنّمـــا الزنبـــورُ أُلـــبِسَ حُلّـــةً

مُوشِـــــيّةً أعلامُهـــــا بالعَسْـــــجدِ

مُتَـــــرَنِّمٌ بـــــينَ الـــــذُّبابِ مُغَـــــرِّدٌ

لا كـــانَ مـــنْ مُتَـــرَنِّمٍ وَمُغَـــرِّدِ

حَشَـراتُ بيــتٍ لــو تَلَقّــتْ عَسْـكراً

ولّــى علــى الأَعقــابِ غيــرَ مُــرَدَّدِ

هــذا ولــــي ثـــوبٌ تَـــراهُ مُرَقّعـــاً

مـنْ كُـلِّ لَـونٍ مثـل ريـشِ الهُدْهـدِ

لــولا الشّــقاوة مــا وُلِــدْتُ وَلَيتنـــي

إذْ كـــانَ حظِّـــي هكـــذا لـــم أولَـــد

ولكيــفَ أرضـــى بالحيـــاة وَهمّتـــي

تسمو وَحَظِّي في الحضيضِ الأَوهدِ

وأرى السّــعادةَ قــد أُحِلّــتْ مَعْشــراً

رَبــتَ العُــلا لا بــالنُّهى والســؤددِ

ابن سناء الملك

أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، وهذا هو لقبه الذي شُهر به شاعر وأديب متميز. اختلف المؤرخون في سنة ولادته، ولد في مصر.

نشأ في ظل أسرة عريقة، نعمت بالغنى والثروة، وجمعت معها الفضل والمعرفة، وترعرع في كنف أب يرعاه، ويهتم بتعليمه وتثقيفه، فأحفظه القرآن الكريم، ودرّسه اللغة والنحو، فجمع في نشأته الأولى بين علوم الفقه والدين واللغة، وكان مُلمَّاً ببعض اللغات الأجنبية المنتشرة في تلك الحقبة، كاللغة الفارسية التي كان يتقنها وينشر بعض إنتاجه بها، ويستخدم بعض الخرجات الفارسية في موشحاته، كما كان ملماً بعلوم الفلك، حتى كثرت إشاراته لأسماء الكواكب والنجوم والأفلاك ومنازلها، وما يدور حولها من قصص وأساطير.

كانت علاقاته وطيدة بمشاهير وعلماء عصره ويأتي على رأسهم علاقته بالقاضي الفاضل، الذي يقول عنه: «هو الأستاذ وأنا التلميذ له، والمتعلم منه». فكانت بينهما مودة وتواصل بالرسائل، وكتاب «فصوص الفصول» حافل بالرسائل التي أرسلها القاضي الفاضل إلى ابن سناء الملك، والرد عليها، وهذه الرسائل تدل على الصلة الوثيقة بينهما، مما حمل الشعراء المعاصرين على حسده و كان لهذه الصلة أثر بارز في حياة ابن سناء الملك، لأن القاضي الأثير عند صلاح الدين الأيوبي جعل ابن سناء الملك مقرَّباً من صلاح الدين وحاشيته فمدح من السلاطين صلاح الدين وأولاده العزيز والأفضل، وأخاه الملك العادل، ومن الوزراء ابن شكر. وقد استدعاه القاضي الفاضل إلى دمشق، ولكن حنينه إلى القاهرة أعاده سريعاً إلى مصر.

وعلى الرغم من أن ابن سناء الملك أقام بمصر إلا أن شهرته الشعرية طبَّقت الآفاق فَعُرف بين شعراء مصر وشعراء الشام، زاد على ذلك أنه كانت له مجالس تجري فيها المحاورات والمفاكهات التي يروق سماعها، وكانت داره إحدى المنتديات التي جمعت أسباب الترف واللهو، ولكنه كان على جانب كبير من الأخلاق الكريمة، فيها الاعتدال والورع والتقوى والشموخ والاعتداد بالنفس.

إنِتاج ابن سناء الملك:

ترك ابن سناء الملك تراثاً رائعاً يأتي على رأسه:

- ديوانه الشعري، وهو ديوان بديع يشهد برسوخ قدمه في الشعر.
- دار الطراز في عمل الموشحات، وهو أول كتاب نظر للموشحات في تاريخ الأدب العربي كله، حيث قام ابن سناء الملك بوضع أصول وقواعد نظم الموشح كما فعل الخليل مع الشعر، كما يتضمن عدداً كبيراً من الموشحات الأندلسية القديمة، وموشحات ابن سناء الملك.
- فصوص الفصول وعقود العقول، ويتضمن رسائله مع القاضي الفاضل.
- مختصر الحيوان للجاحظ .

من شعره :

قال يمدح الملك العادل

رجــع الغــرام إلـــى الحبيــب الأول

فرجعـــت بعـــد تعـــذلي لتغزلـــي

ولبســـت أثـــواب الصـــبا مصـــقولة

وصـقال ثـوب هـواي شـيب تكهـل

ومــع المشــيب فبعــدُ عنــدي صــبوة

يبلــى القمـيص وفيـه عـرف المنـدل

ولقد ذوى غصني ووجدي ما ذوى

ولقـد بليـت ضـنى وعشـقي مـا بلـي

مــا زلــت اعشــق كــل شــكل فــاتن

حتـــى رميـــت بكـــل أمـــر مشـــكل

وكـــذاك قلبـــي مـــا يـــزال يحلـــه

عشق الغزال هوى وعشق المغزل

وأهـــيم بعـــد مقنـــع بمعمـــم

وأهـــيم بعـــد مخـــتم بمخلخـــل

مســـكية الأنفـــاس طيبـــة بـــلا

طيــب وحاليــة الجمــال بــلا حُلــي

تمشـــي فتعلقهـــا ذوائـــب شـــعرها

فكأنمـــا هـــي ظبيـــة فـــي أحبُـــل

ســـمراء ذابلـــة المعـــاطف واللمـــى

لكـــن وردة خـــدها لـــم تـــذبل

ومـــن الســـعادة أننـــي فـــي خدمـــة

أســـعى لأحرزهـــا بجـــد مقبـــل

لمـا صـديت لهـا ركبـت علـى الصـبا

حتــى وصــلت إلــى الغمــام المسـبل

فخدمتـــــه بمـــــدائحي وقرائحـــــي

وصــــحبته بتوســــلي وتوصــــلي

ملـــك الملـــوك حقيقـــة وهـــم بـــه

مثـل المجـاز مـن الكـلام المهمـل

وســواه إمــا عــاجز لــم يســتطع

نهضــا وإمــا نــاقص لــم يكمــل

خضـعوا لـه طوعـا وكرهـا ، طـائع

بتـــــذلل أو كـــــاره بتـــــذلل

وســع الأنــام بفضــله وبفصــله

حتــى دعــوه بأفضــل ومفضــل

كـــم ســـنة أحيـــا لأن فعالـــه

تجـري علـى سـنن النبـي المرسـل

وقال في النقد :

دعنـــــي أقـــول ودعــــه ينتقـــد

قـــولي الـــزلال ونقـــده البـــرد

ويقـــول : ســـحر مـــا أقـــول لكـــم

قلـــت صـــدقت لأنـــه عقـــد

مـــاذا يضـــير الأســـد إن زارت

أن ظـــل ينقـــد زارهـــا النقـــد

أو مـــا علـــى قـــولي وحملتـــه

زبـــد بنقـــد كلـــه زبـــد

قـــولي يصـــوغ الفكـــر عســـجده

والنقـــد فيـــه يصـــوغه المَعـــد

لا عـــاد وجهـــي ملـــؤه ضـــحك

نقـــد بعـــين ملؤهـــا رمـــد

ابن نباتة المصري

هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر، جمال الدين.

شاعر، وكاتب، وعالم بالأدب، أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة، وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نباتة، سكن الشام سنة ٧١٥هـ (تقريبا) وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة المسيحيين لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود.

ورجع إلى القاهرة (سنة ٧٦١) فكان بها صاحب سر السلطان.

له ديوان شعر وكتاب (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) وغيرها.

ومن شعره :

خلقت على مرادي واقتراحي

خلقـت علـى مـرادي واقتراحـي	فذكرك حضرتي في وقت راحي
ولـى مـن طـرة لـك أو جبـين	شجون في المساء وفي الصباح
بروحـي أنـت ذو جفـن كليـل	وعينـي منـه داميـة الجـراح
غزالـي جفنـه وشـكا فتـورا	فـوا حربـاه مـن شـاكي السـلاح
وتيـاه سـمحت لـه بـدمع	يـرى أن السـماح مـن الربـاح
ومـالي لا أسـيل اجـاج دمعـي	علـى عـذب بمبسـمه قـراح
يحمـر أوجـه الكاسـات هـزؤا	ويضحك في الرياض على الأقاحي
أقمـت بـه علـى نيـران بـرح	فمـا لـي كـابن قـيس مـن بـراح
سقى صـوب الحيـا زمنـاً أقامـت	عليـه صـبابتي ومحـاه مـاح
و كاسـات أشـد يـدي عليهـا	مخافـة أن تطيـر مـن الجمـاح
صـفت فصـفا الزمـان وبشـرتنا	فحلـق درع بشـراها النـواحي
وقـد كـال النـديم بهـا نضـارا	علمنـا أنهـا داعـي السـماح
بكـف مـزركش الأصـداغ تهـوى	لقبلتهـا وجـوه للمـلاح

عشـــــوت لكأســـــه لا للثريـــــا ونســـر الشـــهب خفـــاق الجنـــاح
كـــأني قـــد ســـلبت الـــديك عينـــاً فثـــار مـــن المنـــام إلـــى الصـــباح
كـــأني قـــد حملـــت علـــى همـــومي بهـــا رايـــات لهـــوٍ وانشـــراح
كـــأني اذ صـــحا بالمحـــل أفقـــي رأيـــت لقـــا الليـــالي غيـــر مـــاح
إذا أبصـــرت جـــدا مـــن زمـــان فخالطـــه بشـــيء مـــن مـــزاح
و ليـــل ظلـــت فيـــه لفـــرط عزمـــي كـــأن الشـــهب مـــن شـــرر اقتـــداحي
وموحشـــة المفـــاوز فـــي رباهـــا طغـــت إبلـــي وســـلن مـــع البطـــاح
أرشـــح ذا الخمائـــل مشـــمعلاً بهـــا وأحيـــد عـــن ذات الوشـــاح
لعـــز أو لـــوفر أجتنيـــه علـــى وفـــق احتيـــاجي واجتيـــاحي
علـــي بهـــا الســـرى وعلـــى أيـــادي بنـــي الفـــاروق إدراك النجـــاح
بنـــي فضـــل الإلـــه اذا أجيلـــت غـــداة المحـــل أيســـار القـــداح
نجـــوم العلـــم أنـــواء العطايـــا جيـــاد الســـبق آســـاد الكفـــاح
لآلـــي الســـلك فـــي نســـب نظـــيم ودعنـــا مـــن أنابيـــب الرمـــاح
لأحمـــدهم منـــا هـــي الحمـــد عـــنهم فيـــا كـــرم اختتـــام وافتتـــاح
أخـــو الإغضـــاء عـــن تقصـــير مـــثن وفـــي طلـــب العـــلاءِ أخـــو الطمـــاح

و ذو القلـم الـذي إن قـال أغنـي | عـن استسـماع قعقعـة السـلاح
سـويد القلـب قلـب العـيش منـه | وإلا فهـو قادمـة الجنـاح
فطـوراً فـائض العـذب المهنـى | وطـوراً فـائض السـم الـذباح
أبـا العبـاس قـد حفظـت ثغـور | برأيـك فهـي باسـمة النـواحي
تسـوّك بالقنـا ممـا حبتهـا | بزاتـك أو تمضـمض بالصـفاح
وسـامي الملـك منـك شـهاب عـزم | كفـى المـرّاد قبـل الالتمـاح
و ذا همـم اذا ضـلت سـيوف | تنـادي الجـيش حـيّ علـى الفـلاح
حللـت بـوادي مصـر وشـامٍ | محـلّ النيـل والسـحب الـدلاح
يمـين مكـارم أو صـدر سـر | ملـيّ بالمصـون وبالمبـاح
وأغرقـت ابـن بحـر فـي بيـان | أطـاف بـه علـى لجـج فسـاح
بيـان جـوهري الوصـف تـروي | عوالي الحرب منه عن الصحاح
وأن النـرجس الحاكيـك لفظـاً | لينبـي عـن عيـون ربـاً وقـاح
وأن لراحتيـك علـى الغـوادي | فخـاراً مـا عليـه مـن جنـاح
فـؤاد البـرق منـه فـي التهـاب | ووجـه الـدجن منـه فـي افتضـاح
أمالـك رتبـة العليـا بلفـظٍ | متـين قـوًى وأخـلاق سـجاح

وباعـــث فكرتـــي ســيما جبـــين حمـدت بـه السـرى عنـد الصـباح

عطفـت علـي فـي زمـن حـرون وجـــدت بـــرغم أيـــام شـــحاح

وقربنـــي جنابـــك بعـــد بعـــدٍ ونهنـــه حاســـدي بعـــد الجمـــاح

ونطقنـــي نـــداك وكنـــت حجـــلاً فصـرت اليـوم أنطـق مـن وشـاح

إليـك حسـانَ شـعر لـم تعرهـا ولا أحوجتهـــا حـــظ القبـــاح

مـن اللاتـي زكـت نسـباً ورقـت عليـك شـمائل الخـود الـرداح

ومن قصيدة له في رثاء الملك المؤيد وهي من أ شهر قصائده يقول :

في رثاء المؤيد

مـا للنـدي لايلبـى صـوت داعيـه؟

أظـن أن ابـن شـاد قـام ناعيـه

مـا للرجـاء قـد إ شـتدت مذاهبـه؟

ماللزمـان قـد إ سـودّت نواحيـه؟

ماليأرىالملـك قدفضّـت مواقفـه؟

مـاليأرى الوفـد قـد فاضـت مآقيـه؟

نعـى المؤيـد ناعيـه فيـا أسـفي

للغيـث كيـف غـدت عنـا غواديـه

واروعتـــا لصـــباح عنـــد رؤيتـــه

أظـــن أن صـــباح الحشـــر ثانيـــه

واحســـرتاه لنظمـــي فـــي مدائحـــه

كيـف اسـتحان لنظمـي فـي مراثيـه

أبكيـه بالـدّرر مـن جفنـي ومـن كِلَمـي

والبحــر أحســن مــا بالــدّر أبكيــه

أروي بـدمعي ثـرى ملـك لـه شـيم

قـد كـان يـذكرها الصـادي فترويـه

أذيـــل مـــاء جفـــوني بعـــده أســـفا

لمـاء وجهـي الـذي قـد كـان يحميـه

جـــار مـــن الـــدمع لا ينفّـــك يطلقـــه

مـن كـان يطلـق بالأنعـام جاريـه

ومهجـــة كلّمـــا فاهـــت بلوعتهـــا

قالـــت رزيـــة مولاهـــا لهـــا : إيـــه

ليـــت المؤيـــد لازالـــت عوارفـــه

فــزاد قلــب المعنــيّ فــي تلظيــه

ليــت الحمــام حبــا الأيــام موهبــة

فكــان يفنــي بنــي الــدنيا و يبقيــه

ليــت الأصــاغر تُفــدي الأكبــرون

بهــا فكانــت الشــهب بالآفــاق تفديــه

أعــزز علــي بــأن ألقــى عوارفــه

مــلء الزمــان و إنــي لا ألاقيــه

أعــزز علــي بــان تبلــى شــمائله

تحــت التــراب ومــا تبلــى أياديــه

أعزز علي بأن ترعي النجوم على

سـرح مـن الملـك قـد خـلاه راعيـه

هــلا بغيــر عمــاد الــدين حادثــة

ألقــت رداه وأوهــت مــن مبانيــه

لا أعقــب الــزمن المــودي بســيّده

يكفيــه مــا قــد تــولّي عنــه يكفيــه

لهفـــي وهـــل نـــافعي لهفـــي علـــي

ملك بـا ت الغمـام علـي الآفـاق يبكيه

لهفـــي وهـــل نـــافعي لهفـــي علـــى

ملك كسي الزمان حداداً من دياجيه

لهفيعليالمُلـك قـد أهـوت سـناجقه

إلـــي التـراب وقـد حطـت غواشـيه

لهفيعلىالخيـل قـد وقّـت صـراهلها

حـق العـزا فهـو يشـجيها وتشـجيه

لهفيعلـى ذلك السلطان حين قضـى

مـــن الحمـــام عليـــه حكـــم قافيـــه

لهفـــي عليـــه لجـــود كـــان يعجبـــه

فيـــه المـــلام كـــأن اللـــومَ يغريـــه

كـان المؤيـد فـي يـومي نـديً ورديً

غيثـــا لراجيـــه أو غوثـــا للاجيـــه

لا تخـش بيتـكأن يلـوي الزمـان بـه

فـــإن للبيـــت ربّـــا ســـوف يحميـــه

سهرت عليكِ لواحظُ الرقباء

ســـهرت عليـــكِ لـــواحظُ الرقبـــاء ســـهرا ألـــذّ لهـــا مـــن الاغفـــاء

فمتـــى أحـــاول غفلـــةً ومـــرادهم بيـــعُ الرقـــاد بلـــذة اســـتحلاء

ومتـــى يقصـــر عـــاذلي ورجـــاؤه فـــي مـــرّ ذكـــرك دائمـــاً ورجـــائي

قســـما بســـورة عارضـــيك فانهـــا كالنمـــل عنـــد بصـــائر الشـــعراء

وجفونـــك اللاتـــي تبـــرحُ بـــالورى وتقـــول لا حـــرجٌ علـــى الضـــعفاء

انـــي ليعجبنـــي بلفـــظ عـــواذلي منـــي ومنـــك تجمـــع الأســـماء

وتلـــذ لـــي البرحـــاء أعلـــم أنـــه يرضـــيكِ مـــا ألقـــى مـــن البرحـــاء

ويشـــوقني مغنـــى الوصـــال فكلمـــا ذكـــر العقيـــق بكيتـــهُ بـــدمائي

أيـــام لا أهـــوى لقـــاك بقـــدر مـــا تهـــوي لإفـــراط الـــوداد لقـــائي

متمازجـــان مـــن التعـــانق والوفـــا فـــي الحـــبّ مـــزجَ المـــاءِ بالصـــهباء

لـــو رامـــت الأيـــامُ ســـلوةَ بعضـــنا لـــم تـــدرمن فينـــا أخـــو الاهـــواء

وصـــلٌ ســـهرتُ زمانـــه لتـــنعم وســـهرتُ بعـــد زمانـــه بشـــقاء

يا جفن لست أراك تعرف ماالكرى	فعلام تشكو منه مرّ جفاء
كانت ليالِيَ لذةٍ فتقلصت	بيد الفراق تقلص الأفياء
ومنازل بالسفح غُير رسمها	بمدامعِ العشاقِ والأنواء
لم يبقَ لي غيرُ انتشاقِ نسيمها	ياطولَ خيبةِ قانعٍ بهواء
كمؤمل يبغي براحةِ واهبٍ	كرماً ويتركُ أكرمَ الوزراء
الصاحب الشرف الرفيعِ على السها	قدراً برغمِ الحاسدِ العواء
ندبٌ بدا كالشمس في أفق العلا	فتفرقت أهلُ العلا كهباء
عالي المكانة حيث حلَّ مقامه	كالنجمِ حيث بدا رفيعَ سناء
ما السحبُ خافقةٌ ذوائبُ برقها	بأبرّ من جدواه في اللأواء
لا والذي أعلا وأعلن مجدهُ	حتى تجاوز هامةَ الجوزاء
لا عيبَ في نعماهُ إلا أنها	تسلي عن الأوطان والقرباء
مغرى على رغم العواذل والعدى	بشتاتِ أموالٍ وجمعِ ثناء
لا تستقر يداه في أمواله	فكأنما هو سابحٌ في ماء
جمعت شمائله المديحَ كمثل ما	جمعت أبي جادٍ حروفَ هجاء
وتفردت كرماً وان قال العدى	انَّ الغمامَ لها من النظراء

وتقـدمت فــي كـل محفـل سـؤددٍ تقـــديمَ بســـم اللهِ فـــي الأســـماء
أكـــرمْ بهـــنَّ شـــمائلا معروفـــة يـــوم العلـــى بتحمـــلِ الأعبـــاء
يلـــوي بقـــول اللائمـــينَ نوالهـــا كالســـيل يلـــوي جريـــهُ بغثـــاء
ومراتبـــاً غـــاظ الســـماء علوهـــا فتلقبـــــت للغـــــيظ بالجربـــــاء
ومناقبـــاً تمشـــي المـــدائح خلفهـــا لوفــور ســؤددها علــى اســتحياء
وفضــائلاً كــالروض غنــى ذكرهــا يـــا حبـــذا مـــن روضـــةٍ غنـــاء
ويراعـــةً تســـطو فيقـــرع ســـنها خجــلاً قــوامَ الصــعدة الســمراء
هرقت دم المحل المروع والعدى حتـــى بـــدت فـــي أهبـــةٍ حمـــراء
عجبـــاً لإبقـــاء المهـــارق تحتهـــا ونوالهـــــا كالديمـــــة الوطفـــــاء
كـم عمـرت بحسـابها مـن دولـة وبــلا حســاب كــم ســخت بعطــاء
ولكـم جـلا تـدبيرها عـن مـوطن دهمـــاءَ واســـأل ســـاحةَ الشـــهباء
لـولاك فـي حلـبٍ لأحـدرِ ضـرعها وقـــرى ضـــيوفَ جنابهـــا بعنـــاء
يا من بـه تكفـى الخطـوبُ وترتمـي بكـــــر الثنـــــاء لســـــيدِ الأكفـــــاء
أنـت الـذي أحيـا القـريض وطالمـا أمســـى رهـــين عنـــاً طريـــدَ فنـــاء
فـــي معشـــر منعـــوا اجابـــةَ ســـائل ولقــد يجيــبُ الصــخرُ بالأصــداء

أسفي على الشعراء أنهمو على حـــال تثيـــر شـــماتة الأعـــداء

خاضــوا بحــور الشــعر إلا أنهــا ممــا تريــق وجــوهـهم مــن مــاء

حتـــى اذا لجــأوا اليــكَ كفيــتهم شـــجناً وقلـــت أذلـــةُ العليـــاء

ظنـوا السـؤال خديعـة وأنـا الـذي خـــدعت يـــداه بصـــائر العلمـــاء

أعطـوا أجـورهم وأعطيـتَ اللهـى شـــتانَ بـــين فنـــاً وبـــينَ بقـــاء

شكراً لفضـلكَ فهو نـاعشُ عيشتي ونـداك فهـو مجيبُ صـوتَ نـدائي

من بعد ما ولـع الزمـان بمهجتـي فردعتـــه وحبـــوتني حوبـــائي

وبلغـتَ مـا بلـغ السـحابُ براحـةٍ عرفــتْ أصـــابعُ بحرهـــا بوفـــاء

فـانعم بمـا شـادت يـداك ودمْ علـى مـــرّ الزمـــان ممـــدحَ الآلاء

واحكِ الكواكب في البقاء كمثلِ ما حاكيتهـــا فـــي بهجـــةٍ وعـــلاء

أسامة بن منقذ

مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ ، ينتهي نسبه إلى قضاعة فارس جواد وشاعر مشهود له بالقوة والمقدرة وعلو الشأن .

حياته :

ولد أسامة بن منقذ في شيزرلبني منقذ أمراء شيزر شمال حماة .

كان عمه سلطان أميراً على بلد شيزر وبعد وفاة والده التحق أسامة بجيش نور الدين زنكي، وعاش في بلاط النوريين بدمشق ، ثم في بلاط الفاطميين بالقاهرة ، حيث اشترك في الحملات على الصليبيين في فلسطين. عاد إلى دمشق.

عُني بالشعر والقتال في أول حياته ونظم ديواناً في الفخر والغزل والوصف.

بعثه صلاح الدين الأيوبي كسفير إلى بلاد المغرب لطلب العون من الخليفة أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور.

مؤلفاته :

قضى أسامة آخر حياته في حصن كيفا منفياً فأقبل على التصنيف وصنف كتبا عديدة بلغت ١٣ كتابا وهي:

- كتاب البديع في البديع: كتاب نقد للشعر.
- تاريخ القلاع والحصون.
- أزهار الأنهار.
- التاريخ البلدي.
- نصيحة الرعاة.
- التجائر المربحة والمساعي المنجحة.
- كتاب العصا.
- أخبار النساء.
- ديوان أسامة: ديوان قصائده.
- كتاب النوم والأحلام.
- كتاب المنازل والأديار.

- كتاب لباب الآداب.
- كتاب الاعتبار.

عاش عمرا مديدا حافلا بالمكارم والمآثر ، وشهد الحملات الصليبية.

من شعره كتب إلى الملك الصالح :

بَأبِي شَخصُكَ الذي لا يَغيبُ

بَــأبِي شَخصُــكَ الــذي لا يَغيــبُ	عـن عيـاني وهـو البعيـد القريـبُ
يا مُقيماً فـي الصَّدرِ، قد خفتُ أن يُؤ	ذيــكَ للقلــب حُرقــةٌ ووجيــبُ
وأرى الدمعَ لـيس يُطفـىءُ حرَّ الـو	جــد، إن جــادَ غيثــهُ المسـكُوبُ
كــلّ يــومٍ لنــار شــوقي مــا بيــ	ــن ضُـلوعي بمـاءِ جفنـي لَهيـبُ
وكذا الصبّ يحسن الجور في الحـ	ــبِّ لديــه، ويَعــذُبُ التَّعــذيبُ
لا يهـاب الأسـود فـي حومـة الحـر	ب ويقتــاده الغــزال الربيــبُ
ويجـازي عـن النّفـار مـن الأحبـا	بِ بــالقربِ، إنَّ ذَا لعجيــبُ
يـا مليحَ القـوام عطفـاً فقد يعطـف	ـطفُ من لِينـه القضيبُ الرطيبُ
لكَ قلبٌ أقسـى علينَـا من الصَّخر،	ومــا هكــذا تكُــونُ القُلــوبُ
وبحكــم العَــدوِّ تحكُــم ألحــا	ظُـكَ فــي قلبنــا، وأنـت الحبيـبُ
أنـت عنـدي مثـل ابـن سبراىَ منـه	الداءُ يُردي النفوس وهو الطبيبُ

مـا لـدْمِعى يُسـقَى بـه وردُ خَدَّيــ ... ــك ومرعـاهُ فـوق خـدّي جـديبُ

ولأهــل الصــفاء مــا مــنهم الآن ... ــــــلٌ إذا دعــــــوتُ يُجِيــــــبُ

مــا ظَنَنـا نُفوسَــهم بانصــداع الثَّــ ... الشّــمل يومــاً ولا الفــراقِ تطيــبُ

وقال يمدح الأمير معين الدين بعد أن هزم الفرنج :

كل يوم فتح مبين ونصر

كــل يــوم فــتح مبــين ونصــر ... واعــتلاء علــى الأعــادي وقهــر

قـد أتـاك الزمـان بالعـذر والإعــ ... ــتاب ممــا جنــاه إذ هــو غــر

صدَق الَّنْعتُ فيك، أنتَ معينُ الــ ... ــدين إن النعــوت فــأل وزجــر

أنــت سـيفُ الإسـلامِ حقـاً، فـلا ... ــل غراريـك أيهـا السـيف دهـر

بـك زادَ الإسـلامُ يـا سيفَه المِخــ ... ــذم عــزاً وذل شــرك وكفــر

ثــق بــإدراكِ مــا تؤمِّــلُ؛ إنْ الـــ ... ــلّهَ يجـزِي العبـادَ عمَّـا أسـرُّوا

لـم تـزل تضـمر الجهـاد مسـراً ... ثـم أعلنــت حـين أمكــن جهـر

كـل ذخـر الملـوك يفنـى وذخـرا ... ك همــا الباقيــان: أجــر وشــكر

للنَّــدى مالُــك المبــاحُ، ومــا مــا ... لــك إلا جــرد وبــيض وســمر

عــم أهــل الشــآم عــدلك لكنــ	ــا بعــدنا وغايــة البعــد مصــر
فَحُرْمنــا مــن بيــنهِم رَيْــعَ مــا كنَّــا	زَرعنـــا، وقـــال زيـــدٌ، وعمـــرُو
أمِــنَ العــدلِ أنّنَــا فــي بــلادِ الكُفــ	ــرِ شَـفعٌ، وأنـتَ فـي الغـزوِ وِتْـرُ
كــان حظــي مــن ذاك ذكـراً شـنيعا	ثــم مــا لــي فــيمن يجاهــد ذكــر
لا تَنَاسَى مَن كـانَ ظلَّكَ في العُسـ	ــر وضـيق الزمـان إذ جـاء يسـر
إن حســن الوفــاء مــن ملــك مثــ	ــلك فضـل يرويـه بـدو وحضـر
فـابق واسـلم وزد علـى رغـم أعـدا	ئـك جـدا مـا أعقـب الليـل فجـر
لا أغــبَّ الزَّمـــانُ قصـــدَ أعاديــ	ــك ولا شــد مــن تهيضــت جبــر

ومن جميل شعره :

ذكَر الوفَاءَ خيالُك المُنتابُ

ذكَـر الوفَـاءَ خيالُـك المنتـابُ	فـألمَّ وهـو بودِّنـا مرتـابُ
نفسـي فـداؤكَ مـن خيـالٍ زائـرٍ	متعتِّـبٍ عنـدي لـه الإعتـابُ
مُستَتْشرفٍ كالبدر خلـفَ حِجابِه	أَوَفي الكَرَى أيضاً عليكَ حجابُ!
أنكرتُ هجري، والزّمانُ بجوره	يقضـي بـأن يتهـاجر الأحبـابُ
حظر الوفاءُ عليّ هجركَ طائعاً	وإذا اقتُسرتُ، فما علـيّ عتابُ
ودّي كعهـدكَ والـديارُ قريبـة	مـن قبـل أن تَتَقطَّـع الأسـبابُ
تَبْتٌ، فلا طولُ الزّيارةِ ناقضٌ	منـه، ولـيس يزيـدُه الإغبـابُ

مَن زيَّن الأقحوانَ الرطبَ بالشَّنبِ ؟

مَن زيَّن الأقحوانَ الرطبَ بالشَّنبِ ... ونَّظم الدُّرَّ بين الرّاحِ والحَبَبِ؟

ومن تُرى غَرسَ الأغصانَ حاملة ... شمساً تردّت دياجي الشعر في كثبِ؟

وقل لشادنٍ آرامِ الكناس ألا ... فانظُر إلى مُلَحٍ في شادن العَرب

نارُ الحياءِ بخدَّيه بلا لهبٍ ... قد مازجت ماءَ حسنٍ غيرَ منسكبِ

سبحانَ باري سهامٍ من لواحظه ... من الملاحةِ لا من أسهمِ الغربِ

إذا رَمينَ فَما دُون القلوب، وإن ... حُرسن من جُننٍ تحمي ولا حجبِ

كانت، وليلُ الصِّبا تُخفى دَياجِرُه ... عنِّى سبيل النُّهى والرشد من أربى

أعصى النصيحة فيها غيرَ مُعتَذرٍ ... وأركبُ الغيّ عمداً غير متّئبِ

وأحملُ الضغنَ في وجدي بها وأرى ... حمَل الهَوى مِن وقارِ الحلم أجمَلَ بِي

حتى إذا نادتِ السبعونَ حسبكَ منْ ... تَعليِل قلبِكَ بالآمال والكَذِبِ

أيرجعُ لي شرخُ الشباب وعصره؟

أيرجعُ لـي شـرخُ الشباب وعصـره؟ وكيف رجوع الليل قد لاح فجره؟

رداء قشـيب حـال حالـك لونـه وأنهجـه طـي الزمـان ونشـره

وكنتُ بـه كلَّ الضَّنِينِ فبزَّه المش مشـيب فـويح الشـيب لادر دره

فيا سَعدُ، كَمْ أحسنتَ بي قبلَ هذه فـدونك بـرا خالصـاً لـك شـكره

تَـراء معـي داراً بأكثِبـة الحِمـى فقد ران من دمعي على العين ستره

فـإن تلكُ أطلالِى فَقِف بي بِرَبْعها لأبـرد قلبـا قـد تـوهج جمـره

وأُفـرغ فيهـا قَطَـر دَمـعٍ يُغيـرهُ إذا جَادَها من صيِّبِ الغيثِ قَطَرُه

وعاهـدتُ قلبـى أنَّـه لَـي مُنجـدٌ متـى خنـتم والآن قد بـان غدره

وأبدَى الهوى منـه تجَهُّمَ خَـاذلٍ فمـن خَـانَني مِـن بَعده قَـام عُذْرُهُ

وقـد كـان سُكرُ الحُـبِّ يهفُو بلُبـه ومـا خلتـه يبقـى مع الغدر سكره

ولـم أَتَّبـعْ ضـنا بكـم سَـقَطَاتِكُم لأسـبُرَكُم، والكَلْـمُ يُدميـه سَـبْرُه

ولكـن أرَانِيهَـا اشـتهارُكُمُ بهـا وهل يختفي في حندس الليل بدره

البوصيري

محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري
شاعر صنهاجي اشتهر بمدائحه النبوية.
أشهر أعماله البردية المسماة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية".

حياته :

ولد البوصيري في مدينة دلس، ولاية بومرداس، الجزائر، في ٦٠٨ه لأسرة ترجع جذورها إلى قبيلة صنهاجة إحدى أكبر القبائل الأمازيغية، المنتشرة في شمال إفريقيا، كما أنه أصوله تعود لمنطقة دولة الحماديين أحد فروع قبيلة صنهاجة ثم انتقل مع أبيه إلى مصر القاهرة حيث واصل تلقى علوم العربية والأدب.تلقى البوصيري العلم منذ نعومة أظفاره؛ فحفظ القرآن في طفولته، وتتلمذ على عدد من أعلام عصره، كما تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء المعروفين.

عُني البوصيري بقراءة السيرة النبوية، ومعرفة دقائق أخبار رسول الإسلام وجامع سيرته، وأفرغ طاقته وأوقف شعره وفنه على مدح الرسول، وكان من ثمار مدائحه النبوية (بائياته الثلاث)

وله –أيضا- عدد آخر من المدائح النبوية منها قصيدته "الحائية"، التي يقول فيها مناجيا الله:

بردة البوصيري:

تُعد قصيدته الشهيرة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"، والمعروفة باسم "البردة" أهم أعماله. شرحها الشيخ الأمهري في كتابه "مختصر الكواكب الدرية في مدح خير البرية". وهي قصيدة طويلة تقع في ١٦٠ بيتا.

وقد ظلت تلك القصيدة مصدر إلهام للشعراء على مر العصور، يحذون حذوها وينسجون على منوالها، وينهجون نهجها، ومن أبرز معارضات الشعراء عليها قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي "نهج البردة"، التي تقع في ١٩٠ بيتا

أعمال البوصيرى نثراً وشعراً:

ترك البوصيري عددًا كبيرًا من القصائد والأشعار ضمّها ديوانه الشعري الذي حققه "محمد سيد كيلاني".

وقصيدته الشهيرة البردة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" .

والقصيدة "المضرية في مدح خير البرية"

وقصيدة "ذخر المعاد"

ولامية في الرد على اليهود والنصارى بعنوان: "المخرج والمردود على النصارى واليهود"، وقد نشرها الشيخ "أحمد فهمي محمد" بالقاهرة .

وله أيضا "تهذيب الألفاظ العامية"، وقد طبع كذلك بالقاهرة.

وفاته :

توفى البوصيري بالإسكندرية عام ١٢٩٦م – ٦٩٦هـ،

قصيدة البردة :

قصيدة البردة أو قصيدة البُرأة أو الكواكب الدريَّة في مدح خير البرية، أحد أشهر القصائد في مدح النبي محمد ، كتبها محمد بن سعيد البوصيري في القرن السابع الهجري الموافق القرن الحادي عشر الميلادي.

وقد أجمع معظم الباحثين على أن هذه القصيدة من أفضل وأعجب قصائد المديح النبوي إن لم تكن أفضلها، حتى قيل: إنها أشهر قصيدة مدح في الشعر العربي بين العامة والخاصة.

وقد انتشرت هذه القصيدة انتشارًا واسعًا في البلاد الإسلامية، يقرأها بعض المسلمين في معظم بلاد الإسلام كل ليلة جمعة. وأقاموا لها مجالس عرفت ب مجالس البردة الشريفة، أو مجالس الصلاة على النبي.

يقول الدكتور زكي مبارك:

«البوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين، ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق، فعن البردة تلّقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب، وعن البردة عرفوا أبوابًا من السيرة النبوية، وعن البردة تلّقوا أبلغ درس في كرم الشمائل والخلال. وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون الحرص على تلاوتها وحفظها من وسائل التقرب إلى الله والرسول».

سبب نظم هذه القصيدة

يقول البوصيري عن سبب نظمه لهذه القصيدة:

(كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، منها ما اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن داهمني الفالج (الشلل النصفي) فأبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه فعملتها واستشفعت بها إلى الله في أن يعافيني، وكررت إنشادها، ودعوت، وتوسلت، ونمت فرأيت النبي فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدتُ فيّ نهضة، فقمت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أي قصائدي؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها وقال: والله إني سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة. فأعطيته إياها. وذكر الفقير ذلك وشاعت الرؤيا.

يقول في البردة :

محمد سيد الكونين والثقلي	ن والفريقين من عرب ومن عجمِ
نبينا الآمرُ الناهي فلا أحدٌ	أبر في قولٍ لا منه ولا نعم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته	لكل هولٍ من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به	مستمسكون بحبلٍ غير منفصم
فاق النبيين في خلقٍ وفي خُلُقٍ	ولم يدانوه في علمٍ ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمسٌ	غرفاً من البحر أو رشفاً من الديمِ
وواقفون لديه عند حدهم	من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

فهـو الـذي تـم معنـاه وصـورته ثـم اصـطفاه حبيبـاً بـارئُ النسـم

منـزهٌ عـن شـريكٍ فـي محاسـنه فجـوهر الحسـن فيـه غيـر منقسـم

دع مـا ادعتـه النصـارى فـي نبـيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاتـه مـا شئت من شرف وانسـب إلـى قـدره ماشئت مـن عظـم

فـإن فضـل رسـول الله لـيس لـه حـدٌّ فيعــرب عنــه نــاطقٌ بفــم

أجزاء القصيدة :

تقع قصيدة البردة في عشرة أجزاء هي بالترتيب:

الجزء الأول : في الغزل وشكوى الغرام.
الجزء الثانـي : في التحذير من هوى النفس.
الجزء الثالـث : في مدح سيد المرسلين .
الجزء الرابـع : في مولده .
الجزء الخامس: في معجزاته .
الجزء السادس : في شرف القرآن ومدحه.
الجزء السابـع : في إسرائه ومعراجه .
الجزء الثامـن : في جهاد النبي .
الجزء التاسـع : في التوسل بالنبي .
الجزء العاشـر : في المناجاة وعرض الحاجات.

معارضة البردة:

ألهمت البردة الكثيرين من الشعراء والأدباء والعوام على مر العصور، وأشهر من نهج على نهج البوصيري هو أمير الشعراء أحمد شوقي، وسماها نهج البردة، يقول شوقي في مطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم ... أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا ... يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم

لما رنا حدثتني النفس قائلة: ... يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي

جحدتها وكتمت السهم في كبدي ... جرح الأحبة عندي غير ذي ألم

رزقت اسمح ما في الناس من خلق ... إذا رزقت التماس العذر في الشيم

يا لائمي في هواه والهوى قدر ... لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

لقد أنلتك أذنا غير واعية ... ورب منصت والقلب في صمم

يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبدا ... أسهرت مضناك في حفظ الهوى فنم

أفديك إلفا ولا آلو الخيال فدا ... أغراك بالبخل من أغراه بالكرم

سرى فصادف جرحا داميا فأسا ... ورب فضل على العشاق للحلم

من الموائس بانا بالربى وقنا ... اللاعبات بروحي السافحات دمي

السافرات كأمثال البدور ضحا ... يغرن شمس الضحى بالحلي والعصم

يا بنت ذا اللبد المحمي جانبه ... ألقاك في الغاب أم ألقاك في الأطم؟

وأبيات البردة كثيرة سنوردها كاملة إن شاء الله تعالى في صفحات هذا لكتاب ، وذلك لما فيها من خير الكلم وبديع التصوير ، وروائع الأسلوب ، وجميل اللفظ ، وحلو المعنى وروائع الوصف لصفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، مما أتاح لها الخلود وجعلها تعلق بالأذهان عبر الزمان فتزداد جمالا ، وتتناقلها وتشدو بها الأفواه والشفاه جيلا بعد جيل .

ومن جميل شعر البوصيري قصيدة (كيف ترقى رقيك الأنبياء؟) التي صاغ أبياتها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي تسير في نفس إطار البردة وتنهج طريقها في المديح والوصف ، يقول فيها :

كَيْـفَ تَرْقَــى رُقِيَّـكَ الأَنْبِيَــاءُ	يَاسَـمَاءً مَــا طَاوَلَتْهَـا سـمَاءُ؟
لَـمْ يُسَــاوُوكَ فِــي عُـلاَكَ وَقَـدْحَا	لَ سَـــنىً مِنْــكَ دُونَهُــمْ وَسَــنَاءُ
إِنَّمَــا مَثَّلُــوا صِــفَاتِكَ لِلنَّــا	سِ كَمَــا مَثَّـلَ النُّجُـومَ الْمَــاءُ
أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْ	دُرُ إِلاَّ عَــنْ ضَــوْئِكَ الأَضْــوَاءُ
لَـكَ ذَاتُ الْعُلُـومِ مِـنْ عَـالِمِ الْغَيْـب	وَمِنْــــــهَا لآدَمَ الأَسْــــــمَاءُ
لَـمْ تَـزَلْ فِـي ضَـمَائِرِ الْكَـوْنِ تُخْتَـا	رُ لَــــكَ الأُمَّهَـــاتُ وَالآبَــــاءُ
مَامَضَــتْ فَتْــرَةٌ مَــنَ الرُّسْــل إِلاَّ	بَشَّــرَتْ قَوْمَهَــا بِــكَ الأَنْبِيَــاءُ
تَتَبَــاهَى بِــكَ الْعُصُورُوَتَسْــمُو	بِــــكَ عَلْيَــاءُ بَعْـــدَهَا عَلْيَــاءُ
وَبَــدَا لِلْوُجُــودِ مِنــكَ كَــرِيمٌ	مِــنْ كَـرِيمٍ آبَــاؤُهُ كُرَمَــاءُ
نَسَــبٌ تَحْسِــبُ الْعُــلاَ بِحُــلاَهُ	قَلَّـــدَتْهَا نُجومَهَــا الْجَــوْزَاءُ
حَبَّــذَا عِقْــدُ سُــؤْدَدٍ وَفَخَــارٍ	أَنْــتَ فِيــهِ الْيَتِيمَــةُ الْعَصْــمَاءُ

وَمُحَيّـاً كَالشَّـمْسِ مِنْـكَ مُضِـيءٌ أَسْـفَرَتْ عَنْـهُ لَيْلَـةٌ غَـرَّاءُ

لَيْلَـةُ الْمَوْلِـدِ الـذِي كَـانَ لِلـدِّين سُـرُورٌ بِيَوْمِـهِ وَازْدِهَـاءُ

وَتَوَالَـتْ بُشْـرَى الْهَوَاتِـفِ أَنْ قَـدْ وُلِـدَ الْمُصْـطَفَى وَحَـقَّ الْهَنَـاءُ

وَتَـدَاعَى إِيـوَانُ كِسْـرَى وَلَـولاَ آيَـةٌ مِنْـكَ مَـا تَـدَاعَى الْبِنَـاءُ

وَغَـدَا كُـلُّ بَيْـتِ نَـارٍ وَفِيـهِ كُرْبَـةٌ مِـنْ خُمُودِهَـا وَبَـلاَءُ

وَعُيُونٌ لِلْفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَـا نَ لِنِيـرَانِهِمْ بِهَـا إِطْفَـاءُ

مَوْلِـدٌ كَـانَ مِنْـهُ فِـي طَـالِعِ الْكُفْـر وَبَـالٌ عَلَـيْهِمُ وَوَبَـاءُ

فَهَنِيئـاً بِـهِ لآمِنَـةَ الْفَضْـل الـذِي شُـرِّفَتْ بِـهِ حَـوَّاءُ

مَـنْ لِحَـوَّاءَ أَنَّهَـا حَمَلَـتْ أحمـد أَوْ أَنَّهَـا بِـهِ نُفَسَـاءُ

يَـوْمَ نَالَـتْ بِوَضْـعِهِ ابْنَـةُ وَهْـبٍ مِـنْ فَخَـارٍ مَـا لَـمْ تَنَلْـهُ النِّسَـاءُ

وَأَتَـتْ قَوْمَهَـا بِأَفْضَـلَ مِمَّـا حَمَلَـتْ قَبْـلُ مَـرْيَمُ الْعَـذْرَاءُ

شَـمَّتَتْهُ الأَمْـلاَكُ إِذْ وَضَـعَتْهُ وَشَـفَتْنَا بِقَولِهَـا الشَّـفَّاءُ

رَافِعـاً رَأْسَـهُ وَفِـي ذَلِـكَ الرَّفْـع إِلَـى كُـلِّ سُـؤْدَدٍ إِيمَـاءُ

رَامِقـاً طَرْفُـهُ السَّـمَاءَ وَمَرْمَـى عَـيْنِ مَـنْ شَـأْنُهُ الْعُلُـوُّ الْعَـلاَءُ

وَتَـدَلَّتْ زُهْـرُ النُّجُـومِ إَلَيْـهِ فَ أَضَـاءَتْ بِضَـوْئِهَا الأَرْجَـاءُ

وَتَـرَاءتْ قُصِـورُ قَيْصَـرَ بـالرُّو مِ يَرَاهَـا مَـنْ دَارُهُ الْبَطْحَـاءُ

وَبَـدَتْ فِـي رَضَـاعِهِ مُعْجِـزَاتٌ لَـيْسَ فِيهَـاعَنِ الْعُيُـونِ خَفَـاءُ

إِذْ أَبَتْـهُ لِيُتْمِـهِ مُرْضِـعَاتٌ قُلْـنَ مَـا فِـي الْيَتِـيمِ عَنَّـا غَنَـاءُ

فَأَتَتْـهُ مِـنْ آلِ سَـعْدٍ فَتَـاةٌ قَـدْ أَبَتْهَـا لِفَقْرِهَـا الرُّضَـعَاءُ

أَرْضَعَتْـهُ لِبَانَهَـا فَسَـقَتْهَا وَبَنِيهَـا أَلْبَـانهُنَّ الشَّـاءُ

أَصْـبَحَتْ شُـوَلاً عِجَافـاً وَأَمْسَـتْ مَـا بِهَـا شَـائِلٌ وَلاَ عَجْفَـاءُ

أَخْصَـبَ الْعَيْشُ عِنْـدَهَا بَعْدَ مَحْـلٍ إِذْ غَـدَا لِلنَّبِـيِّ مِنْهَـا غِـذَاءُ

يَـا لَهَـا مِنَّـةٌ لَقَـدْ ضُـوعِفَ الأَجْـر عَلَيْهَـا مِـنْ جِنْسِـهَا وَالْجَـزَاءُ

وَإِذَا سَـخَّرَ الإِلَـهُ أُنَاسـا لَسَـعِيدٍ فَـإِنَّهُمْ سُـعَدَاءُ

حَبَّـةٌ أَنْبَتَـتْ سَـنَابِلَ وَالْعَصْـر لَدَيْـهِ يَسْتَشْـرِفُ الضُّـعَفَاءُ

وَأَتَـتْ جَـدَّهُ وَقَـدْ فَصَـلَتْهُ وَبِهَـا مِـنْ فِصَـالِه الْبُرَحَـاءُ

إِذْ أَحَاطَـتْ بِـهِ مَلاَئِكَـةُ الله فَظَنَّـتْ بِـأَنَّهُمْ قُرَنَـاءُ

وَرَأَى وَجْدَهَابِـهِ وَمِـنَ الْوَجْـد لَهِيـبٌ تَصْـلَى بِـهِ الأَحْشَـاءُ

فَارَقَتْــــهُ كَرْهـــاً وَكَـــانَ لَـــدَيْهَا ثَاوِيـــاً لاَ يُمَـــلُّ مَنْـــهُ الثَّـــوَاءُ

شُــقَّ عَــنْ قَلْبِـهِ وَأُخْـرَجَ مِنْـهُ مُضْـــغَةٌ عِنْـــدَ غَسْـــلِهِ سَـــوْدَاءُ

خَتَمَتْـهُ يُمْنَـى الأَمِـينِ وَقَـدْ أُودع مَـــا لُـــمْ تُـــذَعْ لَـــهُ أَنْبَـــاءُ

صَـانَ أَسْـرَارَهُ الْخِتَـامُ فَـلاَ الْفَـض مُلِـــمٌّ بِـــهِ وَلاَ الإِفْضَـــاءُ

أَلِــفَ النُّسْــكَ وَالْعِبَــادَة وَالْخَلْــوة طِفْــــلاً وَهَكَــــذَا النُّجَبَــــاءُ

وَإِذَا حَلَّـــتِ الْهِدَايَـــةُ قَلْبـــاً نَشِـــطَتْ لِلْعِبَـــادَةِ الأَعْضَـــاءُ

بَعَـثَ اللهُ عِنْـدَ مَبْعَثِـهِ الشُّـهْب حِرَاسـاً وَضَـاقَ عَنْهَـا الْفَضَـاءُ

تَطْـرُدُ الْجِـنَّ عَـنْ مَقَاعِـدَ للسَّـمْع كَمَـا تَطْــرُدُ الــذِّئَابَ الرِّعَـاءُ

فَمَحَـــتْ آيَـــةَ الْكَهَانَـــةِ آيَـــات مِـــنَ الْـــوَحْيِ مَـــالَهُنَّ انْمِحَـــاءُ

وَرَأَتْــهُ خَدِيجَــةٌ وَالتُّقَــى وَالــز هْـــدُ فِيـــهِ سَـــجِيَّةٌ وَالْحَيَـــاءُ

وَأَتَاهَـــا أَنَّ الْغَمَامَـــةَ وَالسَّـــرْح أَظَلَّتْـــــهُ مِنْهُمَـــــا أَفْيَـــــاءُ

وَأَحَادِيـــثُ أَنَّ وَعْـــدَ رَسُـــولِ اللهِ بِالْبَعْــثِ حَــانَ مِنْــهُ الْوَفَــاءُ

فَدَعَتْـهُ إِلَـى الـزَوَاجِ وَمَـا أَحْسَـنَ مَـــــايَبْلُغُ الْمُنَـــــى الأَذْكِيَـــــاءُ

وَأَتَـــاهُ فِـــي بَيْتِهَـــا جَبْرَئِيـــلُ وَلِـذِي اللُّـبِّ فِـي الأُمُـورِ ارْتِيَـاءُ

فَأَمَاطَـــتْ عَنْهَـــا الْخِمارَلِتَـــدْرِي أَهُـــوَ الْـــوَحْيُ أَمْ هُـــوَ الإِغْمَـــاءُ

فَـاخْتَفَى عِنْدَكَشْـفِهَا الـرَّأْسَ جِبْرِيـل فَمَاعَـــــادَ أَوْ أُعِيـــــدَ الغِطَـــــاءُ

فَاسْـتَبَانَتْ خَدِيجَــةُ أَنَّــهُ الْكَنْــز الـــــذِي حَاوَلَتْـــــهُ وَالكِيمْيَـــــاءُ

ثُــمَّ قَــامَ النَّبِــيُّ يَــدْعُو إِلَــى اللَّه وَفِـــي الْكُفْـــرِ نَجْـــدةٌ وَإِبَـــاءُ

أُمَمــاً أُشْــرِبَتْ قُلُــوبُهُمُ الْكُفْــر فَـــدَاءُ الضّـــلاَلِ فِيـــهِ عَيَـــاءُ

وَرَأَيْنَـــــا آيَاتِـــــه فَاهْتَـــــدَيْنَا وَإِذَا الْحَـــقُّ جَـــاءَ زَالَ الْمِـــرَاءُ

رَبِّ إِنَّ الْهُـــدَى هُـــدَاكَ وَآيَـــا نُـــورٌ تَهْـــدِي بِهَـــا مَـــنْ تَشَـــاء

هوامش

١. بردة البوصيري.
٢. المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك ص٢١٥.
٣. البلسم المريح من شفاء القلب الجريح، عمر عبد الله كامل، ص٧.

الصفدي

هو : هو صلاح الدين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبَكِي الفاري الصَّفديّ الدِّمشقيّ الشَّافعيّ.

وُلِدَ في صفد لواحدٍ من أمراء المماليك، سنة ٦٩٦ ه ، ونشأ في أُسرة ثريَّة نشأةً مرفَّهة، فحفظ القرآن العزيز في صغره، ثُمَّ طلب العلم وبرع في النَّحو واللُّغة والأدب والإنشاء، وكتب الخطّ المنسوب، وقرأ الحديث وكتبه. وعمل بصناعة الرَّسم على القماش، ثُمَّ حُبِّب إليه الأدب فولِعَ به، وذكر عن نفسه أنَّ أباه لم يمكِّنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة، فطلب بنفسه وقال الشعر الحسن ثُمَّ أكثر جداً من النَّظم والتَّرسل والتَّواقيع.

أخذ الصَّفدي عن العديد من العُلماء الفضلاء في صفد ودمشق والقاهرة وحلب .

ولـه مؤلفات كثيرة جدا منها :

«الوافي بالوفيات» و«نكت الهميان»، و«كشف الحال في وصف الخال»، وديوان الفصحاء وترجمان البلغاء و«تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف»، و«لوعة الشَّاكي ودمعة الباكي» و «ألحان السَّواجِع» ، والغيث المُسجَم في شرح لاميَّة العجم .

وظائفه التي تقلدها :

تولَّى الصَّفديّ الكثير من الوظائف الإداريَّة والماليَّة في القاهرة ودمشق وصفد وحلب والرحبة، ومن هذه الوظائف:

- كتابة الدّرج بصفد ثم بالقاهرة، وهي تتمثَّل بقراءة المكاتبات على الناس وكتابة الأجوبة، وما يجري مجرى ذلك.
- كتابة الدَّست بدمشق، وكُتَّاب الدَّست هم الذين يجلسون مع كاتب السّرّ بمجلس السُّلطان بدار العدل في المواكب، على ترتيب منازلهم بالقِدمة، ويقرؤون القصص( )على السلطان بعد قراءة كاتب السّرّ، وسُمُّوا كُتّاب الدَّست إضافة إلى دَست السلطان، وهو مرتبة جلوسهم للكتابة بين يديه.
- كتابة السّرّ بحلب والرَّحبة، وتتمثل بقراءة الكتب الواردة على السُّلطان وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السُّلطان عليها، والجُلوس لقراءة القصص بدار العدل والتَّوقيع عليها.
- وكالة بيت المال في دمشق، وتتمثَّل بالتَّحدُّث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته من أراضٍ وعقارات والمعاقدة على ذلك.(١)

شخصيّة الصَّلاح الصَّفدي:

كان الصَّفدي مُحبَّباً إلى الناس، حسن المُعاشرة، جميل المودَّة، وكان إليه المُنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيم، وكانت له هِمَّةٌ عالية في التّحصيل، فما صنَّف إلا وسأل علماء عصره عمّا يلزمه فيه من لُغة، أو نحو أو بلاغة أو فقه أو حديث، فكتب بخطِّه المئينَ من المجلدات، وصنَّف ما يزيد عن خمسين مؤلَّفاً.

وفاته :

في سنة (٧٦٤ هـ) انتشر الطاعون في البلاد المصرية، وامتدَّ إلى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، مما أصاب البلاد الشَّامية بهذا الوباء، وكان من ضحيته عدد من العلماء، كان من أبرزهم صلاح الدين الصفدي، حيث توفي بدمشق في ليلة الأحد، عاشر شوَّال، سنة أربع وستين وسبع مئة، وعمره ثمانٍ وستون سنة. ودُفن بمقابر الشهداء المعروفة بالصوفية، المُطلة على الميدان الأخضر، والّتي أُقيمَ على أنقاضِهَا بناء الجامعة السُّوريَّة، والمستشفى الوطني.

من شعره :

الجَدُّ في الجدِّ والحِرمانُ في الكَسَلِ	فانصبْ تُصِبْ عنْ قريبٍ غايةَ الأملِ
واصبرْ على كلِّ ما يأتي الزَّمانُ بهِ	صبرَ الحُسامِ بكفِّ الدّراعِ البَطَلِ
وجانبِ الحرصَ والأطماعَ تحظَ بما	ترجو من العزِّ والتأييدِ في عَجَلِ
ولا تكونَنْ على ما فاتَ ذا حَزَنٍ	ولا تظلَّ بما أُوتيتَ ذا جَذَلِ
واستشعرِ الحِلمَ في كلِّ الأمورِ ولا	تُسرع ببادرةٍ يوماً إلى رجلِ
وإنْ بُليتَ بشخصٍ لاَ خَلاقَ لهُ	فكُنْ كأنَّكَ لمْ تسمعْ ولمْ يَقُلِ

ولا تُمــارِ ســفيهاً فــي مُحــاورَةٍ ... ولا حليمــاً لكــيْ تنجـو مـنَ الزَّلَـلِ

وَلاَ يغرَّنــكَ مــنْ يُبــدي بشاشَــتَهُ ... إليكَ خِدعاً فـإنَّ السُّمَ فـي العَسَـلِ

وإنْ أردتَ نَجاحــاً أو بلــوغَ مُنــىً ... فـاكتُمْ أمـورَكَ عن حـافٍ ومُنتعلِ

إنَّ الفتى من بماضـي الحَزْمِ مُتَّصفٌ ... وَمَـا تعـوّدَ نقـصَ القـولِ والعمـلِ

وَلاَ يقـيمُ بــأرضٍ طــابَ مسـكنُها ... حتــى يقــدَّ أديــمَ السَّــهلِ والجَبَـلِ

وَلاَ يضـيعُ سـاعاتِ الزَّمـانِ فلـنْ ... يعـودَ مَـا فـاتَ مِـنْ أيامــهِ الأولِ

وَلاَ يُراقـــبُ إلاَّ مَـــنْ يُراقِبُـــهُ ... وَلاَ يُصــاحبُ إلاَّ كــلَّ ذي نُبُــلِ

وَلاَ يعـدُّ عُيوبـاً فـي الـوَرَى أبـداً ... بـل يعتنـي بالـذَّي فيـهِ مـن الخَلَـلِ

وَلاَ يظُـنُّ بهـمْ سُـوءاً وَلاَ حَسَـناً ... بـل التجـاربُ تَهديـهِ عَلَـى مَهَـلِ

وَلاَ يُؤَمِّــلُ آمــالاً بصــبحِ غــدٍ ... إلاَّ علـى وَجَـلٍ مـن وثبـةِ الأجـلِ

وَلاَ يَصـدُّ عـن التقـوى بصـيرتَهُ ... لأنهــا للمعــالي أوضــحُ السُّــبُلِ

فمـنْ تكـنْ حُلـلُ التقـوى ملابسَـهُ ... لمْ يخشَ في دهرهِ يوماً من العَطَـلِ

مَنْ لـمْ يصـنْ عِرضَـهُ ممـا يُدَنِّسـهُ ... عـارٍ وإن كـانَ مغموراً منَ الحُلَلِ

مَنْ لم تُفدهُ صُروفُ الدهر تجربـةً ... فيمـا يحـاولُ فليرعـى مـع الهَمَـلِ

مَـنْ سـالَمتهُ الليـالي فليثِـقْ عَجِـلاً		منهـا بحَـرْبِ عـدوٍّ جـاءَ بالحِيَـلِ

منْ ضيَّعَ الحَزْمَ لم يظفرْ بحاجتِهِ		ومـنْ رمـى بسـهامِ العُجْـبِ لـمْ ينَـلِ

مـنْ جـادَ سـادَ وأحيـا العـالمونَ لـهُ		بـديعَ حمـدٍ بمـدحِ الفِعـلِ مُتَّصِـلِ

مـنْ رامَ نيـلَ العُلـى بالمـالِ يجمعُـهُ		من غيرِ جُودٍ بُلي منْ جهلـهِ وَبُلـي

منْ لمْ يصُنْ نفسَهُ ساءَتْ خليقتُهُ		بكــلِّ طَبْــعٍ لئــيم غيــرِ مُنتَقــلِ

منْ جالسَ الغاغَة النُّوكَى جَنَى نَدَماً		لنفســهِ ورُمــي بالحــادثِ الجَلَــلِ

فخُـذْ مقـالَ خبيـرٍ قـد حَـوى حِكَمـاً		إذ صغتُها بعدَ طولِ الخُبر في عَمَلي

الـهوامش

(١) انظر ترجمة الصَّفدي في :

- طبقات الشافعية الكبرى»: ١٠/ ٥-٣٢،
- الدرر الكامنة»: ٢/ ٨٧،
- المنهل الصافي»: ٥/ ٢٤١-٢٥٧،
- النجوم الزَّاهِرَة»: ١٩/١١-٢١،
- البداية والنهاية»:١٤/ ٣٠٣،
- شذرات الذهب ٣٤٣/٨-٣٤٤ ،
- البدر الطالع»:١/ ٢٤٣ .

سراج الدين الوراق

هو أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن، شاعر مصر في عصره،ولقبه الذي اشتهر به في كتب الأدب (سراج الدين) واشتهر شاعرنا بالوراق نسبة إلى حرفته الوراقة ، كما عرف بالمصري نسبة إلى بلده مصر .

ينحدر من عائلة فقيرة ، لذا عانى كثيرا من قسوة الحياة ومرارتها .

تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في صغره ، وبرز حبه للأدب الذي أهله ليعمل في الكتابة في أحد الدواوين ، فعين كاتبا لوالي مصر الأمير يوسف بن سباسلار.

من شعره :

واخجلتي وصحائفي سود غدا

واخَجْلتـــي وَصَـــحَائفي سُـــودٌ غَـــداً

وَصَـــحَائفُ الأَبْـــرارِ فـــي إشْـــراقِ

وَتَـــوقُّعي لِمـــوبخ لـــي قَائـــلٍ

أَكَـــذا تَكـــونُ صَـــحَائِفُ الـــوَرَّاقِ؟

ويقول :

حلم الوزير أحمد أفرط

حِلْـــمُ الـــوَزيرِ أحمــــدٍ أَفــــرطَ أَو

تَهجَّـــم السَّــــيْلُ علــــى وِطَاقــــهِ

وَلَـــيسَ يَخفَــى السَّـــيْلُ أَنَّ كفَّــهُ

قَـــــادِرَةٌ ثَـــــمَّ علــــى إغْراقـــــهِ

لكنَّـــــــهُ زَارَ حِمَـــــاهُ طَـارِقـــــاً

وَعَـــــادَةُ السَّـــــمْحِ قِـــــرَي طُرَّاقـــــهِ

فَبــــــاتَ فــــــي أَزوادِهِ مُحكَّمـــــاً

وَزَادَ حتَّـــــى زادَ فــــي اسْــــتِغْراقهِ

وَلَـــوْ أَتـــاهُ فــي النَّـــدِي مُحاربـــاً

مَـــا قَـــدَرَ الغَيْـــثُ علـــى لِحَاقـــهِ

أَقَـــدْ رأى الغَيـــثُ أَبَـــرَّ نـــائلاً

منـــهُ وأَحْلَـــى منـــهُ فــي مَذاقـــهِ

وَفَـــارَقَ المجمــــوعَ إلاَّ فَخْـــرَهُ

حَاشَــــاهُ أَنْ يَرْغَـــبَ فـــي فِراقـــهِ

ويقول :

ضاع في موسم الوقود سراجي

ضَـــاعَ فـــي مَوْسِـــمِ الوُقُـــودِ سِـــراجِي
طالمَـــــا ضَـــــاءَ والزَّمـــــانُ زَمَـــــانُ

كـــانَ رَطْـــبَ اللِّســـانِ بَـــينَ كِـــرامٍ
عنـــهُ مَـــا جَـــفَّ مِـــن نَـــداهُمْ بَنـــانُ

وَهُـــــوَ الآنَ يَعـــــرُكُ الأُذْنَ إنّـــــي
طَـــالَ منـــهُ إلـــى المَـــدِيحِ لِسَـــانُ

ويقول:

بين اللواحظ والقلوب

بَيْنَ اللَّوَاحِظِ والقُلُوبِ
لا تَنْطفِى نَارُ الحُروبِ

وَهُنَاكَ لَيْثُ الغَاب يَحْذر
فَتْكَةَ الرَّشَأِ الرَّبيبِ

وأَنَا الجَرِيحُ بِلَحْظِ مَنْ

تَلْقَاهُ ذَا خَلٍّ خَضِيبِ

يُخفى دَمِي وَلَقَلَّما

تَخْفَى إشاراتُ المُرِيبِ

ويقول:

إليــكَ بِــالإِذْنِ صــارَ النــاسُ والجُــودُ

فَــــلا عَـــدِمْنا فَقِيـــداً فِيـــكَ مَوجُـــودُ

وَلِلرَّبِيـــعِ لِســـانٌ ظَـــلَّ يُنشِـــدُنا

النَّبـــتُ أَغيَـــدُ والسُّـــلطانُ مَحمـــودُ

وأَقبلَ الغَيـــثُ منـــهُ حَاجِبـــاً مَلِكـــاً

كَـــمْ شـــاعَ يَومـــاً لـــهُ بالنَّصــرِ مَشـــهودُ

والنِّيـلُ كَـمْ حَسَـدَ القاضِـي علـى مَلِـكٍ

تَصـــوَّرَ الجُـــودُ فيـــهِ بَـــلْ هُـــوَ الجُـــودُ

مَلْــكٌ يَصــدُّ بِنُعمــاهُ القلــوبَ علـــى

ماهَذَّبتْـــــهُ بــــــهِ آبـــــاؤهُ الصِّـــــيدُ

فَيَــا لَجُــدودِ العَــوالي والجــدودِ معــاً

لِـــواؤُهُ حَيـــثُ حَـــلَّ الـــنَّجْمُ مَعْقُـــودُ

لَـــهُ شَـــرِيعةُ عَـــدْلٍ عِنْـــدَها شَـــرَع

سْـــدُ الفَـــلا والمَهـــا والشّـــاءُ والسِّـــيدُ

يَـــا نَـــاظِمَ الطَّعْـــن فـــي لَبَّـــاتِ حُسَّـــدِهِ

كَصَـــنعةٍ مـــا خَـــلا مِـــن نَظْمـــهِ جِيـــدُ

لَقَـــد أَتيْـــتُ بهـــا جُهْـــدَ المُقِـــلِّ

وللسّـــارِى بهـــا ومُقِـــيمُ الـــدَّارِ تَغْرِيـــدُ

تعصي الإله وأنت تظهر حبه

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّه   هَذا مُحالٌ في القِياسِ بَديعُ

لَو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأَطَعتَهُ   إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

في كُلِّ يَومٍ يَبتَليكَ بِنِعمَةٍ   مِنهُ وَأَنتَ لِشُكرِ ذاكَ مُضيعُ

صفي الدين الحلي

صَفِيِّ الدينِ الحِلِّي عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم، السنبسي الطائي.
شاعر عربي نظم بالعامية والفصحى، ينسب إلى مدينة الحلة العراقية التي ولد فيها. عاش في الفترة التي تلت مباشرة دخول المغول لبغداد وتدميرهم الخلافة العباسية مما أثر على شعره، نظم بيتا لكل بحر سميت مفاتيح البحور ليسهل حفظها.

له مؤلفات منها :

- (ديوان شعر)،
- و(العاطل الحالي): رسالة في الزجل والموالي .
- و(الأغلاطي) معجم للأغلاط اللغوية .
- و(درر النحور)، وهي قصائده المعروفة بالأرتقيات .
- و(صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء) .
- و(الخدمة الجليلة) رسالة في وصف الصيد بالبندق.

ولد سنة (٦٧٥ - ٧٥٠ هـ / ١٢٧٦ - ١٣٤٩ م) ونشأ في الحلة، بين الكوفة وبغداد، واشتغل بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في تجارته ويعود إلى العراق. انقطع مدة إلى أصحاب ماردين فَتَقَّرب من ملوك الدولة الأرتقية ومدحهم وأجزلوا له عطاياهم.

ورحل إلى القاهرة، فمدح السلطان الملك الناصر وتوفي ببغداد.

ومن أشعاره الشهيرة التي لا تزال ترددها الألسنة :

سلى الرماح العوالي عن معالينا

واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

بيض صنائعنا سود وقائعنا

خضر مرابعنا حمر مواضينا

لا يمتطى المجد من لم يركب الخطرا

ولا ينـــال العـــلا مـــن قـــدم الحـــذرا

عاش صفي الدين الحلي في الحلة والموصل والقاهرة وماردين وبغداد التي توفي فيها. كان أول من نظم البديعيات. له ديوان (درر النحور في مدح الملك منصور) ، وهو يحتوي على ٢٩ قصيدة كل منها يتكون من ٢٩ بيتا تبدأ أبيات كل قصيدة منها وتنتهي بأحد أحرف اللغة العربية.

نظم الحلّي في فنون الشعر باللهجة المحكية في زمانه.

فكتب في فنون : - الزجل - والموشح

- والقومة.

كما كان أول من صنف كتاباً مختصاً بالشعر العربي العامي ، أورد فيه نماذج من ذلك الشعر في زمنه ضمت أشعاراً نظمها بنفسه.

من شعره :

كـــن عـــن همومـــك معرضـــا

وكـــل الأمـــور إلـــى القضـــا

وانعـــــم بطـــــول ســـــلامة

تســـــليك عمـــــا مضـــــى

فلربمـــــا اتســـع المضـــيق

وربمـــــا ضـــــاق الفضـــــا

ولـــــــرب أمـــــــر مســـــــخط

لـــــك فـــــي عواقبـــــه رضـــــا

الله يفعـــــــل مـــــــا يشـــــــاء

فـــــــلا تكـــــــن متعرضـــــــا

ومن رائع ما قال :

(سلي الرماح العوالي عن معالينا)

سـلي الرمـاحَ العـوالي عـن معالينـا	واستشهدي البيضَ هل خـاب الرجـا فينـا
وسـائلي العُـربَ والأتـراك مافعلـتْ	فـــي أرض قبــر عبيــد الله أيـــدينا
لمـا سـعينا، فمـا رقَّـت عزائمُنـا	عمّـا نـروم، ولا خابـت مسـاعينا
يــايوم وقعــةِ زوْراءِالعــراق وقــد	دِنّــا الأعــادي كمــا كــانوا يــدينونا
بضــمَّرٍ مــا ربطناهــا مســوّمةً	إلاّ لنغــزو بهــا مــن بــات يغزونــا
وفتيــةٍ إنْ نقـل أصـغَوا مسـامعهم	لقولنـــا، أو دعونـــاهم أجابونـــا
قـومٌ إذا استخصِـموا كـانوا فراعنـة	يومــاً، وإن حُكِّمــوا كــانوا موازينــا
تـدرّعوا العقـل جلبابـاً، فـإن حَميـتْ	نــار الــوغى خِلــتهم فيهــا مجانينــا
إذا ادّعَــوا جــاءت الــدنيا مصــدّقة	وإن دعَـــوا قالـــت الأيـــام: آمينـــا

إنّ الزرازيـر لمّـا قـام قائمهـا | توهّمـت أنهـا صـارت شـواهينا
ظنّت تأنّي البزاة الشهب عن جزع | ومـا درت أنـه قـد كـان تهوينـا
بيـادق ظفـرت أيـدي الرّخـاخ بهـا | ولـو تركنـاهم صـادوا فرازينـا
ذلّـوا بأسـيافنا طـول الزمـان، فمـذ | تحكّمـوا أظهـروا أحقـادهم فينـا
لـم يغـنهم مالنـا عـن نهـب أنفسنا | كـأنّهم فـي أمـان مـن تقاضـينا
أخلـوا المسـاجد مـن أشـياخنا وبغـوا | حتـى حملنـا، فأخلينـا الـدواوينا
ثـمّ انثنينـا، وقـد ظلّـت صـوارمنا | تمـيس عجبـاً، ويهتـزّ القنـا لينـا
وللـدماء علـى أثوابنـا عَلَـق | بنشـره عـن عبيـر المسـك يغنينـا
فيـا لهـا دعـوةً فـي الأرض سـائرة | قد أصبحت في فم الأزمـان تلقينا
إنّـا لَقـومٌ أبـت أخلاقنـا شـرفاً | أن نبتـدي بـالأذى مَـن لـيس يؤذينـا
بـيضٌ صـنائعنا، سـود وقائعنـا | خضـر مرابعنـا، حمـر مواضـينا
لايظهـر العجـز منّـا دون نيـل منـىً | ولـو رأينـا المنايـا فـي أمانينـا
مـا أعوزتنـا فـرامينٌ نصـول بهـا | إلاّ جعلنـا مواضـينا فرامينـا
إذا جرينـا إلـى سـق العلـى طلقـاً | إن لـم نكـن سـبّقاً كنـا مصـلّينا
تـدافع القَـدَرَ المحتـوم همّتنـا | عنّـا ونخصـم صـرف الـدهر لوشـينا

نغشى الخطوب بأيدينا، فندفعها وإن دهتنا دفعناها بأيدينا

ملك إذا فوّقت نبل العدوّ لنا رمت عزائمه مَنْ بات يرمينا

عزائمٌ كالنجوم الشهب ثاقبة مازال يحرق منهنّ الشياطينا

أعطى فلا جوده قد كان من غلط منه ولا أجره قد كان ممنونا

كم من عدو لنا أمسى بسطوته يبدي الخضوع لنا ختلاً وتسكينا

كالصلّ ليناً عند ملمسه حتى يصادف في الأعضاء تمكينا

يطوي لنا الغدر في نصح يشير به ويمزج السمّ في شهد ويسقينا

وقد نغصّ ونغضي عن قبائحه ولم يكن عجزاً عنه تغاضينا

لكن تركناه إذ بتنا على ثقة أنّ الأمير يكافيه فيكفينا

لا يمتطي المجدَ من لم يركبِ الخطرا

لا يمتطي المجدَ من لم يركبِ الخطرا، ولا ينالُ العلى من قدمَ الحذرا

ومن أرادَ العلى عفواً بلا تعبٍ، قضَى ، ولم يَقضِ من إدراكِها وطرا

لابدّ للشهدِ من نحلٍ يمنعهُ، لايجتني النفعَ من لم يحملِ الضررا

لا يُبلَغُ السّؤلُ إلاّ بعدَ مُؤلمةٍ، ولا تَتِمُّ المُنى إلاّ لِمَنْ صَبَرَا

وأحزَمُ النّاسِ مَن لو ماتَ مِنْ ظَماٍ، لا يَقرَبُ الوِردَ حتى يَعرِفَ الصَّدَرَا

وأغزَرُ النّاسِ عَقلاً مَن إذا نظَرَتْ عينـاهُ أمـراً غـدا بـالغيرِ معتبـرا

فقَد يُقالُ عِثارُ الرِّجلِ إن عثرَتْ، ولا يُقـالُ عِثـارُ الـرّأيِ إنْ عَثَـرَا

من دبرض العيشَ بالآراءِ دامَ لـهُ صفواً، وجاءَ إليـهِ الخطـبُ معتـذرَا

يَهونُ بالرّأيِ ما يَجري القَضاءُ بِه، من أخطأ الرأيَ لا يستذنبُ القدرَا

مـن فاتـهُ العـزُّ بـالأقلامِ أدركَـهُ بالبِيضِ يَقدَحُ من أعطافِها الشّرَرَا

بكلّ أبيَضَ قد أجرى الفِرنـدُ بـهِ ماءَ الرّدى ، فلو استقطرتَه قطرَا

خاضَ العجاجةَ عرياناً فما انقشعتْ حتـى أتـى بـدمِ الأبطـالِ مـؤتزرَا

لايحسنُ الحلـمُ إلاّ فـي مواطنِـهِ، ولا يَليـقُ الوَفـا إلاّ لِمـنْ شَـكَرَا

ولا ينالُ العُلى إلاّ فتًى شرفَتْ خِلالُـهُ، فأطـاعَ الـدّهرَ ما أمَـرَا

كالصّالِح المَلِكِ المَرهوبِ سَطوَتُه، فلـو توعّـدَ قلـبَ الـدّهرِ لا نفطـرَا

لمّا رأى الشرَّ قد أبدَى نواجذَهُ، والغدرَ عن نابِـهِ للحربِ قد كشرَا

رأى القسـيَّ إناثـاً فـي حقيقتِهـا، فعافَها، واستَشارَ الصّارِمَ الذّكَرَا

فجَرّدَ العَزمَ من قَتلِ الصِّفاحِ لها ملكٌ عن البيضِ يستغني بما شهرَا

يكـادُ يُقـرأُ مـنْ عُنـوانِ هِمّتِـهِ ما في صحائفِ ظهرِ الغيبِ قد سُطِرَا

كالبحرِ والدّهرِ في يومَيْ ندًى وردًى، والليثِ والغيثِ في يوميْ وغًى وقرَى

مـا جـادَ للنـاسِ إلاّ قبـلَ مـا سـألوا، ولا عفـــا قـــطّ إلاّ بعـــدما قـــدَرَا

لاموهُ فـي بذلِـهِ الأمـوالَ، قلتُ لهم: هل تَقدُرُ السُّحبُ ألاّ تُرسلَ المَطـرَا

إذا غـدا الغصـنُ غضـّا فـي منابتِـه، مـن شـاءَ فلـيجنِ مـن أفنانِـهِ الثمَـرَا

مـن آلِ ارتـقِ المشـهورِ ذكـرهُمُ، إذ كـانَ كالمِسـكِ إن أخفَيتَـهُ ظَهَـرَا

الحــاملينَ مــنَ الخطــيّ أطولَــهُ، والنـاقلينَ مـن الأسـيافِ مـا قصـرَا

لم يَرحَلوا عن حِمَى أرضٍ إذا نزَلوا إلاّ وأبقَـوْا بِهـا مِـن جـودِهم أثَـرَا

تَبقَى صَنائعُهم فـي الأرضِ بعدَهمُ، والغَيثُ إن سـارَ أبقَـى بعـدَهُ الزَّهَـرَا

لِلّهِ دَرُّ سَـما الشّـهباءِ مـن فَلَـكٍ، فكلّمـا غـابَ نجـمٌ أطلعـتْ قمـرَا

يـا أيّهـا الملـكُ البـاني لدولتِـهِ ذكراً طوَى ذكرَ أهل الأرض وانتشرَا

كانتْ عِداكَ لها دَستٌ، فقد صَدَعتْ حَصـاةُ جَـدّك ذاك الدّسـتَ فانكَسَـرَا

فـاوقعْ إذا غدروا سوطَ العذابِ بهمْ يظلّ يخشاكَ صرفُ الدّهرِ إن غدرَا

وارعَبْ قلوبَ العِدى تُنصَرْ بخَذْلِهمُ، إنّ النبـيّ بفَضـلِ الرّعـبِ قـد نُصِـرَا

ولا تكـدّرْ بهـمْ نفسـاً مطهـرَة ، فـالبحرُ مـن يومِـه لا يعـرفُ الكـدرَا

ظَنّوا تأنّيكَ عن عَجزٍ، ومـا عَلِموا أنّ التـأنّيَ فـيهمْ يعقـبُ الظفـرَا

أحسَنتُمُ، فبَغَوا جَهلاً ومـا اعترَفـوا لكـم، ومـن كفـرَ النُّعمـى فقـد كفـرَا

واسعدْ بعيدك ذا الأضحى وضحّ بـهِ   وصـلْ وصـلّ لـربّ العـرشِ مـؤتمرَا

وانحَرْ عِداكَ فبالإنعامِ ما انصَلَحوا،   إنْ كـانَ غيـركَ للأنعـامِ قـد نحـرَا

ولشاعرنا قصيدة معجّمة ليس فيها حرف مهمل (غير منقوط) يقول فيها :

فُتِنــــتُ بظَبــــي بَغَـــى خَيبَتـــي

بِجَفـــن تَفَـــنّنَ فـــي فِتنَـــي

تَجَنّـــى، فبِـــتُّ بجَفـــن يَفـــيضُ

فخَيَّبـــتُ ظَنّـــي فـــي يَقظَتـــي

قَضـــيبٌ يَجـــيءُ بـــزيّ يـــزينُ

تَثَنّـــى، فـــذُقتُ جَنـــى جَنّـــةِ

نَجيـــبٌ يُجيـــبُ بفَـــنٍّ يُـــذيبُ

بِـــبَضٍّ خَضـــيب نَفَـــى خِيفَتـــي

بجَفـــن يجـــيءُ ببِـــيض غَـــزَتْ

تَشـــجّ، فتَنفـــذُ فـــي جُبّتـــي

غنـــيٌّ يَضَـــن بـــنَضٍّ نَقِـــيٍّ

فيَقضـــي بغَبنـــي فـــي بُغيَتـــي

تــيَقّظَ بــي غُــنجُ جَفــن غَضــيض

بفَــــنٍّ يشــــنّ ضَــــنى جُثّتــــي

وهنـاك نـوع آخـر مـن شـعره يسمّى الشـعر العاطـل أو المهمـل، والـذي يتميز بخلو كلماته من النقط بقوله:

سَــــدَدَ سَــــهماً مــــا عَــــدا روعَــــه

ورَوّعَ العُصــــمَ، وللأُسْــــدِ صــــادْ

أمالـــــكَ الأمــــرِ أرِحْ هالِكــــاً

مــــدرِعاً للهَــــمّ دِرعَ السّــــوادْ

أراهُ طــــولُ الصــــدّ لمّــــا عَــــدَا

مَرامَــــهُ مــــا هَــــدّ صُــــمَّ الصِّــــلادْ

ودّ وداداً طــــــــارِداً هَمَّــــــــهُ

ومــــا مُــــرادُ الحُــــرّ إلاّ الــــوَدادْ

والمَكــــرُ مَكــــرُوهٌ دَهــــا أهلَــــهُ

وأهلَــــكَ اللهُ لــــهُ أهــــلَ عــــادْ

كما له قصيدة كلُّ كلمة من كلماتـها مُصَغّرة:

قال في وصف الحبيب

نُقـــيط مـــن مُســـيك فـــي وُريـــد

خُويلـــك أم وْشـــيم فـــي خُديـــدِ

وذيـــاك اللويمـــعُ فـــي الضُـــحيا

وُجيهـــك أم قُميـــر فـــي سُـــعيدِ

ظُبـــي بـــل صُـــبيٌ فـــي قُبـــى

مُرَيْبيـــب العطيْـــوة كالأُســـيدِ

مُعيشـــيق الحُريكـــة والمحيـــا

مميشـــيقُ السُـــويلف والقُديْـــدِ

مُغيْســـيل اللُمـــيّ لـــه ثُغيْـــرٌ

رُوْيقتُـــه خُميـــرٌ فـــي شُـــهيدِ

جُفَيْنـــي مـــن هُجَيـــرك فـــي سُـــهيد

أُطيـــولُ مـــن مُطيلِـــك فـــي الوُعيـــدِ

ومـن شـعره (الأرتقيـات) وهـو نـوع مـن القصـائد كتبهـا وفـق نظـام معـين هو :

أن يكون الحرف الأول في البيت هو نفس حرف الروي :
فإذا كان الحرف الأول الكاف كان حرف الروي الكاف أيضا مثل :

كفـــي القتـــال وفكـــي قيـــد اســـراك

يكفيـك مــا فعلـت بالنــاس عينــاك

كلـت لحاظـك ممــا قـد فتكـت بنــا

فمـن تـرى فــي دم العشــاق أفتــاك

كفــاك مـــا أنـــت بالعشـــاق فاعلـــة

لو انصف الدهر فـي العشاق عزاك

كملـت أوصـاف حسن غيـر ناقصـة

لـــو أن حســـنك مقـــرون بحســـناك

كيـف انثنيـت إلــى الأعـداء كاشـفة

غـوامض السـر لمـا اسـتنطقوا فـاك

كتمـت سـرك حتــى قـال فيـك فمـي

شـعرا ولـم يـدر أن القلـب يهـواك

****

كـدت المحــب فمــاذا أنــت طالبــة؟

فنـــى محبــك مــع إشــمات أعــداك

كـــافيتني بـــذنوب لســـت أعرفهـــا

فسامحي واذكري من ليس يسلاك

كلفتنـــي حمـــل أثقـــال عجـــزت بهـــا

وحبـــذا ثقلهـــا إن كـــان أرضـــاك

كابدت هول السرى في البيد مكتسبا

مـالا ومـا كنـت ابغـي المـال لـولاك

كــلا ولا بــت اطــوي كــل مقفــرة

ومهمـــة لـــم تســـر فيهـــا مطايـــاك

كـــان فيـــه الســـما والأرض واحـــدة

ونوقنـــا نجـــب نـــور تحـــت أمـــلاك

وإذا كانت القافية تنتهي بحرف القاف، كان أوائل الأبيات تبدأ بحرف القاف أيضاً كقوله:

قفــي وَدّعينــا قَبْــلَ وشــكِ التَّفــرُّقِ

فمـا أنـا مـن يحيـى إلـى حـين نلتقـي

قَضَـيْتُ ومــا أودى الحِمـامُ بمُهجتــي

وشِـبْتُ ومـا حَـلَّ البيـاض بمفرقــي

قرنْتِ الرّضـى بالسّخط والقُرب بـالنوى

ومزّقـتِ شَـمْلَ الوصـل كـلَّ مُمـزّق

قبلتِ وصـايا البحـر من غيـر ناصـح

وأحيَيْتِ قولَ الهَجْرِ مِنْ غيرِ مُشفِقِ

إذا كانت القافية ميميّة كانت أوائل الأبيات كذلك كقوله:

مغـــانم صـــفو العـــيش أســـمى المغـــانم

هـــي الظـــلُّ إلاّ أنّـــه غيـــر دائـــمِ

ملكـتُ زمـام العـيش فيهـا وطالمـا

رفعـتُ بهـا لـولا وقـوع الجـوازمِ

وهناك قصائد نظمها شاعرنا الحلّي تنتهي بالياء وتبدأ أبياتها بالياء أيضاً، ولكن تمتاز بأنّها تقرأ مقلوبة بقوله:

يَلـــــــذُّ ذُلِّـــــــي بنضــــــــو   لَوْضَـــــنَّ بـــــي لَـــــذَّ ذُلِّـــــيْ

يَلُـــــــمُّ شَـــــــمْلِيْ لِحُسْـــــــن   إنْ سَـــــحَّ لِـــــيْ لَـــــمَّ شَـــــمْلِيْ

البهاء زهير

هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبي، المعروف ببهاء الدين. ينتهي بنسبه إلى المهلب بن أبي صفرة. شاعر من العصر الأيوبي.

وُلد في تهامة قرب مكة، سنة ٥٨١، نزحت أسرته وهو صغير إلى مصر بمدينة قوص مجتمع بعض الأمراء والعلماء والفقهاء وتلقى تعليمه فيها وتنقل بين القاهرة وغيرها في مصر .ولما ظهر نبوغه وشاعريته التفت إليه الحكام بقوص فأسبغوا عليه النعماء وأسبغ عليهم القصائد. وطار ذكره في البلاد وإلى بني أيوب فخصوه بعنايتهم وخصهم بكثير من مدائحه.توثقت صلة بينه وبين الملك الصالح أيوب ويذكر أنه استصحبه معه في رحلاته إلى الشام وأرمينية وبلاد العرب.

يقول عنه ابن خلكان في ترجمته:

من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخطا ومن أكبرهم مروءة كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب بن الملك الكامل بالديار المصرية وتوجه في خدمته إلى البلاد الشرقية وأقام بها إلى أن ملك الملك الصالح مدينة دمشق فانتقل إليها في خدمته وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح وخرجت عنه في دمش وخانه عسكره وهو على نابلس وتفرق عنه وقبض عليه ابن عمه الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقله بقلعة الكرك فأقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بغيره ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية وقدم إليها في خدمته وذلك في أواخر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة. وكنت يومئذ مقيما بالقاهرة وأود لو اجتمعت به لما كنت أسمع عنه فلما وصل اجتمعت به ورأيته فوق ما سمعت عنه من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا وكان متمكنا من صاحبه كبير القدر عنده لا يطلع على سره الخفي غيره ومع هذا كله فإنه كان لا يتوسط عنده إلا بالخير ونفع خلقا كثيرا بحسن وساطته وجميل سفارته. وأنشدني شيئا كثيرا وشعره كله لطيف وهو كما يقال السهل الممتنع وأجازني رواية ديوانه وهو كثير الوجود بأيدي الناس فلا حاجة إلى الإكثار من ذكر مقاطيعه. ثم حصل بمصر والقاهرة مرض عظيم لم يكد يسلم منه أحد وكان بهاء الدين المذكور ممن مسه ألم فأقام به أياما ثم توفي .

حاسـب زمانـك فـي حـالي تصـرفه

تجـده أعطـاك أضـعاف الـذي سـلبا

والله قـــد جعـــل الأيـــام دائـــرة

فــلا تــرى راحــة تبقــى ولا تعبــا

عن شعره :

أثر عنـه أنـه يـأتي بهذه الأوزان الخفيفـة ليطالعنـا بقدرتـه الفنيـة فـي إخـراج أوزان تنسـاب فيهـا النغمـات العذبـة فـي جوهـا الموسـيقي الحافـل بـالألحـان الشـجية فصـارت بهـذه الأوزان قصائده شعراً غنائياً جميلاً، وقد علق علـى هذه الأوزان المرحوم مصطفى عبد الرزاق حين قال: "انتشرت في عهد البهاء زهير أوزان التواشيح الآتية من الأندلس وذلك لا بدّ أن يكون نبه الشعراء إلى فن من الألحان الشعرية جديد، فاهتدت الفطر الموسيقية إلى اختيـار البحـور اللطيفـة والأوزان الموفـورة الحـظ مـن الموسـيقى ومـن التـأثير، وهـذا شـأن البهاء زهير، فإننا نجده في غير شعر المديح قلما يركن إلى غيره من الأوزان الخفيفة.

مختارات شعره

يقول:

مضـى الشـباب وولـى مـا انتفعـت بـه

وليتـــه فـــارط يرجـــى تلافيـــه

أوليــت لـــي عمـــلا فيـــه أســـر بـــه

أوليتـه مـا جـرى لـي مـا جـرى فيـه

فـاليوم أبكـي علـى مـا فـاتني أسـفا

وهــل يفيــد بكــائي حــين أبكيــه

واحســـرتاه لعمـــر ضــــاع أكثـــره

والويــل إن كــان باقيــه كماضــيه

ومن جميل الحكم التي قالها :

لا تعتـب الـدهر فـي حـال رمـاك بـه

إن اســـترد فقـــدما طالمـــا وهبـــا

يقول في الغزل:

تعيش وتبقى

تعـــــــيشُ أنـــــــتَ وتبقـــــــى

أنــــا الــــذي مُـــــتُّ حقــــا

حاشـــــاكَ يــــا نــــورَ عَينــــي

تلقــــى الــــذي أنــــا ألقــــى

قــــد كــــان مــــا كــــان منــــي

والله خَيـــــــــرٌ وأبْقـــــــــى

ولـــــم أجـــدْ بـــين مـــوتي

وبـــــين هجـــــرك فرقـــــا

يـــــا أنعـــــم النـــــاس بـــــالاً

إلــــى متـــــى فيــــكَ أشـــقى

سَـــــمعْتُ عَنــــــكَ حَــــــديثا

يـــــاربّ لا كـــــان صِـــــدقا

حاشـــــاكَ تـــــنقُض عهـــــدي

وَعُرْوتــــــي فيــــكَ وُثقــــى

ومــــــــــا عَهـــــــــدتُكَ إلا

مـــن أكــــرمَ النــــاس خُلقـــا

يـــــا ألــــفَ مَــــوْلايَ مَهْــــلا

يـــــا ألــــف مــــوْلايَ رفقـــا

لــــــك الحيـــــــاةُ فـــــإني

أمــــوتُ لاشــــكّ عشــــقا

لــــــم يَبـــــقَ منــــــي إلا

ومن غزله الرقيق قصيدة :

سلامي على من لا أسمّيه

اقـرأ سـلامي علـى مَـن لا أسـمّيه	ومَـن بروحـي مـنَ الأسـواءِ أفديـهِ
ومَــنْ أُعـرضُ عَنــهُ حـينَ أذكُـرُهُ	فــإن ذكَــرْتُ ســواهُ كنــتُ أعنيــهِ
أشرِ بذكْريَ في ضِمن الحَديثِ لـه	إن الإشــارةَ فــي مَعنــايَ تكفيــهِ
وأسألهُ إن كانَ يُرضيه ضَنى جسدي	فحبّـذا كــل شــيء كــانَ يرضــيهِ
فليت عين حبيبي في البُعادِ تَرى	حـالي ومـا بـي مـن ضُـر أقاسـيهِ
هل كنتُ من قوم موسى في محبّته	حتــى أطــالَ عـذابي منــهُ بالتيــه
أحببـتُ كـل سـميّ فـي الأنـام لـهُ	وكـلّ مَـن فيـه معنـى مـن مَعانيـهِ
يغيــبُ عنـــي وأفكـــاري تُمثلُـــهُ	حتــى يُخيّــل لـــي أنـــي أناجيــهِ
لا ضَيمَ يَخشاه قلبي والحبيبُ بِهِ	فـــإنّ ســـاكِن ذاك البيــتِ يَحميــهِ
من مثل قلبي أو من مثل ساكنه	الله يَحفـــظُ قلبـــي والـــذي فيـــهِ

يا أحسنَ الناس يا مَن لا أبوح به ... يـا مـن تجنّـى ومـا أحلـى تجنّيـهِ

قد أتعس الله عينًا صرتَ توحشها ... وأسـعد الله قلبـاً صـرتَ تأويـهِ

مولاي أصبح وَجدي فيكَ مُشتهرًا ... فكيـف أسـتُرُهُ أم كيـف أُخفيـهِ

وصـارَ ذِكـريَ للواشـي بـهِ وَلـعٌ ... لقـد تكلّـفَ أمـرًا لـيس يَعنيـهِ

فمَـن أذاعَ حـديثاً كنـتُ أكتُمُـهُ ... حتى وَجدتُ نسيمَ الرّوْض يرويهِ

فيا رَسولي تَضرّعْ في السؤالِ لهُ ... عَسـاكَ تَعطِفُـهُ نَحـوي وتَثنيـهِ

إذا سـألتُ فسَـلْ مَـن فيـهِ مكرُمَـةٌ ... لا تَطلُـبِ المـاءَ إلا مِـن مَجاريـهِ

إلى كمْ أُداري ألْفَ وَاشٍ وحاسدِ ؟

إلــى كـمْ أُداري ألْـفَ وَاشٍ وحاسـدِ؟ فمن مرشدي من منجدي من مساعدي

ولوْ كانَ بعضُ النّـاسِ لـي منـه جانبٌ وعيشــكَ لــم أحفـلْ بكـلّ معانــدِ

إذا كنتَ يـا روحـي بعهديَ لا تَفـي فمَن ذا الـذي يرْجو وَفـاءَ مَعاهدي

أظـنّ فـؤادي شـوقهُ غيـرُ زائـدٍ وأحسَـبُ جَفنـي نَوْمُـهُ غَيـرُ عائِـدِ

أبـــى اللهُ إلاّ أنْ أهـــيمُ صـــبابة بحفـظِ عهـودٍ أوْ بـذكرِ معاهـدِ

وكم مَوْرِدٍ لـي فـي الهوَى قد وَرَدتُـهُ وضيعتُ عمري في ازدحامِ المواردِ

وَمـا لـيَ مَـن أشـتاقُهُ غَيـرُ واحِـدٍ فلا كانَتِ الدّنيا إذا غابَ وَاحدي

أأحْبابَنــا أيــنَ الــذي كــانَ بَيْننــا؟ وَأيـنَ الـذي أسـلَفْتُمُ مـن مَواعِـدِ؟

جعلـتكُمُ حَظّــي مـنَ النّــاسِ كُلّهـم وأعرضـتُ عـن زيـدٍ وعمـرو وخالـدِ

فـلا تُرْخِصُـوا ودّاً علـيكم عرَضْتُهُ فيـا رُبّ مَعـرُوضٍ ولـيسَ بكاسِـدِ

وحقكمُ عنـدي لـهُ ألـف طالـبٍ — وألـفُ زبـونٍ يشـتريهِ بزائـدِ

يَقولـونَ لـي أنتَ الذي سارَ ذكرُهُ — فمِـنْ صـادِرٍ يُثنـي عليـهِ ووارِدِ

هبوني كما قد تزعمونَ أنا الذي — فـأينَ صِـلاتي منكُمُ وَعَوَائـدي؟

وقد كنتمُ عوني على كلّ حادثٍ — وذُخـري الـذي أعدَدْتُـهُ للشّـدائِدِ

رَجَـوْتُكُمُ أنْ تَنصُـرُوا فخَـذَلتُمُ — على أنّكمْ سَيفي وكَفّي وساعِدي

فَعَلـتمْ وقُلـتمْ وَاستَطَلتمْ وجُـرْتمُ — ولَستُ عليكم فـي الجَميعِ بواجِدِ

فجـازيتمُ تلـكَ المـودةَ بـالقلى — وذاكَ التّـداني مـنكُمُ بالتّباعُـدِ

إذا كـانَ هـذا فـي الأقـارِبِ فِعلَكُـمْ — فمـاذا الـذي أبقيـتمُ للأباعـدِ؟

أنا في الحبّ صاحبُ المعجزاتِ

أنـا فـي الحبّ صـاحبُ المعجزاتِ جئــــتُ للعاشـــقينَ بالآيــــاتِ

كــانَ أهْـلُ الغـرامِ قَبلــيَ أُمِّــيِّ يـــنَ حتـــى تلقنـــوا كلمـــاتي

فأنـــا اليَـوْمَ صـــاحبُ الوَقـتِ حقّـاً والمحبـــونَ شـــيعتي ودعـــاتي

ضـــربتْ فــيهمُ طبــولي وســـارتْ خافِقـــــاتٍ عَلَـــــيهِمُ رَايـــــاتي

خَلَـبَ السّـامِعينَ سِـحرُ كلامــي وَســرَتْ فــي عُقُــولِهِمْ نَفَثــاتي

أيــنَ أهـلُ الغـرامِ أتلــو علــيهمْ باقيــاتٍ مــنَ الهــوى صـــالحاتِ؟

خُـتِمَ الحُـبُّ مـن حَـديثي بمِسكٍ ربّ خيـرٍ يجـيءُ فــي الخاتمـاتِ

فعلـــى العاشــقينَ منـــي ســـلامٌ جـاءَ مثـلَ السـلامِ فـي الصـلواتِ

مَـذهبي فــي الغـرامِ مَـذهبُ حَـقٍّ وَلقـــد قُمـــتُ فيـــهِ بالبَيّنَـــاتِ

فلَكَـــم فـــيّ مِـــن مَكـــارِمِ أخـــلا قٍ وكـمْ فــيّ مـن حميـدِ صـفاتِ

لستُ أرْضَى سوَى الوَفاءِ لذي الو دِّ وَلـوْ كـانَ فـي وَفـائي وَفـاتي

وألــوفٌ فلــوْ أفــارقُ بؤســاً لَتَوالَــتْ لفَقْــدِهِ حَسَــرَاتي

طـاهرُ اللّفـظِ والشّـمائلِ وَالأخْ لاقِ عَـفٌّ الضّـميرِ وَاللّحَظـاتِ

ومــعَ الصـمتِ والوقــارِ فــإني دَمِــثُ الخُلْــقِ طَيّــبُ الخَلَــوَاتِ

يَعشَقُ الغُصْنَ ذا الرشـاقَةِ قَلْبـي ويحــبّ الغــزالَ ذا اللفتــاتِ

وحبيبــي هــوَ الــذي لا أسميــ ــهِ علـى مـا اسـتَقَرّ مِـنْ عـاداتي

ويقولـونَ عاشِـقٌ وَهـوَ وَصْـفٌ مـن صـفاتي المقومـاتِ لـذاتي

إنّ لــي نيــةً وقــد علـمَ الـــ ــلهُ بهـا وهـو عـالمُ النيـاتِ

يــا حَبيبــي وَأنــتَ أيُّ حَبيــبٍ لا قضــى اللهُ بيننــا بشــتاتِ

إنّ يَوْمــاً تــراكَ عَينــيَ فيــهِ ذاكَ يـوْمٌ مُضـاعَفُ البركـاتِ

أنـتَ روحـي وقـد تملّكـتَ روحـي وحيـاتي وقـد سـلبتَ حيـاتي

مُـتُّ شَـوْقاً فـأحيِني بوِصـالٍ أخبرِ النـاسَ كيفَ طعمُ المماتِ

وكَمـا قـد عَلِمـتَ كـلُّ سُـرورٍ ليسَ يبقى ، فوَاتِ قبلَ الفوَاتِ

فرعــى اللهُ عهــد مصــرٍ وحيّــا ما مضى لي بمصرَ منْ أوقاتِ

حبـذا النيـلُ والمراكـبُ فيـهِ مُصْـعِداتٍ بنَـا وَمُنحَـدِراتِ

هاتِ زدني من الحديثِ عن النيـ ـلِ ودعني من دجلةٍ وفراتِ

وليـاليّ فـي الجزيـرةِ والجيـ ـزةِ فيما اشتهيتُ من لذاتِ

بـينَ رَوْضٍ حكَـى ظُهـورَ الطواويـ ـسِ وَجَـو حكَـى بُطـونَ البُـزاة

حيثُ مجرى الخليجِ كالحيةِ الرقـ ـطـاءِ بـينَ الريـاضِ والجنـاتِ

وَنَـديمٍ كَمـا نُحِـبّ ظَريـفٍ وعلى كلّ ما نحبّ مؤاتي

كـلُّ شـيءٍ أرَدتُـهُ فهْـوَ فيـهِ حسـنُ الـذاتِ كامـلُ الأدواتِ

يا زماني الذي مضى يا زماني لـكَ منـي تـواترُ الزفـراتِ

نصير الدين الحمامي

هو نصير الدين، واسمه أحمد بن علي المناوي، توفي سنة ٧٠٨ ه. من شعراء الظرف والحرفة، ومن أصحاب الموضحات. له قوله:

اشتهر بنسبته الحمامي لأنه كان يعمل في اكتراء الحمامات ليعتاش منها.

وهو أحد الشعراء أرباب الحرف والمهن في العصر المملوكي ، فقد كان يرتزق بضمان الحمامات شأنه شأن أقرانه من شعراء العصر الذي أوصدت أبواب المماليك في وجوههم فارتدوا على صنائعهم التي ورثوها عن آبائهم ، أو تعلموها ليسترزقوا منها ويصونوا أنفسهم عن ذل المسألة .

من شعره :

قال يصف داره

ودار خــــراب نزلـــــت بهـــا	ولكـــن نزلـــت إلـــى الســـابعة
فـلا فـرق بـين أنـي أكـون بهـا	أو أكـــون علـــى القارعـــة
تســـاورها هفـــوات النســـيم	فتـــنفض بـــلا إذن ســـامعة
وأخشـــى بهـــا أن أقـيم الصـلاة	فتســـجد حيطانهـــا راكعـــة
إذا مـــــاقرأت(إذا زلزلـــــت)	خشــيت بــأن تقــرأ (الواقعــة)

ويقول في موشحة كتبها إلى سراج الدين الوراق :

أهوى رشا في مهجتي مرتعه	أفديه ربيب
لا بل قمرا في ناظري مطلعه	لم يدر مغيب
حقف وهلال وغزال وغصن	
إن قام وإن رنا وإن لاح وإن	

والمؤمن كما قيل كيس فطن

قلبي أبدا إلى محياه يحن

ما أبعده وفي الحشا موضعه   نائي وقريب

قد راق به شعري لمن يسمعه   إذ كان حبيب

يا خجلة غصن البان لما خطر

يا حيرة بدر التم لما سفرا

يا غيرة ظبي الرمل لما نظرا

يا رخص فتيق المسك لما نثرا

من لؤلؤ نثره لمن يجمعه   زاهٍ رطيب

ما أسعد ما أعيا في تصنعه **!**   عقد التريب

دعني فحديث العشق إفك ومرا

عندي إنك الزمان والحق أرى

مدحي لسراج الدين نور الشعر

والكاتب عند الأمراء والوزرا

كم فيه فضيلة غدت ترفعه   عن قدر أديب

والله بما قد حازه ينفعه   والله مجيب

معنى شعره وفاق مغنى كرما

تلقاه إذا نحوته في العلما

المفرد في ومانه والعلَما

وكن متمثلا رسومه إن رسما

فالفضل إليه كله مرجعه   والرأي مصيب

لولا عمر الفصل عفت أربعه   أو كان غريب

بالفرع غدت في شفق الخدين

كالدر يلوح نوره للعين

لمياء رماها هاجري بالبين

عنته وقد فارقها يومين

قد غاب ولي يومين ما أقشعه   خلوه بغيب

لو راح إلى نجد اتنا أتبعه   حتى لو أصيب

وكتب إلى السراج الوراق يقول :

يأيهـــا المـــولى الســـرا   ج ومـــا جـــدا أعلـــى منـــاره

يـــا مـــن تجـــاوز فضـــله   حـــد القيـــاس مـــع العبـــارة

يـــا مـــن يلـــوح بوجهـــه   حســـن لنـــاظره نضـــاره

يـــا بـــدر تـــم كـــم عليـــه   غـــدت مـــن الفضـــلاء داره

كـــم فـــي الـــورى معنـــى تثيـــر   ولـــم أقـــل طـــورا وتـــارة

وإذا مـــــدحناه فمـــــا   فيـــه صـــفات مســـتعاره

لمبشـــــري إن زرتنـــــي   بشـــرى ويحظـــى بالبشـــارة

يــا واعــدي فــي الســبت هــذا الســـبت جـــاء وشـــن غـــارة

متصـــــــدقا زرنـــــــي فـــــذا يـــــوم التصـــــدق والزيــــارة

مختارات من الشعر المملوكي

قال صفي الدين الحلي في قصيدة :

قالت

قالت:كحلـــت الجفـــون بالوســـن	قلت:ارتقابـــا لطيفـــك الحســـن
قالت:تســـليت بعــــد فرقتنـــا	قلـت:عن مسـكنى وعــن سـكنى
قالت:تشـــاغلت عـــن محبتنـــا	قلـت :لهـا بفـرط البكـاء والحـزن
قالت:تناســـيت قلت:عـــافيتى	قالت:تناءيـت قلــت:عن وطنـــى
قالت:تخليـــت قلـــت:عن جلـــدى	قالـــت:تغيرت قلـــت:فى بـــدنى
قالت:تخصصـــت دون صـــحبتنا	فقلت:بـــالغبن فيـــك والغـــبن
قالت:أذعـــت الأســـرار قلت:لهـــا	صـــير ســـرى هـــواك كـــالعلن
قالت:ســـررت الأعـــداء قلت:لهـــا	ذلــك شـــئ لـــو شـــئت لـــم يكـــن
قالــت: فمـــاذا تـــروم ؟ قلــت : لهـــا	ســـاعة ســـعد بالوصـــل تســـعدنى
قالـــت:فعين الرقيـــب تنظرنـــا	قلت:فـــإني للعـــين لـــم أبـــن

قال الإمام شرف الدين البوصيري في قصيدة :

البردة

أمــن تــذكر جيــران بــذي ســلمِ

مزجـت دمعـا جـرى مـن مقلـة بـدمِ؟

***

أم هبّـت الـريح مـن تلقـاء كاظمـة

وأومض البرق فـي الظلمـاء من إضمِ؟

***

فمـا لعينيـك إن قلـت أكففـا همتـا

ومـا لقلبـك إن قلـت أسـتفق يهـمِ

***

أيحســب الصــبّ أن الحــب منكــتم

مـا بـين منسـجم منـه ومضـطرم

***

لولا الهوى لم ترق دمعـا علـى طلل

ولا أرقـت لـذكر البـان والعلـم

فكيـف تنكـر حبّـا بعـدما شـهدت

بــه عليـك عـدول الـدّمع والسّـقم

***

وأثبـت الوجـد خطـيّ عبـرة وضـنى

مثـل البهـار علـى خـدّيك والعـنم

***

نعم سرى طيف من أهوى فأرّقني

والحــبّ يعتــرض اللــذات بــالألم

***

يـا لائمـي فـي الهوى العذري معذرة

منــي إليـك ولـو أنصـفت لـم تلـم

***

عــدتك حــالي لا ســرّي بمســتتر

عــن الوشــاة ولا دائــي بمنحســم

***

محضتني النّصح لكن لست أسمعه

إن المحبّ عن العذّال في صمم

***

إني اتهمت نصيح الشيب في عذلي

والشيب أبعد في نصح عن التهم

***

فإن أمّارتي بالسوء ما اتعظت

من جهلها بنذير الشّيب والهرم

***

ولا أعدّت من الفعل الجميل قرى

ضيف ألمّ برأسي غير محتشم

***

لو كنت أعلم أنّي ما أوقره

كتمت سرّا بدا لي منه بالكتم

***

مـن لــي بـردّ   جمـاح مـن غوايتهـا

كمـــا يـــردّ جمـــاح الخيـــل بـــاللجم

***

فـلا   تـرم بالمعاصــي كسـر شــهوتها

إن الطعــام يقــوّي شــهوة   الــنهم

***

والـنفس كالطفل إن تـهملـه شـبّ علـى

حـبّ الرّضــاع وإن   تفطمـه يـنفطم

***

فاصــرف هواهــا وحـــاذر أن تولّيــه

إن الـهـوى مــا تــولّى يصـم أو يصـم

***

وراعهــا وهــي فــي الأعمــال ســائمة

وإن هــي استحلت المرعـى فلا تسم

***

كـــم حســـنت لـــذة للمـــرء قاتلـــة

من حيث لـم يـدر أن السّـم فـي الدّسم

***

واخش الدّسائس من جوع ومن شبع

فــرب مخمصـــة شــرّ مــن الــتّخم

***

واستفرغ الدّمع من عين قد امتلأت

مــن المحــارم والــزم حميــة النــدم

***

وخـالف النّفس والشّيطان واعصـهما

وإن همــا محّضــاك النّصــح فــأتهم

***

ولا تطـع منهمـا خصـما ولا حكمـا

فأنـت تعـرف كيـد الخصـم والحكـم

***

ظلمت سنّة من أحيا الظلام إلى

أن اشتكت قدماه الضرّ من ورم

***

وشدّ من سغب أحشاءه وطوى

تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

***

وراودته الجبال الشمّ من ذهب

عن نفسه فأراها أيّما شمم

***

وأكدت زهده فيها ضرورته

إنّ الضرورة لا تعدو على العصم

***

محمد سيّد الكونين والثقلين

والفريقين من عرب ومن عجم

***

نبيّنا الآمر النّاهي فلا أحد

أبرّ في قول لا منه ولا نعم

***

هـو الحبيـب الـذي ترجـى شـفاعته

لكـلّ هـول مـن الأهـوال مقـتحم

***

دعـا إلـى الله فالمستمسـكون بـه

مستمسـكون بحبـل غيـر منفصـم

***

فـاق النّبيـين فـي خلْـق وفـي خُـلق

ولـم يـدانوه فـي علـم ولا كـرم

***

وكلّهـم مـن رسـول الله ملـتمس

غرفـا مـن البحـر أو رشـفا مـن الدّيم

***

وواقفـون لديـه عنـد حـدّهتم

مـن نقطـة العلـم أو مـن شكلة الحكـم

***

فهـو الـذي تـمّ معنـاه وصـورته

ثـم اصـطفاه حبيبـا بـارئ النّسـم

***

منــزّه عــن شــريك فــي محاســنه

فجـوهر الحســن فيــه غيــر منقســم

***

دع مــا أدّعتــه النصــارى فــي نبـيهم

واحكم بمـا شئت مدحا فيـه واحتكم

***

وانسب إلى ذاته مـا شئت من شرف

وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

***

فــإنّ فضــل رســول الله لــيس لــه

حــدّ فيعــرب عنــه نــاطق بفــم

***

لــو ناســبت قــدرة آياتــه عظمــا

أحيا اسمه حين يدعى دارس الرّمم

***

لـم يمتحنّـا بمـا تعيـا العقـول بـه

حرصـا علينـا فلـم نرتـب ولـم نهـم

***

أعيـا الـورى فهـم معنـاه فلـيس يـرى

فـي القـرب والبعـد فيـه غيـر منفحم

***

كالشـمس   تظهـر للعينـين مـن بعـد

صــغيرة وتكـلّ الطّـرف مـن   أمـم

***

وكيــف يــدرك فــي الــدنيا حقيقتـــه

قــوم نيــام تســلّوا   عنــه بــالحلم

***

فمبلـــغ العلـــم فيـــه أنّـــه بشـــر

وأنّـــــه خيـــــر خلـــــق الله كلّهـــم

***

وكــلّ آي أتـــى الرّســل الكــرام بهــا

فإنمـــا اتصـــلت مـــن نـــوره بهـــم

***

فإنــه شــمس فضــل هــم كواكبهــا

يظهـران أنوارهـا للنـاس فـي الظّلـم

***

أكــرم بخلــق   نبــيّ زانــه خلــق

بالحســـن مشـــتمل بالبشـــر متّســـم

***

كالزّهر فـي ترف والبدر في شرف

والبحـر فـي كـرم والـدّهر فـي همـم

***

كأنّــه   وهــو فــرد مــن جلالتــه

فـي عسكر حين تلقاه وفـي حشـم

***

كأنّمــا اللؤلــؤ المكنــون فــي صــدف

مـن معـدني منطـق منـه   ومبتسـم

***

لا طيـب يعـدل تربـا ضـمّ أعظمـه

طـــوبى لمنتشـــق منـــه وملتـــثم

***

أبـــان مولـــده عـــن طيـــب عنصـــره

يـــا طيـــب مبتـــدأ منـــه ومختـــتم

***

يـــوم تفـــرّس فيـــه الفـــرس أنهـــم

قـد أنـذروا بحلـول البـؤس والـنّقم

***

وبـات إيـوان كسـرى وهـو منصـدع

كشـمل أصـحاب كسـرى غيـر ملتـئم

***

والنّــار خامــدة الأنفــاس مــن أســف

عليـه والنّهـر سـاهي العيـن مـن سـدم

***

وســاء ســاوة أن غاضــت بحيرتهــا

وردّ واردهـــا بـــالغيظ حـــين ظمـــي

***

كــأن بالنــار مــا بالمــاء مــن بلــل

حزنـا وبالمـاء مـا بالنـار مـن ضـرم

***

والجــنّ تهتــف والأنــوار ســاطعة

والحـق يظهـر مـن معنـى ومـن كلـم

***

عمـوا وصـمّوا فـاعلان البشـائر لـم

تســمع وبارقــة الإنــذار لــم تشــم

***

مـن بعـد مــا أخبـر الأقـوام كـاهنهم

بــأن ديــنهم المعــوجّ لــم يقــم

***

وبعد ما عـاينوا فـي الأفق من شـهب

منقضّـة وفق مـا فـي الأرض من صـنم

***

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم

مــن الشــياطين يقفــو إثــر منهــزم

***

كــــأنّهم هربـــا أبطـــال أبرهـــة

أو عسكر بالحصى من راحتيه رمـي

***

نبــذا بــه بعــد   تســبيح ببطنهمــا

نبــذ المســبّح مــن أحشــاء ملــتقم

***

جــاءت لدعوتــه الأشــجار ســاجدة

تمشــي إليــه علــى ســاق بــلا قــدم

***

كأنّمــا ســطرت   ســطرا لمــا كتبــت

فروعهــا مــن بــديع الخــطّ فــي اللّقــم

***

مثــل غمامــة   أنــى ســار ســائرة

تقيــه حــرّ وطــيس للهجيــر حمــي

***

وما حوى الغار من خير ومن كرم

وكـل طـرف مـن الكفّـار عنـه عمـي

***

فالصدق في الغار والصّديق لم يرما

وهـم يقولـون مـا بالغـار مـن أرم

***

ظنّوا الحمامة وظنوا العنكبوت على

خيـر البريّـة لـم تنسـج ولـم تحـم

***

وقايـــة الله أغنـــت عـــن مضـــاعفة

مـن الـدّروع وعـن عـال مـن الأطـم

***

مـا سـامني الـدّهر ضـيما واسـتجرت بـه

إلا ونلـــت جـــوارا منـــه لـــم يضـــم

***

ولا التمسـت غنـى الـدّارين مـن يـده

إلا اسـتلمت النّـدى مـن خيـر مسـتلم

***

لا تنكـر الـوحي مـن رؤيـاه أن لـه

قلبـــا إذا نامـــت العينـــان لـــم يـــنم

***

وذاك حـــين بلـــوغ مـــن نبوّتـــه

فلـــيس ينكـــر فيـــه حـــال محـــتلم

***

تبـــارك الله مـــا وحـــي بمكتســـب

ولا نبـــيّ علـــى غيـــب بمـــتهم

***

كـم أبـرأت وصـبا بـاللمس راحتـه

وأطلقـــت أربـــا مـــن ربقـــة اللّمـــم

***

وأحيـت السّـنة الشـهباء دعوتـه

حتى حكت غرّة في الأعصر الدّهم

***

بعـارض جـاد أو خلـت البطـاح بهـا

سـيب مـن الـيمّ أو سـيل مـن العـرم

***

دعنـي ووصـفي آيـات لـه ظهـرت

ظهـور نـار القـرى لـيلا علـى علـم

***

فالــدّر يــزداد حســنا وهــو منــتظم

ولـيس يـنقص قـدرا غيـر منـتظم

***

فمــا تطــاول آمــال المــديح إلــى

مـا فيـه مـن كـرم الأخـلاق والشّـيم

***

آيــات حــقّ مــن الــرّحمن محدثــة

قديمــة صـفة الموصـوف بالقـدم

***

لــم تقتــرن بزمــان وهــي تخبرنــا

عـن المعـاد وعـن عـاد وعـن إرم

***

دامــت لــدينا ففاقــت كــلّ معجــزة

مــن النبيــين إذ جــاءت ولــم تــدم

***

محكمــات فمــا تبقــين مــن شــبه

لـذي شـقاق ومـا تبغـين مـن حكـم

***

مـا حوربـت قـط إلا عـاد مـن حـرب

أعـدى الأعـادي إليهـا ملقـي السّـلم

***

ردّت بلاغتهـــا دعـــوى معرضـــها

ردّ الغيـور يـد الجّـاني عـن الحـرم

***

لهـا معـان كمـوج البحـر فـي مـدد

وفـوق جـوهره فـي الحسـن والقـيم

***

فمـــا تعــدّ ولا تحصـــى عجائبهـــا

ولا تســـام علـــى الإكثـــار بالســـأم

***

قـرّت لهـا عـين قاريهـا فقلـت لـه

لقـد ظفـرت بحبـل الله فاعتصـم

***

كأنهـا الحـوض تبـيضّ الوجـوه بـه

مـن العصـاة وقـد جـاؤوا كـالحمم

***

وكالصـــراط وكـــالميزان معدلـــة

فالقسط من غيرها فـي النـاس لم يقم

***

لا تعجـــبن لحســـود راح ينكرهـــا

تجـاهلا وهـو عـين الحـاذق الفهـم

***

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكـر الفـم طعـم المـاء مـن سـقم

***

يـا خيـر مـن يمّـم العـافون سـاحته

سـعيا وفـوق متـون الأينـق الرّسـم

***

ومـن هـو الآيــة الكبـرى لمعتبـر

ومـن هـو النّعمــة العظمــى لمغتـنم

***

سـريت مـن حـرم لـيلا إلــى حـرم

كمـا سـرى البـدر فـي داج مـن الظّلـم

***

وبـتّ ترقــى إلــى أن نلـت منزلــة

مـن قـاب قوسـين لـم تـدرك ولـم تـرم

***

وقـــدّمتك جميـــع الأنبيـــاء بهـــا

والرّسـل تقـديم مخـدوم علــى خـدم

***

وأنــت تختــرق السّــبع الطبــاق بهـم

فـي موكـب كنـت فيـه صـاحب العلـم

***

حتـــى إذا لـــم تـــدع شـــأوا لمســـتبق

مـــن الـــدّنو ولا مرقـــى لمســـتنم

***

خفضـــت كـــل مقـــام بالإضـــافة إذ

نوديـــت بـــالرفع مثـــل المفـــرد العلـــم

***

كيمـــا تفـــوز بوصـــل أيّ مســـتتر

عـــن العيـــون وســـرّ أيّ مكتـــتم

***

فحـــزت كـــلّ فخـــار غيـــر مشـــترك

وجـــزت كـــلّ مقـــام غيـــر مـــزدحم

***

وجـــلّ مقـــدار مـــا وليـــت مـــن رتـــب

وعـــزّ إدراك مـــا أوليـــت مـــن نعـــم

***

بشــرى لنــا معشــر الإســلام إن لنــا

مــن العنايــة ركنــا غيــر منهــدم

***

لمّـــا دعـــى الله داعينــا لطاعتــه

بــأكرم الرّســل كنّــا أكــرم الأمــم

***

راعــت قلــوب العــدا أنبــاء بعثتــه

كنبــأة أجفلــت غفــلا مــن الغــنم

***

مــا زال يلقــاهم فــي كــلّ معتــرك

حتــى حكــوا بالقنــا لحمــا علــى وضــم

***

ودّوا الفــرار فكــادوا يغبطــون بــه

أشــلاء شــالت مــع العقبــان والــرّخم

***

تمضـي اللّيـالي   ولا يـدرون عـدّتها

ما لـم تكـن مـن ليـالي الأشـهر الحـرم

***

كأنمــا الــدّين ضــيف حــلّ ســاحتهم

بكــلّ قــرم إلــى لحــم العــدا قــرم

***

يجـرّ بحـر   خمـيس فـوق سـابحة

يرمـي بمـوج مـن الأبطـال ملـتطم

***

مــن كــلّ   منتــدب لله محتســب

يســطو بمستأصــل للكفــر مصــطلم

***

حتـى غدت ملّـة الإسـلام وهـي بهم

مـن بعـد غربتهـا موصـولة الـرّحم

***

مكفولـــة أبـــدا مـــنهم بخيـــر أب

وخيـر بعـل فلـم تيـتم ولـم تـئم

***

هـم الجبـال فسـل عـنهم مصـادمهم

مـاذا لقـي مـنهم فـي كـلّ مصـطدم

***

وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا

فصول حتف لهم أدهى من الوخم

***

المصدري البيض حمرا بعد ما وردت

مـن العـدا كـل مسـود مـن اللّمـم

***

والكـاتبين بسـمر الخـطّ مـا تركـت

أقلامهـم حـرف جسـم غيـر منعجم

***

شـاكي السّـلاح لهـم سـيمى تميّـزهم

والـورد يمتـاز بالسيمى عـن السّلتم

***

تهـدي إليـك ريــاح النّصــر نشــرهم

فتحسب الزّهر في الأكمـام كلّ كمـي

***

كـأنهم فـي ظهتـور الخيـل نبـت ربـا

مـن شـدّة الحـزم لا مـن شـدّة الحـزم

***

طـارت قلـوب العدا من بأسـهم فرقـا

فمـــا تفـــرّق بـــين الـــبهم والـــبهم

***

ومـــن تكـــن برســـول الله نصــــرته

إن تلقـــه الأســـد فـــي آجامهـــا تجـــم

***

ولـن تـرى مـن ولـي غيـر منتصـر

بــه ولا مــن عــدّو غيــر مــنعجم

***

أحـــلّ أمتـــه فـــي حـــرز ملّتـــه

كالليـث حـلّ مـع الأشـبال فـي أجـم

***

كــم جــدّلت كلمــات الله مــن جــدل

فيـه وكـم خصـم البرهـان من خصـم

***

كفــاك بــالعلم فــي الأمــيّ معجــزة

فــي الجاهليــة والتأديـب فـي اليـتم

***

خدمتـــه بمـــديح أســـتقيل بـــه

ذنـوب عمـر مضـى فـي الشّـعر والخـدم

***

إذ قلّـــداني مـــا تخشـــى عتواقبـــه

كـــأنني بهمـــا هـــدي مـــن الـــنعم

***

أطعت فـي الصّبا فـي الحـالتين ومـا

حصــلت إلا علـــى الآثـــام والنّـــدم

***

فيـــا خســـارة نفـــس فـــي تجارتهـــا

لـــم تشـــتر الـــدّين بالـــدنيا ولـــم تسـم

***

ومـــن يبـــع آجـــلا منـــه بعاجلـــه

بـين لـه الغـبن فـي بيـع وفـي سـلم

***

إن آت ذنبـــا فمـــا عهـــدي بمنـــتقص

مـــن النبـــيّ ولا حبلـــي بمنصـــرم

***

فـــإنّ لـــي ذمّـــة منـــه بتســـميتي

محمّـدا وهـو أوفـى الخلـق بالـذمم

***

إن لـم يكـن فـي معـادي آخـذا بيـدي

فضــلا وال فقـل يـا زلّـة القـدم

***

حاشــاه أن يحـرم الرّاجـي مكارمــه

أو يرجـع الجّـار منـه غيـر محتـرم

***

ومنـــذ ألزمـــت أفكـــاري مدائحـــه

وجدتــه لخلاصـــي خيــر ملتــزم

***

ولـن يفـوت الغنـى منـه يـدا تربـت

إنّ الحيـا ينبـت الأزهـار فـي الأكـم

***

ولـم أرد زهـرة الـدّنيا التـي أقتطفـت

يــدا زهيــر بمــا أثنــى علــى هــرم

***

يـا أكـرم الخلـق مـا لـي مـن ألـوذ بـه

ســواك عنــد حلــول الحــادث العمــم

***

ولــن يضــيق رســول الله جاهـك بــي

إذا الكــريم تجلّــى باســم منــتقم

***

يـا نفـس لا تقنطـي مـن زلّـة عظمـت

إن الكبــائر فــي الغفــران كــاللّمم

***

لعــلّ رحمــة ربّــي حــين يقســمها

تأتي على حسب العصيان في القسم

***

يا ربّ واجعل رجائي غير منعكس

لديك وأجعل حسابي غير منخرم

***

وألطف بعبدك في الدّارين إنّ له

صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم

***

وائذن لسحب صلاة منك دائمة

على النبيّ بمنهلّ ومنسجم

***

ما رنّحت عذبات البان ريح صبا

وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

***

ثمّ الرّضا عن أبي بكر وعن عمر

وعن عليّ وعن عثمان ذي الكرم

***

والآل والصّــحب ثــم التّــابعين فهــم

أهل التّقـى والنّقـى   والحلم والكرم

***

يــا ربّ بالمصــطفى بلّــغ مقاصــدنا

واغفر لنا مـا مضـى يا واسع الكرم

***

بجــاه مــن بيتــه فــي طيبــة حــرم

واســمه قســم   مــن أعظــم القســم

***

وهــذه بــردة المختــار قــد ختمــت

فالحمــد لله   فــي بــدء وفــي خــتم

***

أبياتهــا قــد أتــت ســتين مــع   مائــة

ففـرّج بهـا كربنـا يـا واسـع الكـرم

يقول سراج الدين الوراق :

سـمعا لمـا قـال العـزول وطاعـة

قـد ديـن بالإنصـاف والإنصـات

الآن أقصـر بـاطلي وأفقـت

داء الهـوى وصـحوت مـن نشـوتي

وقبضـت عـن راح النـدامى راحتـي

ومسـامعي عـن ذكـر هـاك وهـاتي

ولطالمـا أعطيـت منـي حقـه

ونطقـت باسـم اللهـو مـلء لهـاتي

وجـررت أذيـال الشـبيبة رافـلا

فـيهن بـين دسـاكر وشـقاة

أيـام لـم تقـض الليـالي سـرتي

كـلا ولا غمـز الزمـان قنـاتي

والزهـر قـد ضـحكت مباسـمه وقـد

أجــرى الغمـــام ســوابق العبــرات

والنهــر فضـــيٌّ المــدارع لــم يــذب

ذهـــب الأصـــيل عليــه والغــدوات

أيـــن الشـــباب وأيـــن أيـــن زمانـــه

ذهبـــا كـــأحلام مضـــت وســـبات

ولــــى الصـــبا وتخلفـــت تبعاتـــه

لهفـــي لـــو أن جيبـــي بـــلا تبعـــات

يـــانفس آن لـــك الرجــوع وحـــان أن

تتيقظـــي مـــن رقـــدة الفضـــلات

من لـي إذا اعتقل اللسـان وحشـرجت

فـي الصـدر وامـتلات شـجى لهـوات

مـن لـي إذا أسـكنت موحشــة الثـرى

وتركــت ربعــي مقفــر العرصــات

مــن لــي إذا زفـرت جهـنم واعتلـت

أنفـــاس كـــل الخلـــق بـــالزفرات

فهنـــاك أذخـــر لـــي شــفاعة أحمـــد

ولتلـــك خيـــر ذخيـــرة لعصـــاة

وهنـــاك ألـــتمس النجـــاة بحبـــه

وبحبـــه كـــم فـــائز بنجـــاة

العصر العثماني

هي إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول بن أرطغرل، واستمرت قائمة لما يقرب من ٦٠٠ سنة، وبالتحديد منذ حوالي سنة ١٢٩٩م حتى سنة ١٩٢٣م.

بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها وقوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاثة: أوروبا وآسيا وأفريقيا، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، وشمالي أفريقيا.

وصل عدد الولايات العثمانية إلى ٢٩ ولاية، وكان للدولة سيادة اسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة في أوروبا، التي أضحى بعضها يُشكل جزءًا فعليًا من الدولة مع مرور الزمن، بينما حصل بعضها الآخر على نوع من الاستقلال الذاتي.

وأضحت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان الأول "القانوني" (حكم منذ عام ١٥٢٠م حتى عام ١٥٦٦م)، قوّة عظمى من الناحيتين السياسية والعسكرية، وأصبحت عاصمتها القسطنطينية تلعب دور صلة الوصل بين العالمين الأوروبي المسيحي والشرقي الإسلامي، وبعد انتهاء عهد السلطان سالف الذكر الذي يُعتبر عصر الدولة العثمانية الذهبي، أصيبت الدولة بالضعف والتفسخ وأخذت تفقد ممتلكاتها شيئًا فشيئًا، على الرغم من أنها عرفت فترات من الانتعاش والإصلاح إلا أنها لم تكن كافية لإعادتها إلى وضعها السابق.

انتهت الدولة العثمانية بصفتها السياسية سنة ١٩٢٢م، وأزيلت بوصفها دولة قائمة بحكم القانون سنة ١٩٢٣م، بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالت نهائيًا في ٢٩ أكتوبر من نفس السنة عند قيام الجمهورية التركية، التي تعتبر حاليًا الوريث الشرعي للدولة العثمانية.

عُرفت الدولة العثمانية بأسماء مختلفة في اللغة العربية، لعلّ أبرزها هو:

- "الدولة العليّة" وهو اختصار لاسمها الرسمي "الدولة العليّة العثمانية".
- كذلك كان يُطلق عليها محليًا في العديد من الدول العربية، وخصوصًا بلاد الشام ومصر، "الدولة العثمليّة"، اشتقاقًا من كلمة "*عثملى* - *Osmanlı*" التركية، التي تعني "عثماني".
- ومن الأسماء الأخرى التي أضيفت للأسماء العربية نقلاً من تلك الأوروبية: "الإمبراطورية العثمانية" (بالتركية: *Osmanlı İmparatorluğu*)، كذلك يُطلق البعض عليها تسمية "السلطنة العثمانية"، و"دولة آل عثمان".

والعثمانيون من شعب الغز التركي ، وأصلهم من بلاد التركستان ، نزحوا أمام اكتساح جنكيز خان لدولة خوارزم الإسلامية ، بزعامة سليمان الذي غرق أثناء عبوره نهر الفرات سنة ٦٢٨ ه فتزعم القبيلة ابنه أرطغرل الذي ساعد علاء الدين السلجوقي في حرب البيزنطيين فأقطعه وقبيلته بقعة من الأرض في محاذاة بلاد الروم غربي دولة سلاجقة الروم. وهذه الحادثة حادثة جليلة تدل على ما في أخلاقهم من الشهامة والبطولة.

ويعتبر عثمان بن أرطغرل هو المؤسس الأول للدولة العثمانية،وبه سميت عندما استقل بإمارته سنة ٦٩٩ هـ وأخذت هذه الإمارة على عاتقها حماية العالم الإسلامي،وتولت قيادة الجهاد، وأصبحت المتنفس الوحيد للجهاد ،فجاءها كل راغب فيه...

وفي عام ٩٢٣ هـ انتقلت الخلافة الشرعية لسليم الأول بعد تنازل المتوكل على الله أخر خليفة عباسي في القاهرة...

وبهذه العاطفة الإسلامية المتأججة في نفوسهم ممتزجة بالروح العسكرية المتأصلة في كيانهم ، حملوا راية الإسلام ، وأقاموا أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ في قرونه المتأخرة... وبقيت الحارس الأمين للعالم الإسلامي أربعة قرون،وأطلقت على دولتهم اسم (بلاد الإسلام) وعلى حاكمها اسم (سلطان) وكان أعز ألقابه إليه (الغازي) أي:المجاهد..واللفظان العثماني والتركي فهما من المصطلحات الحديثة...وحكمت بالعدل بالعمل بالشرع الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى لتكوين هذه الدولة...

وكانت غيرتهم على الإسلام شديدة وكثر حماسهم له لقد بدأوا حياتهم الإسلامية بروح طيبة وساعدتهم الحيوية التي لا تنضب إذ أنهم شعب شاب جديد لم تفتنه مباهج الحياة المادية والثراء ولم ينغمس في مفاسد الحضارات المضمحلة التي كانت سائدة في البلاد التي فتحوها ولكنهم استفادوا منها فأخذوا ما أفادهم وكانت عندهم القدرة على التحكم والفتح والانتصار وقد أتقنوا نظام الحكم وخاصة في عصر الفاتح ، إذ كانوا يشدد ون في اختيار من تؤهله صفاته العقلية والحسية ومواهبه الأخرى المناسبة لشغل الوظائف وكان السلطان رأس الحكم ومركزه وقوته الدافعة وأداة توحيده وتسييره وهو الذي يصدر الأوامر المهمة والتي لها صبغة دينية وكان يحرص على كسب رضاء الله وعلى احترام الشرع الإسلامي المطهر فكان العثمانيون يحبون سلاطينهم مخلصين لهم متعلقين بهم فلم يفكروا لمدة سبعة قرون في تحويل السلطة من آل عثمان إلى غيرهم .ولكن الأمور لم تستمر على المنهج نفسه والأسلوب الذي اتبعوه منذ علو شأنهم وبزوغ نجمهم في صفحات التاريخ المضيء فقد بدأ الوهن والضعف يزحف إلى كيانهم.

وتعود أسباب ضعفهم وانهيار دولتهم إلى :

الابتعاد عن منهج الله ومخالفة تعاليمه :

فقد كانت العاطفة الإسلامية جياشة قوية ، في بداية الخلافة العثمانية لذلك كانت القوة وكان الفتح وكان التوسع ، فلما ضعفت التربية الإسلامية زادت أعمال السلب

والنهب والفسق والفجور واستمر الانحراف وظهرت حركات العصيان وفقدت الدولة هيبتها بسبب انصراف السلاطين إلى ملذاتهم .

الحروب الصليبية :

التي ظلت مستمرة ولم تنقطع منذ ظهور الدولة العثمانية إلى يوم انهيارها ويكفي أن نشير إلى الحملة الفرنسية على مصر والحملة الفرنسية على الجزائر والتوسع الروسي في بلاد قفقاسيا وتهجير سكانها من داغستان وشاشان وشراكس عام ١٢٨٢ هـ . والحملة الإنكليزية على مصر وعدن واستيلاء الطليان على طرابلس الغرب .

أما المناوشات والغزوات العسكرية والحركات الانفصالية فلم يخل عهد سلطان منها .

اتساع رقعة الدولة :

فقد بلغت الدولة قوتها وأوج عظمتها وتوسعها مساحة من الأرض تزيد عن أربعة عشر مليونا من الكيلومترات في وقت لم تتوفر فيه وسائل الاتصال وكانت الدواب والعربات وبريدها يستغرق الشهور الطويلة والسنين ، في الوقت الذي كثرت فيه حركات التمرد والعصابات المتكررة مع صعوبة إخمادها.

ولم تحتفظ الدولة بتماسكها على الرغم مما أصابها من زلازل ونكبات طيلة ستة قرون إلا بفضل عامل الدين ورابطة العقيدة

يقول العلامة (عبد الرحمن بن خلدون) والمتوفى في عام ٨٠٨ هـ . في مقدمته العظيمة التي أسماها (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) : إن الدول القديمة المستقرة يفنيها شيئان : أولهما أن تنشأ مطالبة من الأطراف ، وهذه الولايات التي تطالب بالاستقلال لا تبدأ بمطالبها إلا إذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها .

وأما السبب الثاني لانقضاء الدولة المستقرة فيأتي من دعاة وخوارج في داخل هذه الدولة المستقرة ، فيبدوان بالمطالبة أولا بمطالب صغيرة وليست ذات بال ، ويكون لهؤلاء الدعاة السلاح النفسي الوهمي والمطاولة في طلب الحقوق التي تبدأ صغيرة ثم تنتهي إلى مقصد هيبة الدولة ونظامها ، ولعل أكثر ما يساعد هؤلاء الخارجين على نظام الدولة هو ما يحصل من فتور في همم أتباع هذه الدولة المستقرة وفي لحظة من اللحظات وعندما تتضح هرم الدولة المستقرة وتضمحل عقائد التسليم لها من قبل قومها مع انبعاث همم المطالبين بأشياء وأشياء في داخلها عندئذ تكتب سنة الله في العباد سطرها الأخير في كتاب العلم الإلهي ، وهذا السطر يفيد بزوال الدولة المستقرة وفناء عمرها".

وهذا ينطبق على الدولة العثمانية ، فقد كان اتساعها وضمها أقاليم عديدة تحت لوائها وحكمها ، مع ضعف وسائل الاتصال ، وتعدد القوميات بداخلها مؤذنا بنهايتها وانهيارها .

ضعف الحياة العلمية والتخلف عن ركب الحضارة :

أهمل العثمانيون النواحي العلمية فقد جاءوا إلى بلاد الأناضول بدواً ولم يتحضروا بل شغلتهم الحروب ولم ينصرفوا إلى العلم بسبب الانشغال بالفتوحات والحروب المستمرة في كل الجبهات ، ولم يسمح لهم الأوروبيون بالالتفات إلى العلم ولا إلى التخطيط لذا استمروا في طبيعة البداوة فأبدوا انتصارات وقدموا خدمات .

وقد مكن ذلك التخلف الغرب من التفوق المادي فاخترع الأسلحة الحديثة ووسائل الصناعة وبدأ عصر الآلة والبخار والكهرباء فظهروا على المسلمين بعد أن كانت لهم الغلبة ولم يتورعوا في استخدام ما توصلوا إليه من أسلحه الدمار والخراب ضدهم .

في الوقت الذي شغل فيه العثمانيون بالمعارك والحروب ، وأهملوا البحث والتأليف ، فتخلفت أرجاء الدولة وكان مدعاة لسقوطها.

ضعف الدولة العثمانية في أواخر عهدها :

جعل الدول الأوروبية تتآمر عليها فأثاروا ضدها الحركات الانفصالية السياسية والدينية ، كما استغل دعاة القومية والصهيونية هذا الضعف مما جعلهم يقومون بحركات لتقويض هذه الدولة ، وظهور الحركات الانفصالية والتمردات المحلية ، كما كان خصوم العثمانيين التقليديين يشعلون الثورات بين الحين والآخر.

الإفراط في الامتيازات التي كانت تمنح للأجانب:

فقد منحت الدولة العثمانية ، وهي في أوج عظمتها وسلطانها ، امتيازات لدول أجنبية جعلتها شبه شريكة معها في حكم البلاد . ولا أرى سبباً لهذا الاستهتار إلا الجهل وعدم تقدير الأمور قدرها الحقيقي وتقدير قوة ودهاء الدول التي منحت هذه الامتيازات فقد ظهرت آثارها بعد حين .

فقد أصبحت هذه الامتيازات والاتفاقيات مع مرور الزمن وكأنها حقوق مكتسبة ثم توسعت وشملت بعض السكان المحليين كالإعفاء من الضرائب والاستثناء من سلطة المحاكم الشرعية العثمانية والتقاضي في محاكم خاصة سموها المحاكم المختلطة وقد لعبت دورا كبيرا فيما بعد . ولقد ساعدت الامتيازات على إشعال بؤر الفتن وأربكت الدولة وشغلتها عهوداً طويلة واتخذت ذريعة لتدخل الدول بحجة حماية الرعايا وبالتالي الاحتلال والعدوان .

حالة الغرور التي أصابت سلاطين بني عثمان :

فبعد أن فتح الله لهم الأرض على مصراعيها يلجونها كما يشاءون، أصابهم التعالي والغرور في علاقاتهم ومعاهداتهم مع البلاد المجاورة .

وإن من يقرأ كتاب الملك سليمان القانوني إلى ملك فرنسا لا يجد فيه ما يشبه كتاب ملك إلى ملك أو إمبراطور عظيم إلى ملك صغير أو حتى إلى أمير ، بل يجده وكأنة كتاب سيد إلى مسود .

ومن يطالع صيغ المعاهدات ، في أوج عظمة الدولة ، وما كان يضفى فيها على سلاطين بني عثمان من ألقاب يكادون يشاركون بها الله تعالى في صفاته بينما تكون ألقاب الأباطرة والملوك عادية ، من يطالع صيغ هذه المعاهدات يدرك إلى أي حد بلغ بهؤلاء السلاطين الجهل والغرور .

- الإنكشارية :

هو الجيش الذي أنشأه السلطان أو رخان باختيار أفراده من أبناء البلاد الأوروبية المفتوحة وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي ووضعهم في ثكنات عسكرية خاصة وتدريبهم على فنون الحرب والقتال . ولقد أبلى ذلك الجيش بلاء حسنا في كافة المعارك التي خاضها العثمانيون إبان قوتهم فكانوا يندفعون كالأسود في ساحات القتال وكان لهم الفضل في ترجيح كفة النصر في المعركة الحاسمة يوم فتح القسطنطينية وغيرها من المعارك الشهيرة .

وبمرور الزمن بدأ الضعف يتسرب إلى صفوفهم عندما عاشوا بين المدنيين فأصابتهم حالة من الرخاوة ، وتغيرت أخلاقهم ، وكثرت تعدياتهم بصفتهم العسكر المختص بهم السلطان.

وتعلقت أفئدتهم بشهوة السلطة وانغمسوا في الملذات والمحرمات وشق عليهم أن ينفروا في أوقات البرد الشديد ونظروا إلى العطايا السلطانية ومالوا إلى النهب والسلب حين غزو البلاد ، ونسوا الغاية التي وجدوا من أجلها .

وعندما أصدر السلطان مراد الثالث عام ٩٨٢ه أمره بمنع شرب الخمور هاجوا وماجوا حتى اضطروه لإباحته ضمن شروط لخوفه من نقمتهم .

وأخذ الانكشارية يتطلعون إلى مركز القيادة في الدولة العثمانية مما جعلها في حالة خطيرة من الفوضى فصاروا هم الآمرون والناهون والسلطان ألعوبة بأيديهم فظهر الفساد وضاعت البلاد .

وقد حاول السلطان عثمان إبادتهم بإعداد العدة لحشد جيوش جديدة في ولايات آسيا الصغرى وتدريبها وتنظيمها ولما حاول ذلك خلعوه وقتلوه وأعادوا مصطفى الأول الذي خلعوه عام ١٠٣٢ هـ .

وهم الذين قاموا بقتل السلطان إبراهيم الأول خنقاً حينما حاول التخلص منهم ، وأربكوا الدولة ووضعوها في حالة من الفوضى بقتلهم السلاطين وتولية أولادهم الصغار السن من بعدهم كالسلطان محمد الرابع ، إلى أن تخلص منهم السلطان محمود الثاني عام ١٢٤١ ه ؛ إذ سلط عليهم المدفعية فدمرتهم وانتهى أمرهم .

- ميل كثير من القادة والسلاطين إلى الراحة والدعة :

فقد تعود كثير من السلاطين العثمانيين بعد عهود المجد والقوة أن لا يقودوا الجيوش بأنفسهم وتركوا الأمر لقواد قد يكون بعضهم غير كفء فانهزموا في مواقع كثيرة وتضاءل الحماس والحمية الدينية لغياب السلطان عن مركز قيادة الجيش كما كان يحدث سابقاً ، وتسليم الدولة إلى غير الأكفاء من الناس إذ كان طباخ القصر وبستانية وحاطبة

والخصي والخادم يصلون إلى رتبة رئاسة الوزارة أو القيادة العامة للجيش . فماذا ينتظر من جاهل أن يفعل ؟ .

- صراع الأسرة السلطانية على الحكم :

فقد كثر نساء السلاطين ، وكثر أولادهم ، مما أدى إلى صراعهم على الحكم فقد وصل به الأمر – أحيانا – إلى قتل الأبناء والأخوان بعضهم بعضا طمعا في تولي السلطة ، مما أودى بأرواح الأطفال والأبرياء بلا ذنب وحرمان الأمة من رجال قد يكون منهم أفذاذا وعباقرة ، فحل محلهم رجال احتلوا مناصب رفيعة في الدولة وفي قيادة الجيوش من بلاد أوروبا العثمانية تظاهر بعضهم الإسلام و أبطن غيره وعاد بالدمار والهزيمة إلى البلاد .

يضاف إلى ذلك تدخل نساء القصر بالسياسة وشفاعتهن لدى أزواجهن السلاطين برفع الخدم إلى منصب الوزراء أو إيصال المتزلفين إلى مراتب الحل والعقد ، كرئاسة الوزارة وقيادة الجيش . وفي كثير من الأحيان لا يكون لهؤلاء الرجال من ميزة يمتازون ألا تجسسهم لحسابهن .

ولذا فقد كان أفراد الأسرة السلطانية يعيشون في خوف مستمر ويتربص بعضهم بالبعض الآخر الدوائر ولا يبالون بأن يشقوا عصا الطاعة في وجه السلطان سواءً أكان أخاً أم أباً أم ابناً .

- ضعف بعض الوزراء وخيانتهم الأمانة :

كان كثير من الأجانب المسيحيين يتظاهرون بالإسلام ويدخلون في خدمة السلطان ويرتقون بالدسائس والتجسس حتى يصلون إلى أعلى المراتب ، وقد أبدى السلطان عبد الحميد استغرابه من وفرة الأجانب الذين تقدموا إلى القصر يطلبون عملاً فيه حتى ولو بصفة خصيان وقال : لقد وصلني في أسبوع واحد ثلاث رسائل بلغة رقيقة يطلب أصحابها عملاً في القصر حتى ولو حراساً للحريم ، وكانت الأولى من موسيقى فرنسي والثانية من كيميائي ألماني والثالثة من تاجر سكسوني .

وعلق السلطان على ذلك بقولة : من العجب أن يتخلى هؤلاء عن دينهم وعن رجولتهم في سبيل خدمة الحريم . فهؤلاء وأمثالهم كانوا يصلون إلى رئاسة الوزارة، وكان هذا مما أدى إلى سقوط الدولة .

- البذخ وتبذير الملوك :

حتى بلغت نفقات القصور الملكية في بعض الأحيان ثلث واردات الدولة (ويرى بعض الكتاب أن قصور العثمانين رغم فخامتها إلا أنها كانت أقل من قصور أمراء أوروبا...) .

- تراكم الديون :

فقد أقرضت الدول الأوروبية الدولة العثمانية بسبب كثرة النفقات، والبذخ والإسراف ، وأوقعتها في فخ الديون وهو منهج انتهجه الأوروبيون لنصبه ضد الدول الإسلامية منذ القرن التاسع عشر م وتراكمت فائدتها حتى أصبحت أضخم من قيمة القروض ، وصارت عاجزة عن السداد .

سقوط الخلافة وبداية العلمانيين يعد عام ١٩٠٨ م / ١٣٢٦ هـ عامًا حاسما في حياة الدولة العثمانية ؛لأنه عام تهدمت فيه حقيقة الخلافة الإسلامية المتمثلة بالخلافة العثمانية،فقد أصبحوا يسمونها بالرجل المريض،وبدأ يتغير نظامها الإسلامي وجلب النظام الغربي الوضعي ،ويرى المؤرخون أن الصهيونية وراء هذا الهدم وذلك لأن السلطان (عبدالحميد)رفض أن يحقق أطماعها في فلسطين وقد وصل يهود الدونمة إلى مناصب عالية في دولة الخلافة،وكان هؤلاء يظهرون الإسلام ويبطنون غير ذلك .

إضافة إلى جمهرة الصحفيين الذين كانوا يغطون تطور الأحداث بقلم مزيف الوقائع،ويظهرون للناس أن عبد الحميد مستبد ظالم ،وقد تابعهم للأسف كثير من المؤرخين المسلمين.

بداية إلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة :

قامت بعض الجمعيات بحركات ضد السلطان عبد الحميد،تحت أسماء مختلفة أهمها حركة تركيا الفتاة،وحركت حزب الاتحاد والترقي... فقد تكونت جمعية سرية في كلية الطب العسكري في استانبول،وعرفت باسم جمعية الاتحاد والترقي...واكتسبت هذه الجمعية السرية كثيرًا من الأنصار،وانضم إليها أعضاء جمعية تركيا الفتاة،واتخذوا من جنيف مركزًا لقيادة الجمعية،وأنشئوا في باريس جريدة تمثل أراء الجمعية أسموها الميزان.

وهذا الحزب : حزب الاتحاد والترقي الذي شمل بعض اليهود في عضويته قد ورط البلاد في حروب ونزاعات وأرغم قادته المسيطرون عليه الدولة على الانخراط في الحرب العالمية الأولى بعد أن قضوا على حكم عبد الحميد الذي أراد تقويم الانحراف ، وتبنوا الأفكار التي فرقت بين أبناء الدولة المسلمين وكانت الماسونية بالطبع من وراء تلك الجمعيات السّرية تحيك الدسائس والمؤامرات وتقيل عثراتها وتدعم قادتها .

كما لا يخفى أخيراً الأزمة الاقتصادية الأوروبية ودورها في القرنين العاشر والحادي عشر والتي نجمت عن تزايد السكان الكبير الحاصل آنذاك .

ومع بداية القرن العشرين انتشرت جمعيات سرية كثيرة،وخاصة في سالونيك،باسم الوطن والحرية، تتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي، لمعارضة الحكومة العثمانية، وتمكنت هذه الجمعيات أخيرًا من الثورة سنة ١٣٢٦ هـ وإسقاط السلطان عبدالحميد ١٣٢٧ هـ/ وبهدم الخلافة انفصلت الدولة وتنظيماتها وأشكالها ومسارها عن الدين لأول مرة في تاريخ الإسلام... فوقف أتاتورك يقول وهو يفتتح جلسة البرلمان التركي عام ١٩٢٣:نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون) .

قام مصطفى كمال باستثارة روح الجهاد في الأتراك ، ورد اليونانيين على أعقابهم ، في موقعة سقاريا عام ١٩٢١م ، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء بدون أن يستعمل أسلحته ، وأخلت أمامه المواقع ولعلها كانت بداية الطعم لإظهار شخصية مصطفى كمال ، وجعلها تطفو على السطح تدريجياً فقد ابتهج العالم الإسلامي وأطلق عليه لقب الغازي الذي كان ينفرد به سلاطين آل عثمان الأول ، ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء .

فقد قرنه الشاعر أحمد شوقي بخالد بن الوليد في أول بيت من قصيدة مشهورة :

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

فكان الناس إذا قارنوا كفاح مصطفى كمال المظفر ، باستسلام الخليفة القابع في الآستانة ، مستكينا لما يجري عليه من ذل ، كبر في نظرهم الأول ، بمقدار ما يهون الثاني . وزاد سخطهم على الخليفة ما تناقلته الصحف بإهداره دم مصطفى كمال واعتباره عاصياً متمرداً .

ولم يكن مصطفى كمال في نظرهم إلا بطلا مكافحا يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة ، الذي خيل إليهم أن الخليفة يمرغه في التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة.

وفي عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م أعلنت الجمعية الوطنية التركية قيام الجمهورية في تركيا ، وانتخبت مصطفى كمال أول رئيس لها وفصل بذلك بين السلطة والخلافة ، وتظاهر بالاحتفاظ مؤقتا بالخلافة . فاختير عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة ، بدلا من محمد السادس الذي غادر البلاد على بارجة بريطانية إلى مالطة ، ولم يمارس السلطان عبد المجيد أي سلطات للحكم .

وفي عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م قدم مصطفى كمال أعظم هدية للغرب ، وهي إلغاء الخلافة ، التي كانت في اعتبار المسلمين جميعا عقدة الصلة والرابطة الوثيقة بحسبانها قوة خاصة لهم في مواجهة الغزو الغربي ، وإخراج السلطان عبد المجيد من البلاد ، وإعلان دستور جديد لتركيا .

وبهذا سقطت الدولة العثمانية فعليًا بعد أن استمرت ما يقرب من ٦٠٠ سنة، وانهارت معها الخلافة الإسلامية بعد أن استمرت ما يزيد عن ألف سنة.

وقد رثا أمير الشعراء أحمد شوقي الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية بأبيات من الشعر قال فيها:

ضـــجت عليـــك مـــآذن ومنـــابر

وبكـــت عليـــك ممالـــك ونـــواح

الهنـــد والهـــة ومصـــر حزينـــة

تبكـــي عليـــك بمـــدمع ســـحَّاح

والشـــام تســـأل والعـــراق وفـــارس

أمحـــا مـــن الأرض الخلافـــة مـــاح؟!

وبدأ حكم كمال أتاتورك كرئيس للجمهورية التركية رسميا وبسقوط الخلافة بدأت تركيا تنقل بقوة على يد أتاتورك إلى الإنسلاخ من العالم الإسلامي بإعلان علمانية الدولة ، وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتنية بدلاًمن الحروف العربية .

التعليم :

أهملت الدولة العثمانية، خلال مراحل تاريخها، تنشيط التعليم المدني إلا في نطاق المدارس التابعة للهيئة الدينية الإسلامية، وقامت إلى جانب هذه المدارس، مدارس بإشراف الطوائف الدينية غير الإسلامية أو البعثات التبشيرية.

ولم يتطور التعليم في الدولة العثمانية إلاّ في بداية عهد السلطان عبد المجيد الأول وباقي السلاطين الذين تلوه، وأبرزهم عبد الحميد الثاني، الذي أنشأ المدارس المتوسطة والعليا والمعاهد الفنية لتخريج الشباب العثماني، وإعداده لتولّي المناصب الحكومية والنهوض بالدولة.. وأنشأ السلطان بدءًا من عام ١٨٧٨م المدرسة السلطانية للشؤون المالية، ومدرسة الحقوق، ومدرسة الفنون الجميلة ومدرسة التجارة، للطلاب القائمين في العاصمة، والوافدين من مختلف الأقاليم العثمانية، حتى غدت مركزًا ثقافيًا ومدرسة الهندسة المدنية، ومدرسة الطب البيطري، ومدرسة الشرطة، ومدرسة الجمارك، كما أنشأ مدرسة طب جديدة في عام ١٨٩٨م.

الفنون والآداب:

اهتمت الطبقة الحاكمة العثمانية بالموسيقى والطرب، وبلغ من درجة اهتمام بعض السلاطين بالموسيقى والغناء أن نظموا بعض المقاطع الموسيقية بأنفسهم ولحنوها، ومن هؤلاء السلطان سليم الثالث .
وكانت الموسيقى العثمانية خليطا بين الموسيقى البيزنطية والعربية والفارسية، وكانت تُنظم وفق وحدات إيقاعية تسمى "أصول"، ووحدات لحنيّة تُسمى "مقام". استخدم العثمانيون أدوات موسيقية ابتُكرت في آسيا الوسطى وأخرى ابتكرها العرب مثل العود والتنبور والقانون الناي، ومن ثم أضافوا إليها بعض الأدوات الأوروبية مثل الكمان البيانو.
برز نوعان من الموسيقى في الدولة العثمانية بفعل اتساع رقعة الدولة وبعد الأقاليم عن بعضها البعض: الموسيقى العثمانية التقليدية أو الكلاسيكية، والموسيقى العثمانية الفلكلورية؛ وكان هناك أشكل مميزة من الموسيقى العثمانية أبرزها: موسيقى الإنكشارية، وموسيقى الغجر، وموسيقى الرقص الشرقي، وموسيقى الترك الفلكلورية. وقد اقتبس اليونانيون الشوام المصريون وبعض الشعوب الأخرى بعض أشكال الموسيقى العثمانية ودمجوها في ثقافتهم.

الشعر :

تأثـــر الشعر العثماني بنظيره الفارسي بشكل كبير، وبالشعر العربي إلى حد أقل، وكان لهذا الدمج بين اللغتين العربية والفارسية تأثير كبير في نشأة اللغة التركية العثمانية،وقد استمر الشعراء، وبعض السلاطين العثمانيين، ينظمون الشعر بالفارسية والعربية حتى وقت متأخر من القرن التاسع عشر، عندما أخذ الأتراك يلجؤون إلى اللغة التركية في نظم الشعر. كان النثر العثماني عبارة عن سرد لأحداث قديمة وقعت بالفعل، واستمر بصفته هذه حتى القرن التاسع عشر عندما تأثّر بالروايات الأوروبية، وخاصةً الفرنسية، وأخذ الكتّاب يبتدعون قصصًا خيالة.
أهمل العثمانيون فن التمثيل في بداية عهدهم، واستعاضوا عنه بعروض الدمى المتحركة، المعروفة باسم "كركوز وعواظ"، وقد انتشرت هذه الظاهرة الثقافية في معظم البلدان الشرقية الخاضعة للدولة، ولجأ إليها الناس للترفيه عن أنفسهم طيلة العهد العثماني، واستمرت قائمة في بعض الأماكن حتى ظهور دور السينما ثم المذياع والتلفاز.

اللغة :

كانت التركية، اللغة الأم للأتراك، وقد تكلّم بها أغلبية سكان الأناضول وتراقيا، بالإضافة إلى المسلمين البلقانيين عدا الألبان وسكان البوسنة، وبطبيعة الحال انتشرت اللغة التركية بين الأشخاص المثقفين من غير الأتراك وبشكل خاص أولئك الموظفين في الدوائر الحكومية. كذلك كان للغة الفارسية انتشار محدود بين المثقفين العثمانيين.

وتأتي اللغة العربية في المرتبة الثانية، وقد تكلمها سكان المناطق العربية الخاضعة للحكم العثماني، بالإضافة إلى الأتراك وباقي الشعوب المسلمة في الدولة كونها لغة الدين الإسلامي، غير أن من أتقنها وتكلمها بطلاقة كما العرب كان الطبقة المثقفة أيضًا.

كانت اللغة التركية هي اللغة الرسمية للدولة العثمانية، وتختلف اللغة التركية العثمانية عن اللغة التركية الحديثة، من ناحية أنها كانت أكثر تأثرًا باللغتين العربية والفارسية، واقتبست منهما مصطلحات عديدة اختفت اليوم من المعجم التركي.

انتشرت بعض اللغات الأخرى على نطاق ضيّق في الدولة العثمانية ومنها: الكردية، والصربية، واليونانية، والمجرية، والأرمنية، والبلغارية، كذلك كان لبعض الطوائف لغاتها الطقسية الخاصة، مثل السريانية والقبطية للمسيحيين الشوام والمصريين، والعبرية بالنسبة لليهود.

اقتبس العرب، وبشكل خاص الشوام والمصريون عددا من الكلمات التركية وأصبحت تشكل جزءًا من لغة التواصل اليومية في بلادهم، ومن هذه الكلمات:

- بصمة، وأصلها "باصماق" وتشير إلى وطأة القدم .
- "بويا" أصلها "بوياغ" وتعني الطلاء .
- "جمرك" وتعني الضريبة التي تؤخذ على البضائع .
- "دوغري" أصلها "دوغرو" وتعني المستقيم، وتُستخدم أيضًا للإشارة في السير إلى الأمام .
- "أوضة" أصلها "أودة" وتعني غرفة .
- "برطمان" أي إناء زجاجي، وكلمات أخرى كثيرة.

الأدب في العصر العثماني

لم يكن للأدب من يشجعه ولا للغة العربية من يعطف عليها في العصر العثماني ، فالحكام أتراك لايتقنون العربية ولا يفهمونها ،لذلك أغلق ديوان الإنشاء ، وسادت التركية والعامية ، وذهب مجد العربية وعظمتها ، وأثر كل ذلك في الكتابة الفنية فكانت ملامحها باهتة لا حياة فيها ، وزادت قيودها الفنية التي أكسبتها سقماً وتخاذلاً وأصبحت مجرد ألفاظ لا يُفهم منها معنى ، ولا تتضح منها فكرة ، ولا تهتدي بها إلى غاية ، وصارت الكتابة مزيجاً من العامية والعربية واستعمل الكتاب الألفاظ التركية تظرفاً وتأثراً بلغة الحاكمين وأصبح التقليد هو البلاغة ، وعجز الكتاب عن أن ينشؤوا أدباً نابغاً من أعماق النفس ، مصوراً لمشاعر الكاتب ووجدانه وعواطفه ، وأخذ بعض الكتاب ينشؤون نماذج فنية مختلفة من الرسائل ليكتبها من يريد هذا الموضوع أو ذاك ، وقد ذاعت هذه الكتب وتداولها الناس وصارت كذلك مصدر خطر على الكتابة الفنية البليغة ، وبدا ثوب الكتابة ركيكا في حشد من المبالغة والبديع والحلى اللفظية المتكلفة من تورية وجناس واقتباس وأقفرت ساحة الكتابة من المعاني اللطيفة والفكرة القوية والخيال البديع وأصبحت موضوعاتها محدودة كما صارت الرسائل الديوانية تكتب باللغة التركية ، واقتصرت الكتابة على الرسائل الإخوانية وعلى الرسائل الأدبية وعلى التأليف في الموضوعات التاريخية وما إليها كما ظل الكتاب يكتبون المقامات .

وترجع أسباب ضعف الكتابة إلى ما يلي :

١. انصراف الولاة عن تشجيع الكتاب والأدباء لجهلهم بالأدب واللغة العربية .
٢. ضعف الثقافة وركود القرائح والأذهان .
٣. اهتمام الكتاب بالمحسنات البديعية اللفظية اهتماماً فاق كل اهتمام .
٤. فرض اللغة التركية وجعلها لغة رسمية .
٥. إغلاق ديوان الإنشاء .

وكذلك كان حظ الشعر في هذا العصر عاثرا فقد ضعفت العناية به وقلت الرغبة فيه ولم يجد الشعراء راعياً لهم يصلهم بعطائه ويصلونه بمدائحهم لذلك انتهى التكسب بالشعر وعاش الشعراء في فقر وشقاء ومحنة واشتغل أكثرهم بالتأليف .

وكان للشعر في هذا العصر سمات ظاهرة في معانيه وأخيلته وألفاظه وأسلوبه وفي أغراضه :

- من حيث الأخيلة : كانت محددة بسيطة قريبة ، لا تعتمد إلا على التشبيه والمجاز المتكلفين .
- ومن حيث المعاني: كان أكثرها معان تقليدية ليس لشعراء هذا العصر فضل في تركيبها ولا في ابتكارها ، وكثرت سرقات الشعراء بعضهم من بعض ، ولم

يصحب هذه السرقات تصرف في الأسلوب ، ولا في الفكرة ولا في الخيال ، أو المعنى ، ونجد عند قليل من شعراء هذا العصر بعض المعاني الجديدة التي كانت أثراً من آثار الامتزاج بين الثقافات .

- **ومن حيث الأساليب والألفاظ :** كثرت في هذا العصر الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية الممقوتة المتكلفة والمتخاذلة ، وعجز الشعراء عن النظم السمح وعن الأسلوب السهل وعن شعر الطبع والموهبة عجزاً بيناً وقد ابتدعوا في المحسنات اللفظية نوعاً جيداً سمي التاريخ الشعري .
- **وأما أغراض الشعر في هذا العصر:** فقد وقف الشعر عند أغراض المتقدمين واقتصر الشعراء على تقليد السابقين وقد أسرف الشعراء في المجون والعبث ونظم بعض الشعراء في الموشحات .

وهكذا ضعف الشعر في هذا العصر وأصبح ركيك الأسلوب ، سخيف المعاني كثير الأغلاط ، ضعيف الأغراض ، إذ كان أغلبه في الغزل الصناعي وكان من أسباب ضعفه مما يأتي :

١. تعصب الحكام العثمانيين لنشر لغتهم التركية .
٢. جهل الحكام العثمانيين باللغة العربية وآدابها وفنونها، فأبعدوا الشعراء عن مجالسهم .
٣. انتشر الجهل في عهدهم لإغلاق معاهد العلم وعدم العناية بالثقافة .
٤. كثر الظلم والاستبداد ، فشغل الناس بأنفسهم عن الأدب والشعر .
٥. ضعف المواهب والملكات بتأثير النكبات التي أحاطت بالثقافة العربية وبالعالم العربي، ولمحاربة العثمانيين للبلاد العربية حرباً خفية من شأنها أن تعوق نهوض هذه البلاد وتقدمها وازدهار العلم والأدب والثقافة فيها .
٦. فقدان روح التشجيع للشعراء والأدباء ، والأدب لا يزدهر إلا إذا وجد من يعمل لإنعاشه ويشجع على خدمته .

أما أشهر شعراء العصر العثماني فهم:

- عبد الله بن أحمد باكثير .
- شهاب الدين العناياتي .
- فتح الله النحاس الحلبي المدني .
- ابن معتوق، شهاب الدين الموسوي .
- منجك اليوسفي الدمشقي .
- ابن النقيب الحسيني .
- مصطفى الباني الحلبي .

- عبد الغني النابلسي .
- عبد الله الشبراوي .
- أحمد المنيني الطرابلسي .
- عامر الأنبوطي .
- جعفر البيتي المدني .
- عبد الله الأدكاوي المصري .

شعراء العصر العثماني

عبد الله الشبراوي

الإمام الشيخ عبد الله الشبراوي أو أبو محمد جمال الدين عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوي الشافعي ، فقيه شافعي مصري وهو الإمام السابع في سلسلة شيوخ الجامع الأزهر.

تعليمه وأساتذته:

تتلمذ الشبراوي على يد الشيخ الخراشي (أول شيوخ الجامع الأزهر) ونال إجازته وهو دون العاشرة، ومن أساتذته الشيخ حسن البدري، الذي كان من الشعراء المرموقين في عصره، وقد تأثر الشبراوي بأدبه كما درس عليه علم الحديث.

منزلته:

جمع الشبراوي بين عدة مواهب، فكان شاعراً متميزاً وكاتباً مرموقاً بمقاييس عصره، كما كان فقيهاً متعمقاً في أصول الفقه والحديث وعلم الكلام.
يصفه الجبرتي في ترجمته بأنه "الإمام الفقيه المحدث الأصولي المتكلم الماهر الشاعر الأديب" .

شعره :

كان الشبراوي شاعراً متميزاً، وكان يستغل مواهبه الشعرية في نظم بعض العلوم لتسهيل حفظها على الطلاب، مثل نظمه للآجرومية في علم النحو. ومن شعره الغزلية الشهيرة التي مطلعها:

وحقــــك أنـــتَ المنــــى والطلـــب

وأنــــت المـــــرادُ وأنـــــتَ الأَرَبْ

ولـــي فيـــكَ يـــا هـــاجري صـــبوةٌ

تحيَّـــرَ فـــي وصـــفِها كُـــلُّ صّـــبَ

ومن مؤلفاته في الشعر:

- ديوان "مفاتيح الألطاف في مدائح الأشراف"
- و"نزهة الأبصار في رقائق الأشعار"
- و"نظم بحور الشعر وأجزائها".

وله مؤلفات أخرى منها :

- الإتحاف بحب الأشراف
- الاستغاثة الشبراوية
- شرح الصدر في غزوة بدر
- عروس الآداب وفرحة الأحباب
- عنوان البيان وبستان الأذهان

توليه المشيخة :

تولى الشيخ الشبراوي مشيخة الأزهر عام ١١٣٧ ه/١٧٢٤ م، وكان أول من ولـي المشيخة من مشايخ المذهب الشافعي.

وفاته :

توفي الشيخ الشبرواي عن عمر يناهز ثمانين عاماً، وصُلّي عليه بالجامع الأزهر في مشهد حافل، ودُفن بمقابر المجاورين.

من شعره :

أعـــد ذكـــر مصـــرَ إن قلبـــي مولـــع

بمصـرَ ومَـن لـي أن تـرى مقلتـي مصـرا

وكـــرر علـــى ســـمعي أحاديـــث نيلهـــا

فقـــد ردّت الأمـــواج ســـائلة نهـــرا

بـــلادٌ بهـــا مـــدّ الســـماح جناحـــه

وأظهـــر فيهـــا المجـــد آيتـــه الكبـــرى

رويـــــداً إذا حـــــدثتني عـــــن نيلهـــــا

فتطويـــل أخبـــار الهـــوى لـــذة أخـــرى

إذا صـــاح شـــحرور علـــى غصـــن بانـــة

تـــذكرت فيهـــا اللحـــظ والصـــعدة الســـمرا

عســـى نحوهـــا يلـــوي الزمـــان مطيتـــي

وأشـــهد بعـــد الكســـر مـــن نيلهـــا جبـــرا

لقـــد كـــان لـــي فيهـــا معاهـــد لـــذة

تقضـــت وأبقـــت بعـــدها أنفســـاً حســـرى

أحـــنّ إلـــى تلـــك المعاهـــد كلمـــا

يجـــدد لـــي مـــرّ النســـيم بهـــا ذكـــرى

أمـــا والقـــدود المائســـات بســـفحها

وألحـــاظ غـــادات قـــد امـــتلأت ســـحرا

ومـــا فـــي رباهـــا مـــن قـــوام مهفهـــف

عـــلا وغـــلا عـــن أن يبـــاع وأن يشـــرى

لـــئن عـــاد لـــي ذاك الســـرور بأرضـــها

وقـــرّت بمـــن أهـــواه مقلتـــي العبـــرا

لأعتـــنقن اللهـــو فـــي عرصـــاتها

وأســـجد فـــي محـــراب لـــذاتها شـــكرا

رعـــى الله مرعاهـــا وحيّـــا رياضـــها

وصـــب علـــى أرجائهـــا المـــزن والقطـــرا

منـــازل فيهـــا للقلـــوب منـــازه

فللـــه مـــا أحلـــى ولله مـــا أمـــرا

يـــذكرني ريـــح الصـــبا لـــذة الصِـــبا

بروضـــتها الغنّـــا وقـــد تنفـــع الـــذكرى

علـــى نيلهـــا شـــوقاً أصـــبّ مـــدامعي

وأصـــبوا إلـــى غـــدران روضـــتها الغـــرّا

كســـاها مديـــد النيـــل ثوبـــاً معصـــفراً

وألبســـها مـــن بعـــده حلّـــة خضـــرا

وصـــافح أغصـــان الريـــاض فأصـــبحت

تمـــدّ لـــه كفـــاً وتهـــدي لـــه زهـــرا

وأودع فـــــي أجفـــــان منتزهاتهـــــا

نســـيماً إذا وافـــاه ذو علـــة تبـــرا

إذا حـــذّرتني بلـــدة عـــن تشـــوّقي

إلـــى نيـــل مصـــر كـــان تحـــذيرها أغـــرى

وإن حـــدثوني عـــن فـــرات ودجلـــة

وجـــدت حـــديث النيـــل أحلـــى إذا مـــرّا

ســـأعرض عـــن ذكـــر الـــبلاد وأهلهـــا

وأروى بمـــاء النيـــل مهجتـــي الحـــرّا

وكـــم لـــي الـــى مجـــرى الخلـــيج التفاتـــة

يســل بهـــا دمعـــي علـــى ذلـــك المجـــرى

جـــداول كالحيـــات يلتـــف بعضـــها

ولسـت تـرى بطنـاً وليسـت تـرى ظهـرا

وكـــم قلـــت للقلـــب الولـــوع بـــذكرها

تصــبّر فقــال القلــب لــم اســتطع صــبرا

ومن شعره :

إن العواذل قد كووا

إِنَّ العَـــــواذِلَ قَـــــد كَـــــووا

قَلبـــــي بِنـــــار العـــــذل كَـــــيّ

وَمُـــــرادَهُم أَســـــلو هـــــوا

كَ وَأَنـــــتَ نُقطَـــــة مقلَتـــــي

عَـــــذلوا وَمـــــا عَـــــذَروا وَكَـــــم

وَصـــــل الاســـــى مِـــــنهُم اِلـــــيّ

كَـــــم شَـــــنَعوا وَتَفَوّهـــــوا

وَتَقَوّلـــــوا كَـــــذبا عَلَـــــيّ

وَأَنـــــا وَحَقـــــك لا تـــــؤثر

عنـــــدي العـــــذال شَـــــي

حاشـــــى يَكـــــون لِقَـــــولِهِم

يـــــا منيَتـــــي أَثـــــر لَـــــدَيّ

يـــــا حـــــادي الأظعـــــان يَـــــط

وي البيـــــد بِالأحبـــــاب طـــــي

مَهـــــلا بِهِـــــم حَتـــــى أَمتـــــ

ــــــع نـــــاظِري مِـــــنهُم شـــــوي

يـــــا عـــــاذِلي فـــــيهِم لَقَـــــد

أَســـــمَعت لَـــــو نادَيـــــت حـــــي

قُـــــل لـــــي بِأَيـــــة ســـــنَة

الحُـــــب عـــــار أَم بِـــــأَيّ

يـــــا صـــــاحِبي وَمـــــن قَضـــــى

إنـــــي أَحـــــاور صـــــاحبي

مـــــا حلـــــت عَـــــن عَهـــــدي وَلَـــــو

قطـــــع العَـــــواذل اخـــــدعي

لا يـــــا أَخـــــي وَلا أَقـــــو

ل لِعـــــاذلي لا يـــــا أَخـــــي

لا وَالَّـــــذي جعـــــل الهَـــــوى

فـــي شَـــرع أَهـــل الغَـــي غَـــي

مـــــا همـــــت يَومـــــاً بِالرِبــــا

ب وَلا بِهنـــــــــد وَلا بمـــــــي

لكـــــــن شَـــــغَفت بحـــــب آ

ل البَيـــت بَيـــت بنـــي قصـــي

المنتَمـــــــين بِـــــــذلك النَســـــــ

ـــــب الشَـــريف إلـــى لُـــؤي

قَـــــــوم إذا مـــــــا أَتهـــــــم

ذو كُربَـــــة نـــــادوه هـــــي

هـــــم عمـــــدتي وَوَســـــيلَتي

مَهمـــا لَـــواني الـــدَهر لـــي

يـــــا آل طـــــه قَـــــد حسبـــــ

ـــــت عَلَـــيكُم فـــي حـــالَتي

وَبجـــــــاهكم آل النَبِـــــــيّ

تَمَســــــكت كلتــــــا يَــــــدي

أَرجـــو بِكُــــم حســـــن الخَتـــا

م إذا ارتَهنـــــــــت بِأَصـــــــغري

ابن معصوم

علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن مَعْصُوم.
عالم بالأدب والشعر والتراجم شيرازي الأصل، ولد بمكة وأقام مدة بالهند، وتوفي بشيراز، وفي شعره رقة.
من شعره :

مِن أَينَ يا ريحَ الصَبا هَذا الشَذا؟

مِن أَينَ يا ريحَ الصَبا هَذا الشَذا ... إِن كانَ من حَيِّ الحَبيبِ فحبَّذا
بالله هَل يمَّمتَ شَرقيَّ الحِمى ... ووردتَ مَنهَلَه المصون عن القَذى؟
أَم هَل سحبتَ الذَيلَ بين أَراكِهِ؟ ... فأَخذتَ من تلك الشَمائِلِ مأخَذا
أَم هَل حَظيتَ بلثم مَسحب بُردِهِ؟ ... فكسبتَ من أَنفاسِه طيبَ الشَذا
وَبمُهجَتي إِن كانَ يَرضاه فِدىً ... رشأ على كُلِّ القُلوب اِستَحوَذا
لَمّا رأَت منه المحيّا عُذَّلي ... فدّاه كُلٌّ بالنُفوس وعوَّذا
وَغَدا يَقولُ مكلِّفي بسلوِّه ... ما كُنتُ أَحسَبُ من كُلِفتَ به كَذا
لَمّا جلا ياقوتَ صفحةِ خَدِّه ... أَبدى لنا من عارضَيه زُمرُّذا
وَرَمى القُلوبَ فكانَ سَهمُ لحاظِهِ ... أَمضى من السَهم المُصيب وأَنفَذا
لَيتَ الَّذي أَورى بقَلبي حُبَّه ... أَنجاه من نارِ الصُدود وأَنقَذا
وَعلى جَفاهُ ما أَلَذَّ غَرامَهُ ... لَو كُنتُ أَسلمُ في هَواهُ من الأَذى
ظنَّ العذولُ بأن هَداني نصحُه ... بعدَ الضَلال وما هدى لكن هَذى

سقياً لمَثْناةِ الحجاز وطيبها

سقياً لمَثْناةِ الحجاز وطيبها ... ولسُوحِ رَوضتِها وسَفح كثيبِها

وظِلالِ دوحٍ في شَريعتها التي ... تنسابُ بين مَسيلها ومَسيبِها

ورياضِ بَحْرتها التي فاقت على ... كلِّ الرِّياض بحسنِها وبطيبها

يَنفي الوَبا عن مائِها وهوائِها ... وترابِها ما صحَّ من تَركيبها

لله عَقْوتُها التي نالت بها ... نفسي من اللَّذات كلَّ نصيبها

كم بتُّ فيها ساحباً ذيلَ الصِّبا ... أختالُ بين رَبابِها ورَبيبها

ويكفُّني حلمُ الحِجا حتى إذا ... دبَّت حُميَّا الكأسِ بعض دَبيبها

مزَّقتُ جلبابَ الوَقار بصبوَة ... ما زال دهري مُعجَباً بعجيبها

واهاً لها من ليلةٍ لم يألُ لونُ ... سُلافِتا الذَّهبيُّ في تذهيبِها

كم شنَّفتْ كأساً بدُرِّ حَبابها ... بل كم شفت نفساً بقُرب حبيبها

يا ساقيَ الراح الشهيَّة هاتِها ... وأرحْ براحَتها فؤادَ كئيبها

قرِّب كؤوسَك لا نأيتَ فلا غِنىً ... إن رمتَ بُعدَ الهمِّ من تقريبها

أدِم اصطِباحاً واغتباقاً شِربَها ... فالأنسُ موقوفٌ على شرِّيبها

صِفها بأحسنِ وصفِها ونُعوتها ... واختَزْلها الألقابَ في تَلقيبها

حمراءُ تسطعُ في الكؤوس كأنَّها ... ياقوتةٌ ذابتْ بكفِّ مُذيبهتا

صرفت هومَ الشاربين بِصرْفها   وافترَّ ثغرُ الكأس من تَقطيبها

لو لم يكنْ في الرَّوض مغرسُ كرمها   ما رجَّعت ورقاءُ في تَطريبِها

دعت العقولَ إلى الذُّهول فلم يفز   بجوامع اللذَّات غيرُ مُجيبها

ومليحةٍ قد أشْبَهتْ شمسَ الضُّحى   في الحُسن عند طلوعها ومَغيبها

تبدو فتختطفُ العيونَ مضيئة   بشروقها وتغيبُ في غِرْبيبها

شبَّت فشبَّت في الحشا نارُ الأسى   فقصرتُ أشعاري على تشبيبها

ناسبتُها ونسبتُ في شِعري بها   فاعجبْ لحُسن نَسيبها لنَسيبها

ومن العجائب أنَّ جمرةَ خدِّها   تذكو فيشكو القلبُ حرَّ لهيبها

ما زال منذُ فقدتُّها وَصَبِي بها   يَقضي بصبِّ مدامعي وصَبِيبها

ما ساغَ موردُ وصلها لي ساعة   إلاَّ أغصَّتني بعين رَقيبِها

بالله ربِّكم اسمَعوا أشرَحْ لكمِ   في الحبِّ أحوالي على تَرتيبها

أبصرتُها فعشقتُها فطلبتُها   فمُنِعْتُها فقضيتُ من كلفي بها

يا عاذِلي ما رمتَ راحة مهجتي   من وجدها بلْ زدْتَ في تعذيبها

لا تكثرنْ نُصحي فتلكَ نصائحٌ   يكفيكَ صدقُ هوايَ في تكذيبها

ما هُنَّ غيرُ وساوسٍ تهذي بها   عندي وان بالغتَ في تهذيبها

هيهات يَسلو بالمَلامة مغرمٌ   يزدادُ فرطُ هواهُ من تأنيبها

ويرى السلوَّ مصيبةً من بعدما   رشقته نبلُ لحاظِها بمصيبها

ما زلتُ انتخبُ القريضَ لوصفها   ولمدح مُنتخَب العُلى ونجيبها

مُولي المعارِف والعوارفِ والنَّدى وعريـفِ سـاداتِ الهُـدى ونَقيبِهـا

إن عُـدَّت الأنسـابُ فهـو نسـيبُها وحسيبُها المشـهور وابـنُ حسيبها

حـــاز الفخـــارَ بِنســـبةٍ نبويَّـــة هي في غنىً عن بُردها وقضيبها

وروى مُعـــنعنَ مجـــده بروايـــة جلَّـت عـن ابـن قَرينهـا وقَريبِهـا

نـدبٌ إذا افتُرِغَـتْ منـابرُ مِدحـةٍ كانـــت مناقبُـــه لســـانَ خَطيبهـــا

وإذا المجـالسُ بالصـدُور تزاحمـتْ فحسـينُها الحسـنيُّ صـدرُ رَحيبهـا

هو كعبـةُ الفضـلِ التـي يَهوي لها مـن أمَّـة الفُضـلاءِ قلـبُ مُنيبِهـا

ذلَّـــت وأذعَنـــتِ الأبـــاةُ لمجـــدِه إذعـــانَ هائِبهـــا لبـــأس مَهيبهـــا

يـا أيُّهـا الشـهمُ الـذي سَبقَ الـورى ببعيـدِ غايـاتِ العُلـى وقَريبهـا

جُزتَ السماء بمُرتقىً قد قصَّرتْ عـن أن تَنـالَ عُـلاه كـفُّ خَضِـيبها

وحويـتَ إبَّـانَ الشَّـباب مَفـاخراً لــم يحوِهــا شــيبٌ أوانَ مَشــيبِها

لله دَرُّكَ مــــن جَــــواد ماجـــدٍ ضـحكت بـه الآمـالُ بعـد نَحيبهـا

وإليكهـا غــرّاءَ تســتلبُ النُّهــى بـــأوانسِ الألفـــاظِ دونَ غَريبهـــا

وافتكَ تشـرحُ شـوقَ نَفسـي عنـدما حنَّــت إلــى لُقيــاكَ حَنَّــة نِيبِهــا

قـايسْ بهـا الأشـعارَ فـي حُسـنٍ تجدْ شـعرَ المحـبِّ يفـوقُ شِـعرَ حبيبِهـا

واسـلمْ ودُم فـي نعمـةٍ طـولَ المدى تختـــالُ مـــن أبرادِهـــا بقَشِـــيبِها

مـا رنَّحتْ ريحُ الصِّبا زهرَ الرُّبى أو غــرَّدت ورقــاءُ فــوقَ قضِــيبِها

يا حاديَ الظُّعنِ إن جُزتَ المَواقيتا

يا حـاديَ الظُّعنِ إن جُزتَ المَواقيتا — فحـيِّ مـن بمنـىً والخَيْـفِ حُيِّيتـا

وسـلْ بجمـعٍ أجمـعُ الشَّمل مؤتَلِـفٌ — أم غالَـه الـدَّهرُ تفريقـاً وتَشْـتيتاً

والـثمْ ثَـرى ذلكَ الـوادي وحطَّ بـه — عـن الرِّحـال تَنـلْ يـا سـعدُ ماشِـيتا

عهـدي بـه وثـراهُ بالشـذا عبـقٌ — كالمسـك فتَّتـهُ الـداريُّ تفتيتـا

والـدرُّ مـا زالَ من حَصْبائه خجِلاً — كـأنَّ حصـتباءَه كانـت يَواقِيتـا

يؤمُّـه الوفـدُ مـن عربٍ ومـن عَجـمٍ — ويسـبرونَ لـه البِيـدَ السَّـباريتا

يَطوُونَ عَرضَ الفَيافي طولَ ليلهُمُ — لا يهتـدون بغيـرِ الـنَّجم خِرِّيتـا

مـن كـلِّ منخـرق السِّربال تحسبه — إذا تسـربلَ بالظَّلمـاءِ عِفرِيتـا

لا يطعـم المـاء إلاَّ بـلَّ غلَّتـه — ولا يـذوقُ سـوى سَدِّ الطَّـوى قُوتـا

يفـري جيوب الفلا فـي كـلِّ هـاجرة — يُماثِـل الضَبُّ في رَمضـائِها الحُوتـا

تَـرى الحَصـى جَمـراتٍ مـن تَلهُّبِهـا — كأنَّمـا أوقـدتْ فـي القفـر كِبريتـا

أجـابَ دعـوة داعٍ لا مـردَّ لهـا — قضى على النَّاس حجَّ البيت توقيتا

يرجو النَّجاة بيومٍ قد أهاب به	في مَوقفٍ يدَعُ المنطيقَ سِكِّيتا
فسار والعزم يطويه وينشره	ينازلُ البينَ تصبيحاً وتَبْييتا
حتى أناخَ على أمِّ القرى سحراً	وقد نَضا الصُّبحُ للظَّلماءِ إصْلِيتا
فقامَ يقرعُ بابَ العَفوِ مُبْتَهلاً	لم يَخشَ غيرَ عِتابِ الله تبكِيتا
وطافَ بالبيتِ سَبْعاً وانثنى عجِلاً	إلى الصّفا حاذِراً لِلوَقْت تَفْوِيتا
وراحَ مُلتمساً نيلَ المُنى بِمِنىً	ولم يَخَفْ حينَ حلَّ الخَيفَ تَعنيتا
وقامَ في عرفاتٍ عارفاً ودعا	ربّاً عوارفُهُ عمَّته تربيتا
وعادَ منها مُفِيضاً وهو مُزْدلِفٌ	يَرجو من اللهِ تمكيناً وتثبيتا
وباتَ للجَمَراتِ الرُّقْش مُلتَقِطاً	كأنَّه لاقِطٌ دُرّاً وياقُوتا
وحين أصبح يومَ النَّحرِ قام ضُحىً	يُوفي مناسِكَه رَمياً وتَسْبِيتا
وقرَّب الهَديَ تَهدِيهِ شَرائعُهُ	إلى الهُدى ذاكراً للهِ تَسْمِيتا
وملأتْهُ ليالي الخَيْفِ بَهجتَها	فحجَّ للدِّين والدُنيا مُواقيتا
حتى إذا كان يومُ النَّفر نفَّرَهُ	وجدٌ ينكِّثُ في الأحشاء تنكيتا
ثمَّ اغتَدى قاضياً من حجِّه تَفَثاً	يرجو لتزكيةَ الأعمال تزكيتا
وودَّع البيتَ يرجو العودَ ثانيةً	وليتَه عنه طولَ الدَّهرِ ماليتا
وأمَّ طيبةَ مثوى الطَّيِّبين وقد	ثنى له الشوقُ نحو المصطفى لِيتا
فواصلَ السيرَ لا يَلوي على سَكَنٍ	أزاد حبّاً له أم زاد تمقيتا

حتـى رأى القبَّـة الخضـراءَ حاكيـة ... قَصـراً مـن الفَلَـك العُلـويِّ مَنْحوتـا

فقبَّـل الأرضَ مـن أعتـابِ سـاحتِها ... وعفَّـر الخـدَّ تَعظيمـاً وتَشْـمِيتا

حيـث النبـوَّةُ ممـدودٌ سُـرادِقُها ... والمجـدُ أنبتَـه الـرحمنُ تَنْبيتـا

مقـامُ قـدسٍ يحـار الواصـفون لـه ... ويرجِـعُ العقـلُ عـن عَلْيـاه مَبْهوتـا

لـو فاخَرَتْه الطِّباقُ السبعُ لانتكسَتْ ... وعـادَ كوكبُهـا الـدُّريُّ مَكبُوتـا

تَستَوقفُ السَّمعَ والأبصـارَ بهجَتُـه ... ويجمـعُ الفضـلَ مَشْـهوداً ومَنْعوتـا

يقـولُ زائـرُه هـاتِ الحـديثَ لنـا ... عـن زوره لا عـن الـزَّوراء أوهيتـا

وصـف لنـا نـوره لا نـار عاديـة ... باتـت تشـبُّ علـى أيـدي مصـاليتا

مثـوى أجلِّ الـورى قـدراً وأرحـبهم ... صـدراً وأرفعهـم يـومَ الثَّنـا صِـيتا

نبـيٌّ صـدقٍ هـدت أنـوار غرَّتـه ... بعد العمـى للهدى من كـان عمِّيتا

وأصـبحتْ سُـبُلُ الـدين الحنيـفِ بـه ... عَـوامراً بعـدَ أن كانـت أمارِيتـا

أحيـا بـه اللهُ قومـاً قـام سـعدهم ... كمـا أمـات بـه قومـاً طواغيتـا

لولاه مـا خاطب الرحمان من بشرٍ ... ولا أبـان لهـم دينـاً ولا هوتـا

لـه يـدٌ لا نُرجِّـي غيـرَ نائِلِهَـا ... وقاصـد البحـر لا يرجـو الهراميتـا

فلـو حـوت مـا حوتـه السُّحب من كرمٍ ... لمـا سـمعت بهـا للرعـد تصـويتا

فقـل لمـن صـدَّه عنـه غوايتـه ... لـو اهتـديت إلـى سبل الهدى جيتا

مـا رام حصـر معانيـه أخـو لسـنٍ ... إلاَّ وأصـبح بـادي العـيِّ صِـمِّيتا

يا أشرفَ الرُّسْلِ والأملاكِ قاطبةً ... ومن به شرَّف اللهُ النَّواسيتا

سمعاً لدعوة ناءٍ عنك مكتئبٍ ... فكم أغثت كئيباً حين نوديتا

يرجوك في الدِّين والدُّنيا لمقصده ... حاشا لراجيك من يأسٍ وحوشيتا

أضحى أسيراً بأرض الهند مغترباً ... لم يرجُ مخلصَه إلاَّ إذا شيتا

فنجِّني يا فدتك النفس من بلدٍ ... أضحت لقاح العلى فيه مقاليتا

وقد خدمتك من شعري بقافية ... نَبَّتُّ فيها بديعَ القول تَنْبِيتا

وزانها الفكر من سحر البيان بما ... أعيا ببابل هاروتاً وماروتا

جلَّت بمدحِكَ عن مِثْلٍ يُقاسُ بها ... ومن يقيسُ بنَشر المسْكِ حِلْتِيتا

عليكَ مِن صلوات الله أشْرفُها ... وآلك الغرِّ ما حيُّوا وحيِّيتا

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني

ولـي كبدٌ مقروحـةٌ مـن يبيعنـي ... بهـا كبـداً ليسـت بـذات قـروح

أبى الناسُ وَيْبَ الناس لا يَشترونها ... ومـن يشـتري ذا علـةٍ بصـحيح

أئنُّ من الشَّوق الذي في جَوانحي ... أنـينَ غَصـيصٍ بالشـراب قَـرِيحِ

وأبكـي بعـينٍ لا تكـف غروبهـا ... وأصْـبو بقلـبٍ بـالغَرام جَـريحِ

وألتـاعُ وجـداً كلَّمـا هبَّـت الصَّـبا ... بنَشـر خُزامـى أو بنفحـةِ شـيح

إلـى الله قلبـاً لا يـزالُ معـذَّباً ... بِتأنيـبِ لاحٍ أو بهجـرِ مَلـيحِ

فيـا عصـرَنا بـالرَّقمتين الـذي خَـلا ... لـك الله جـدبا بـالقرب بعـد نـزوح

أرقـت وقـد نـام الخلـي مـن الأسـى ... لبـرقٍ بـأعلى الـرقمتين لمـوح

فبـت كمـا بـات السـليم مسـهداً ... بجَفـنٍ علـى تلـك السُّـفوح سَـفوح

يهـيج أشـجاني تـرنم صـادحٍ ... ويـوقظ أحزانـي تنسـم ريـح

فللَّـه بالجَرعـاء حـيٌّ عَهِـدتُهم ... يحلـون منهـا فـي معاهـد فـيح

ليـالي ليلـي مـن بهـيم ذوائـبٍ ... وصـبحي مـن وجـه أعـر صـبيح

هُـمُ نُجْـحُ آمـالي ونَيـلُ مـآربي ... وصـحَّةُ أسـقامي وراحـةُ رُوحـي

لـئن مـرَّ دهـرٌ بالتَّنـائي فقـد حـلا ... غَبوقي بهم فيما مضى وصَبُوحي

أما تَرى الأيكَ قد غنَّت صوادحُهُ؟

أما تَرى الأيكَ قد غنَّت صوادحُهُ ... والـروض نمـت برياه نوافحـه؟

فـانهض إلـى وردةٍ حفت بنرجسة ... حبابهـا زهـرٌ طابـت روائحـه

حمراء يسطع في الظلماء ساطعها ... كأنهـا شـررٌ أوراه قادحـه

إذا احْتَسـاهَا أخوسِرّ بجُنحِ دُجىً ... يكـادُ يَظهـرُ مـا تُخفـي جَوانحُـه

مـن كـف أغيـد مـا للبـدر طلعتـه ... ولا لشـمس الضـحى منـه ملامحـه

مـورَّدُ الخـدِّ لَـدْنُ القـدِّ ذو هَيـفٍ ... خفيـف روحٍ ثقيـل الـردف راجحـه

بَـدرٌ ولكنَّمـا قَلبـي مطالعُـه ... ظبـيٌ ولكـنَّ أحْشـائي مسـارحُهُ

لـم تبـد رقـة كشـحيه لنـاظره ... إلا ورق لـه بـالرغم كاشـحه

إذا تجلـت بشـمس الـراح راحتـه ... ودت نجـوم الـدياجي لـو تصـافحه

يفتـر ثغـر حبـاب الكـأس فـي يـده ... كأنَّهـا حـين يَجلوهـا تُمازِحُـهُ

مـا اهتـز مـن طـربٍ إلا شـدا طربـاً ... مـن الحلـي علـى عطفيـه صـادحه

قاسُـوه بالبَـدر فـي ظَلمـاءِ طُرَّتـه ... والفرقُ يظهرُ مثلَ الصُّبح واضحُه

مـا كـان أغنـى النَّدامى عـن مُدامَتـهِ ... لـو أنـه سـامحٌ بـالثغر مانحـه

لا يمنـع الصـبَّ وَعْـداً حـين يسـألُه ... لكنـه ربمـا عـزت منائحـه

قـد كـان يقنعـه طيـفٌ يلـم بـه ... لـو أنـه بـالكرى لـيلاً يسـامحه

كـم رامَ يكـتمُ مـا يلقـاهُ مـن كَمـدٍ ... فـي حبـه غيـر أن الـدمع فاضـحه

يا ناصحَ الصبِّ فيه لا تقلْ سفهاً | تالله ما بر فيما قال ناصحه
ما زلت أحسن شعري في محاسنه | وواصفُ الحُسن لا تكبُو قَرائحُه
لا يحسن الشعر إلا من تغزله | فيه وفي المُصْطفى الهادي مدائحهُ
هو الحبيبُ الذي راقَتْ خلائقُه | وربه بعظيم الخلق مادحه
إن ضل من أم ليلاً سوح حضرته | هداه من نشره الذاكي فوائحه
هو الكريم الذي ما زال نائله | تتلُو غوادِيَه فينا رَوائحُه
محمَّدٌ خيرُ محمودٍ وأحمَدُ من | وافت بأسعد إقبالٍ سوانحه
أتى بفرقان حق في نبوته | ضاهَت خواتِمَهُ الحُسنى فواتحُهُ
من اقتفاهُ أغاثَتْهُ صحائفُه | ومَن أباهُ أبادَتْه صفايحُهُ
وليس باب هدىً ترجى النجاة به | يوم القيامة إلا وهو فاتحه
الموسع الجود إن ضاقت مذاهبه | والفاتح الخير إن أعيت مفاتحه
ما زال مجتهداً في نصح أمته | حتى هَدَتهم إلى الحُسنى نصائحُهُ
بصدقه شهدت أنوار غرته | والحقُّ أبلجُ لا تَخفى لوائحُهُ
لم يبرح العدل بالعدوان ملتبساً | حتى أتى وهو بالفرقان شارحه
فأصبحَ الحقُّ قد درَّت غزائرُهُ | وأنتجَتْ بالهُدى فينا لواقحُهُ
وأصلحَ الدينَ والدُّنيا بملَّتِه | وأقبلت في الورى تترى مصالحه
قد فازَ منه مُواليهِ بمُنْيَتِهِ | وطوَّحتْ بمُعادِيه طوائحُهُ
ما مسَّ مُجدِبَ وادٍ نعلُ أخمصِه | إلا وسالت بما تهوى أباطحه

لو فاخرَ البحرَ جَدوى راحَتيْه غدا | قفراً وغاضَتْ على غَيظٍ طوافحُهُ
لـــو أمِـــدَّ غمـــامٌ يـــومَ نائلـــه | مـن فيض كفيـه مـا كفت سـوافحه
وكـم لــه مــن جميــلٍ در مجملــه | زانَــتْ ترائــبَ أقــوالي وشــائحُهُ
لا يَبلـغ الواصـفُ المُطـري مناقبَـهُ | وكيـف يبلـغ أقصـى البحـر سابحه
يـا سيَّدَ الخلقِ مـا لِلعبد غيركَ مَنْ | يرجـوه غوثـاً إذا ضـاقت منادحـه
فأنت أنت المرجى إن عرت نـوبٌ | وبلبـل البـال مـن دهـرٍ فوادحـه
فاسمعْ لـدَعوةِ مُضـطرٍّ بـه ضَـرَرٌ | يـدعوك وهـو بعيـد الإلـف نازحـه
قد غادرتـه النوى رهن الخطوب ولم | يـزل يماسـيه منهـا مـا يصـابحه
أضحَى غريباً بأرض الهِند ليس لـه | ســوى تفكـــره خـــلٌ يطارحـــه
لعـل رحمـاك مـن بلـواه تنقـذه | ويُصـبح البـينُ قـد بانَـتْ بَوارحُـهُ
فاشــفَعْ فــديتُكَ فــي عبــدٍ تكــاءَدَهُ | مـن الحـوادثِ مـا أعيـاهُ جامِحُـهُ
يرجو شفاعتك العظمـى إذا شـهدت | بِمــا جَنــاه علــى عَمْــدٍ جوارحُــهُ
وستل إلهـك يعفـو عـن جرائمـه | قبـلَ السـؤال فـلا تَبـدو قبائحُـهُ
أنــت الشــهيد علينــا والشــفيع لنــا | فمــن شــفعت لــه تسـتر فضــائحه
ولــي مطالِـبُ شَـتَّى أنـتَ مُنجحُهـا | فضـلاً إذا أعْيـت الراجـي مناجحُـهُ
عليـكَ مــن صـلواتِ اللَّه أشـرَفُها | ومــن تحيَّاتــه مــا طــابَ فائحُـهُ
والآل والصـحب مـا غنـت مطوقـة | ولاح مـن بـارق الجرعـاء لائحـه

ابن النقيب

هو هذه المقالة يتيمة إذ لا تصل إليها مقالة أخرى. ساعد بإضافة وصلة إليها في مقالة متعلقة بها. (يوليو ٢٠١٤)

عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد، الحسيني، المعروف بابن النقيب وابن حمزة أو الحمزاوي النقيب، ينتهي نسبه إلى الإمام علي ابن أبي طالب، ، وعُرف بابن النقيب لأن أباه كان نقيب الأشراف في بلاد الشام، وكان عالماً محققاً ذا مكانة سياسية واجتماعية ودينية. المولود في دمشق .

تعلم ابن النقيب على يد والده، وتلقى منه علومه الأولى من الآداب والشريعة وغيرهما، كما تلقى على غيره من علماء عصره، واستكمل الاطّلاع على مختلف أنواع العلوم، وأتقن الفارسية والتركية وهو ابن عشرين سنة، ومال إلى الإنشاء ونظم الشعر فبرع فيهما، حتى صار من أعلامهما، وقد وصف شعره بأنه كثير الصور، بعيد التشابيه، عجيب النكات، ضمنه - كما كان يصنع الشعراء في عصره - كثيراً من المعميات والألغاز، وكان في شعره يجمع بين جزالة اللفظ وجمال التركيب وغزارة المعاني المستمدة من محفوظه الشعري والنثري الكبير.

لابن النقيب ديوان شعر يضم قصائد كثيرة منها ملحمة غنائية في مئة وتسعة عشر بيتاً، جمع فيها أسماء أعلام الغناء القديم وأسماء الملوك وندمائهم وجواريهم وقيانهم، واقترب فيها من فلسفة عمر الخيام الشعرية، في ديوانه عدد من الموشحات أيضاً.

وفي ديوانه تناول الأغراض الشعرية كالمدح والفخر والوصف والهجاء ومنها المدائح النبوية. وتعد المطارحات والحواريات الشعرية من الأغراض التي تطرق إليها الشاعر، فله كثير من القصائد المتبادلة بينه وبين شعراء زمانه كالأمير منجك الشاعر، ومنها ما كتبه أيضاً إلى بعض الأدباء، وربما تعدى ذلك إلى مطارحات خيالية رمزية في قصائد يخاطب فيها حمامة أو شحروراً.

ومن أغراض شعره وصف بعض أنماط الشخصيات الاجتماعية التي كانت شائعة في عصره، وأكثر وصفه كان للطبيعة الدمشقية الساحرة ، **يقول واصفا دمشق :**

سَــقَى الله أيامــاً بغوطـــةِ جِلّــق إلى أرضِها الميثاءِ مسرى تفرُّجِي

إلــى تِلعــات السَـفْحِ مـن قاسَـيُونها مــدارجِ داريّ الصــبا المتــأرَجِ

إلــى مرجهـا الموشــيّ غـبّ سـمائِهِ إلى روضِها الأحوى الأغنّ المدبّج

وللغزل والنسيب حظه الأوفر من شعره، فقد ملأ الحب والشباب جسمه، ونحا شعر الغزل عنده ليعكس صورة نفسه اللاهية المطربة العابثة في بعض الأحيان.

كما كانت الألغاز والأحاجي من الأغراض التي برع فيها الشاعر، وقد أدرجها بعض المتأخرين في فنون البديع.

والدارس لشعره يميز فيه نزوعه إلى الذاتية والغنائية، كما أنه يجمع فيه بين الجرس الموسيقى اللطيف ورقة الألفاظ، وقد عرف الشعر- على طريقة الجاحظ - قوله:

الشعُر ضربٌ من التّصوير قد كَشَفت مُنه القَرَائح عن شتَّى من الصورِ

فاعمَــد إلــى قالــبِ عــونٍ تُدمِّثــه وأفِرغ بـه أي معنـى شِئت مُبتكـر

من شعره :

يا سرحة الوادي سقيت من الحيا

يـا سَرْحة الـوادي سُقِيتِ مـن الحيـا غَــدَقاً يواصــل ذيلــه بقِطــاره

لـم أنـسَ يـومي فـي ذَرَاكَ وحبَّـذا مـن ظلـك الألمـي دبيـب عـذاره

لمّــا انخــت بجانــب النهــر الــذي قد طـابَ لـي عيش مضى بجواره

حيـثُ النِّسـيمُ جـرى عليـه مُهَيْنمـاً فكأنّمــا ناجــاه بعــض ســراره

فتجعّــدتْ منــه الأســرّةُ واغتــدى بخريــره يُنْبيــك عــن أخبــاره

يـا طيـبَ ذيّـاك النسيم جـرى علـى   بَـــرَدَى يســـابقُ ذيلَـــه بعثـــاره
قــد رحــت مــه بالشــميم مُضَــمّخاً   ممــا حبــاه الــروضُ مــنْ أزهــاره

ومنه :

وافى الربيع بترنام الفواخيت

وافــى الربيــع بترنــام الفواخيــت   مــــنظم الــــدر لمــــاع اليواقيــــت
فقـم بنـا لـنقم رسـم السـرور علـى   مخضوضل النبت في أشهى المواقيت
ونقتـرف طيـب أوطـار الصـبا أنفـاً   في ظل فصل بطيب العيش منعوت
فــالروض ابــدى بــواكيراً مذبّحــةً   تــدعو لجمــع اشــتمال بعــد تشــتيت
وللبكــور علـــى النـــوار أنديـــة   فضّــت نــوافج مسـك منــه مفتــوت
وللمجعـــد مـــن أمـــواه جدولـــه   أســـرة مثـــل تعبـــيس المصـــاليت
وللفواقــــع أحـــــداق بـــــلا هـــــدب   مــن اللجــين كأحــداق المباهيــت
والـريح تسـتعطف الغصـن الرطيـب   جوىً فلا يزال عليها عاطف الليت
والزهـر قامـت بـه ترتـاح مـن سكر   ســوق الزبرجــد فــي درّ ويــاقوت
فــانعم مــن الــوردي أيــام جدتــه   بجـوهر مـن خـدود الغيـد منحـوت
فـإن مـن لـم يكـن بـالورد حيـث بـدا   مسـتمتعاً فهـو عنـدي غيـر مبخـوت
وقــم لنبتكــر اللــذات فــي طــربٍ   للهـــو تتبـــع تصـــفيقاً بتصـــويت
فــثمَّ أنشــد نفســي والمنــى أمَــمٌ   إِليـك يـا نفس منهـا اليـوم مـا شـيت

أحن إلى تلك الربى والمعاهد

أحــنُّ إِلــى تلــكَ الرُبــى والمعاهــد — بــذات الغضــا والآنســات الخرائِــد

وأهفــو وصــدّاح الحمــائم ســاجعٌ — يـرنّ علـى غصـن مـن الـدَوْح مائِـد

لــه شــدواتٌ فــي العشــي تلاعبــتْ — بكــلِّ فــؤاد طــائِش الحلــم واجــد

كلانـا لـه جسمٌ علـى النـأي شـاحبٌ — رهينٌ وجَفْنٌ في الهوى جدُّ ساهد

يـــذكرني أيـــام تُســـتَبقُ المنـــى — خِفَافـاً وطَـرْفُ الحـظّ لـيس براقـد

علـى روضــة ريّـا تـرفُّ وموْعِـدٍ — مـن العـيش فيْنـان الأراكـة بـارد

ألا يـا ابـن نعمـان الوثيـق حفاظـه — ويــا غائِبــاً لــم نلْقــه غيــرَ شــاهد

بجـدّك يـا ابـن الأكـرمين إِصـاخةً — لرنّـــةِ مصـــدوع وقصـــة ناشـــد

بعيشـك هـل مـن عطفـةٍ وارْتجاعَـةٍ — إِلـى عيشنا الماضـي وتلك المصـائد

وطيـــبِ حَـــديثٍ للصـــفاء كأنّـــه — أزاهيــرُ تنــدى فــي تُــؤام وفــارد

ويـوم علــى ظهـر الكثيـب وآخـر — علـى ضـفّة الـوادي الشـهي الموارد

مطـــارد أنْـــس للصـــبا آه للصـــبا — وحيّــا الحيــا آثــار تلــك المطــارد

فــإِن سـمح الـدهر الخـؤون بمثلهـا — فــإِني لمــا يَســخو بــه غيــر جاحــد

يا ليالي السفح من عهد الصبا

يـا ليـالي السـفحِ مـن عهـدِ الصِـبا
يــا ســقى مغنــاكَ صَــوبُ الــدِّيَمِ

كــم تســرقت بهــا بــين الرُبــى
خُلَســاً مــرّتْ كطيــفِ الحُلــمِ

فـــي زمـــانِ لـــذَّ عيشـــاً وصَـــفا
نَعِمَـــــتْ آصـــــالُه والبُكَـــــرُ

قـــد حللنـــا فيـــه روضـــاً أنُفـــا
يســـــتبينا طيـــــرُه المســـــتحِرُ

بأهـــازيجَ مـــن اللحـــنِ هفـــا
عنـــدها النـــايُ وزاغَ الـــوَترُ

يــرقصُ الغصــنُ ويصــغي طرَبــاً
نحوهـــا بالجيـــدِ كـــالمفتهِم

وإذا مـــا هينمـــت ريـــح الصَـــبا
صـــفّقَ النهـــر لـــذاك الـــنغمِ

لســـت أنســـاه مناخـــاً ضـــمّنا
وارفَ الظـــلِّ بَـــرود المنتـــدى

حيــث وجــه الــدهر طلــق والمنــى
أمَـــمٌ نســـلكُ منهـــا جَـــدَدَا

كــم جعلنــا اللهــو فيهــا ديــدناً
وهصـــرنا منـــه غصـــناً أملـــدا

قادنـــا الشـــوقُ إليهـــا وصـــبَا
نحوهـــا قلـــبُ الشـــجيِّ المغـــرَمِ

فحللنـــا نحوهَـــا منّـــا الحُبـــى
وحمـــدنا طيـــبَ ذاك المغـــنمِ

يـا سـقى الوسـميُّ مرجـاً بَـرَدتْ
فيـــه مـــن حـــرِّ الهمـــومِ المهـــجُ

أحـــدق الـــروضُ بـــه واطـــردتْ
حولـــه الغـــدرُ وفـــاحَ الأرَجُ

وقيـــانُ الطيـــر لمـــا اغتـــردت
فيـــه ناغاهـــا ذنـــابٌ هَـــزِجُ

وانثنـــى العـــود بـــه مصـــطخباً
بالغريضـــات بضـــربٍ محكـــم

وشـــدا النـــايُ لـــه فاصـــطحبا بغنـــــاء فــــائق منســـــجمِ
والأزاهيـــــرُ لـــــدينا نســـــقتْ فـــوق ظهـــران وروق بهـــجِ
والنعـــــامى بشـــــذاها خفقـــــت وانجلـت مـن وشـيها فـي زبـرج
والنـــــواوير بمســـــك فتقـــــتْ بـــين خلجـــانِ وظـــلٍّ سجســـجِ
وغــــدا ذيـــلُ الصـــبا منســـحبا فـــوقَ هاتيـــك الحلـــى والأنجـــمِ
وانثنـــى ينشـــرُ منهـــا عـــذبا ويضـــــم الغصـــــن كـــــالملتزمِ
كـم جـرَتْ خيـلُ التصـابي مرحـاً بنفـــوسٍ خيمـــت حيـــثُ النعـــيمْ
لبـــواكير مـــن العـــيشِ نَحـــا نحوهـــا القلـــبُ لـــدى أنـــسٍ مقـــيمْ
قـــد حبانـــا الـــدهرُ منهـــا مِنَحـــا وتلقتنـــــا بهـــــا خـــــودُ النســـــيمْ
نفحتنـــــا لشـــــذاها جوبـــــا وارتشـــــفناها بقلـــــبٍ وفـــــمِ
وجـــرتْ فينـــا الأمـــاني خَبَبـــا لمنـــــــاخٍ للهَنـــــــا مغتـــــــنَمِ
فـــي حـــواكير مـــن الســـفح لنـــا جانـــب الـــدير بهـــا مستشـــرفُ
ولحنّـــــان النـــــواعير غنـــــا عاشـــق فـــي الأذن منـــه شَـــنَفُ
وبهـــا مـــن ياســـمين يجتنـــى مـــن عـــروشٍ دانيـــات غُـــرَفُ
وســـرت أنفـــاس هاتيـــك الربـــى بشـــــذا حواذانهـــــا والحـــــزمِ
وبـــدا الـــورد مليكـــاً مغضـــباً ضُـــرِّجَتْ وجناتُـــه بالعَنْـــدَمِ
لســـتُ أنســـى عيشـــنا المقتـــبلا فـــي ذراهـــا بـــين تلـــك الغُـــدُرِ
وســـقى الربـــوة كـــم يـــوم خـــلا فـــي مَغانيهـــا بشـــط النَهـــرِ

حـين أضـحى الغصـنُ فيهـا ثَمِـلا يتهـــادى فـــي حبيـــرِ الزَهَـــرِ
وغـــدا النـــوّار موشـــيّ القبـــا ســـافراً عـــن ثغـــره المبتســـمِ
كـــم قضـــينا فـــي ذراهـــا أرَبَـــا وحمـــدنا فيـــه نقـــل القَـــدَمِ
كيـــف لا أذكـــر تلـــك الخُلَســـا مـن رغيـد العـيش وهـي العُمُـرُ
لســـت أقتـــاد ســـواها أنســـا يـــا ســـقاها عـــارضٌ منهمِـــرُ
كـــم أقـــام اللهـــو فيهـــا عُرُسَـــا وتجلّـــى فـــي رباهـــا قَمَـــرُ
راح منـــا بـــالهوى مقتربـــا لـــيّنِ العطـــف رخـــيم الكَلِـــمِ
حيـــث أضـــحى بالسّـــنا منتقبـــا مخطـــف الكشـــح نقـــي المبسَـــمِ
وسـعى مــن طرفــهِ لمــا انتشــى بمحيّـــا لحظـــهِ المخـــتلسِ
يتلــع الجيــد كمــا يعطــو الرشــا ويــداني الخطــو وسْــطَ المجلــسِ
يـا لــه مـن أهيـفٍ طـاوي الحشـا عَنـــدميّ الخـــدّ حلـــوِ اللَعَـــسِ
كـــم رعينـــا منـــه ثغـــراً أشـــنبا ورعـــى منـــا حقـــوقَ الـــذِّمَمِ
وقطعنـــا فيـــه عيشـــاً أطيبـــا للصـــبى لكنـــه لـــم يَـــدُم

الروض طلق والنسيم مهينم

الــروضُ طَلْــقٌ والنســيمُ مُهَيْــنمٌ	والزهــرُ بــاد والربيــعُ مُنَمْــنَمُ
والمــاءُ فُضّــيّ تقلقــلُ تحتَــه	حَصْــباؤه والجــوُّ صــاف مــنجم
والطيرُ غرّدَ في الغصونِ مرجّعاً	أخبــار مــن قتــل الهــوى المــتحكم
والدَوحُ يرفُلُ في مطارف سُنْدُسٍ	وجيوبُــه بشــذا الأزاهــرِ تُفعَــمُ
وعلــى الأراكِ حمامــةٌ ورْقــاءٌ قَــدْ	قامــت بمكتــوم الغــرام تُتَــرجمُ
والأُنْــسُ دانٍ والحــدائقُ تزدهــى	ولنــا حــديث كــاللآلئ يُــنْظَمُ
واغــنم لــذاذةَ يومنــا بغضــارةٍ	مــن عيشــه فهــو الزَّمــان المُــنْعِمُ

أحدثت وفاة ابن النقيب أثرا مؤلما لصاحبه السراج الوراق الذي عبّر عمّا أُلم به من حزن في الأبيات التالية:

شُقّتْ جيوب القوافي والقلوب معاً ... واستُشْعر الماضيان الخوف والجزعَا
وأبحر الشعر ، غاضتْ عندما عَدِمتْ ... منك الخليل ،ومجرى الشعر قد نبعَا
ولا تواتي المعاني من يُمارسها ... بعد الأمير وقد كانت له تبعَا
وليس يُفتح في باب البديع وقد ... أودى بعُمْدته دهرٌ وقد فجعَا
لهفي على لَسِنٍ قد كان من حَسَنٍ ... بحيث إن قال أصغى القول مستمعَا
إذا أفاض على أملاكنا خِلعاً ... منه أفاضتْ عليه المال والخلعَا
خَلَتْ كنانة من سهمٍ يبلِّغها ... أغراضها بصواب حيثما وقعَا
سهمٌ مضى فمتى يُرجى الرجوع له ... هيهات هيهات سهمٌ مرّ لا رجعَا
عَزِّ القبائل لا تخصصْ قبيلتهُ ... بمِدْرَهٍ جمع الإقدام والورعَا
مرابطٌ في ثغور المسلمين فلم ... يهجع ولا سيفهُ في الله ما هجعَا
يا سيّدي ورضيعي من فوائدَ قد ... رضعتُ أخلافها طفلاً وقد رضعَا
أبا عليٍّ ومدحي المصطفى لك من ... خير ادّخارٍ وخير الذخر ما نفعَا
فاذهبْ حميداً فكم أبقيتَ منقبةً ... يابن النقيب وكم مهّدتَ مضطجعا

محمد بن إسماعيل الصنعاني

الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني : مؤرخ وشاعر ومصنف من أهل صنعاء وهو أحد أئمة اليمن المتأخرين والذين يعدوا في المجتهدين القلائل المتحررين المتبعين للدليل من الكتاب والسنة.

وُلد بمدينة كحلان قرب صنعاء.، ثم انتقل إلى صنعاء وله إحدى عشرة سنة فنشأ بها.

له مصنفات كثيرة، بلغت نحو مائة مصنَّف.

نشأته:

في مدينة كحلان، ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء سنة ١١٠٧ هـ، وقد أتم الصنعاني حفظ القرآن بعد دخوله صنعاء.

ترجم له الشوكاني في البدر الطالع فقال:

«هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن إدريس بن علي بن محمد بن أحمد بن يحي بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير. الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف.

ولد سنة ١٠٩٩ هـ بكحلان ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء سنة ١٠٧٧ هـ .

أخذ عن علمائها ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برئاسة العلم في صنعاء واتسم بالاجتهاد.»

أقام الصنعاني بصنعاء ومات فيها، ولم يخرج منها إلا لتلقى العلم على يد المشايخ، أو للابتعاد عن السلطة الحاكمة في صنعاء، و في نهاية الأمر استقر بها حتى وفاته.

مسيرته العلمية :

رحل إلى أرض الحرمين ليؤدي نسكه ويلتقي بالعلماء والمحققين ويأخذ العلم عنهم، ولقد حج أربع مرات في كل مرة كان يلتقي بالمشايخ ويستفيد منهم ويلازمهم.

محنته مع السلطة والعامة:

عمل بالأدلة ونفر عن التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن. منها في أيام المتوكل على الله القاسم بن الحسين ثم في أيام ولده الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم، ثم في أيام ولده الإمام المهدي العباس بن الحسين وتجمع العوام لقتله مرة بعد مرة.

ولاه الإمام المنصور بالله الخطابة بجامع صنعاء فاستمر كذلك إلى أيام ولده الإمام المهدي.

يا سعد خذ بأبي وأمي

يـــا ســـعد خـــذ بـــأبي وأمـــي	ذات اليمـــــين بســـــفح ســـــلم
قـــــف بالمنـــــازل ســـــائلاً	عـــن أهلهـــن ســـؤال حلـــم
وابحــــث بلطــــف عبــــارة	عـــنهم فهـــم قصـــدي وأمـــي
ســـل عـــن ســـعاد فعنـــدها	يـــا ســـعد إنصـــافي وظلمـــي
فـــــي هجرهـــــا ووصـــــالها	حربـــي بـــلا شـــك وســـلمي
جـــــرت بعامــــل قــــدها	قلبـــي فهـــل أحظـــى بضـــم
وهـــــو الأســـــير لثغرهـــــا	مـــن غيـــر ظلـــم بـــل بظلـــم
وســـكرت منـــه ولـــم أذقــــ	ــــه بغيـــر تخييلـــي ووهمـــي
فأنــــا صــــريع رضــــابها	مـــن غيـــر عصـــيان وإثـــم
فســــقى ليــــالي الرقمتيــــ	ــــن ولـــي أجفـــاني ووســـمي
أيــــام ملــــك شــــبيبتي	يـــدع الغـــواني تحـــت حكمـــي
لا أختشـــي عنـــد الشـــمو	س الزاهـــرات أفـــول نجـــم
وإذا عــــذلن أجــــبن للــــ	ــــعذال هـــو بـــأبي وأمـــي
فمضـــى الشـــباب كأنمـــا	أيامـــــه أضـــــغاث حلـــــم

وثبـــــت ســـــنوه كأنمـــــا	وثـــب الجبـــا عقيـــب هـــزم
مـــا كنـــت أقـــدر قـــدره	قبـــل الفـــراق لســوء فهمـــي
وإذا الشـــباب هـــو الحيـــا	ة وبعـــــده أخـــلاط غـــم
وأتــــى المشـــيب وإنـــه	خصـــم ألـــد وأي خصـــم
طلعـــت طليعتـــه التـــي	قـــد آذنـــت بجيـــوش هـــم
وســـرى إلـــى ضـــعف القـــوى	فكأنـــــه عنـــــوان ســــقم
وثنـــى الغـــواني عـــن ثنـــا	ي مبـــدلاً مـــدحي بـــذمي
فشَـــــنَنَّ غـــارات التجـــــ	ـــرم والمـــلام بغيـــر جـــرم
ودعـــونني بعـــد الحبيـــــ	ـــب ولـــي بـــذا برهـــان لمـــي
ودعـــونني بعـــد الحبيـــــ	ـــب بلفـــظ يـــا أبـــت وعمـــي
لكـــن عـــاد لـــيَ الشـــبا	ب ولـــي بـــذا برهـــان لمـــي
بقـــــدوم رق راق لـــــي	وغـــــدوت منـــه رق قـــم
ففضضـــــته فـــإذا بـــه	بحـــران مـــن نثـــر ونظـــم
لمـــا أتـــاني مازجـــت	ألفاظـــه لحمـــي وعظمـــي
ويكـــاد أن يحيـــي العظـــا	م مـــن الـــرميم بكـــل جســـم
حســـد الســـميع للفظـــه	مـــن كـــان ذا ســـمع أصـــم
نظـــم لبحـــر المعـــارف	وعـــوارف وهـــدى وعلـــم
بحـــر يصـــدقه الـــورى	إن قـــال كـــل الفضـــل قســـمي

نجــل الأئمـــة مـــن بنـــي الـــ ـــــمختار ذي الطـــود الأشـــم

ملــــــك لـــــــذاك قريضـــــــه ملـــك القـــريض بكـــل حكـــم

مـــــولاي عـــــذراً إن جنيـــــ ـــت بمـــا أتيـــت لســـوء فهمـــي

قابلــــــــت دُرَّكَ بالحصــــــــى عـــذراً فنثـــرك فـــوق نظمـــي

ثـــم الصـــلاة علـــى الشفيـــ ـــع نبينـــا البـــدر الأتـــم

والآل أربــــــاب التقـــــــى والجـــود والفضـــل الأعـــم

نظم أرق من الشراب

نظم أرق من الشراب … وألذ من زمن التصابي

قد كاد من لطف المعاني … أن يسيل من الكتاب

كالخمر إلا أنه حِلٌّ … أراه بلا ارتياب

لا بل هو السحر الحلال … أتى بأنواع العجاب

لا بل هو الدر النفيس … أتى من البحر العباب

بحر التحافة واللطافة … والبلاغة في الخطاب

نجل الضياء ولا عجيب … فالنجيب من النجاب

من سرني بقدومه … وأزال لقياه اكتئابي

لله خطرتك التي ما … كان تخطر في حسابي

إني بسفح شهارة أحظى … بوصل واقتراب

ويعود لي زمن المسرة … في بلاد الاغتراب

فَلأَنْشُرنَّ له الثنا … وَلأَطْوِيَنْ عنه عتابي

ولأغفرن له الذُّنوب … السالفات إلى جنابي

من غربتي عن سفح صنعا … وابتعادي عن صحابي

من أرتجي من بعدهم … ظفراً قريباً بالإِياب

وخذ الجواب وإنه … ينبي الجواب عن الجواب

أحمد البهلول

هو أحمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن البهلول
عالم دين في عقيدة أهل السنة والفقه المالكي والحنفي، وكاتب وشاعر متصوف من مدينة طرابلس في ليبيا. رحل إلى مصر وتتلمذ على العديد من علمائها، من بينهم: أحمد البشيشي الكبير، محمد الخرشي، عبد الباقي الزرقاني، والشرنبلالي، وعاد إلى بلده وأضحى من شخصياته العلمية والثقافية البارزة.
روى الحديث النبوي، وألّف في عقيدة أهل السنة منظومة "درة العقائد"، وفي فقه الإمام أبو حنيفة النعمان ألّف منظومة "المعينة".

نَأَيْتُمُ عَنِ الْمُضْنى وَلَمْ تَتَعَطَّفُوا

نَأَيْتُمُ عَنِ الْمُضْنى وَلَمْ تَتَعَطَّفُوا عَلى هَائِمٍ أَضْحى بِكُمْ وَهُوَ مُدْنَفُ
مَشُوقٌ يُنَادِي وَالْمَدَامِعُ تَذْرِفُ نَهَارِي وَلَيْلِي سَاهِرٌ مُتَأَسِّفُ

وَمِنْ هَجْرِكُمْ قَدْ زِدْتُ حُزْناً عَلَى حُزْنِي

تَجَافَتْ جُفُوني نَوْمَهَا مُذْ هَجَرْتُمُ وَعَذَّبْتُمُوني بِالصُّدُودِ وَجُرْتُمُ
وَلَوْ ذُقْتُمُ مَا ذُقْتُهُ لَعَذَرْتُمُ تَقَضْتُمْ عُهُوداً فِي الْهَوى وَغَدَرْتُمْ

ويقول :

لِقَلْبي أنِينٌ لاَ يَزَالُ مِنَ الْجَوى

لِقَلْبــي أنِــينٌ لاَ يَــزَالُ مِــنَ الْجَــوى وَجَفْنــي قَـرِيحٌ قَـدْ أَضَـرَّ بِـهِ النَّـوى
وَكَـمْ ذَا أُنَـادِي حَـوْلَ كَاظِمَـةِ اللِّـوى لَحَى الله مَنْ يَلْحـى الْمُحِبِّينَ فِي الْهَوى
عَلىَ أَنَّـهُمْ أَهْلُ الْمَكَارِمِ وَالْفَضْلِ

لَقَدْ شَـرِبُوا فِـي الْحُـبِّ أَعْـذَبَ شَـرْبَةٍ وَكَـمْ كَتَمُـوا فِـي الْقَلْـبِ سِـرَّ مَحَبَّـةٍ
وَكَـمْ صَـبَرًوا واكُرْهـاً عَلـى طُـولِ غُرْبَـةٍ لَهُمْ هِمَمٌ نَـالُوا بِهَـا خَيْـرَ رُتْبَـةٍ
وَقَدْ بَلَغُوا وَصْفاً يَجِلُّ عَنِ الْمِثْلِ

جُنُـوبي تَجَافَتْ عَنْ لَذِيذِ الْمَضَـاجِعِ بِهِــمْ وَجُفُــوني قُرِّحَــتْ بِالْمَــدَامِعِ
وَقَـدْ قُطِعَـتْ عَـنْهُمْ حِبَـالُ الْمَطَـامِعِ لِــذِكْرَاهُمُ يَحْلُــو السَّــمَاعُ لِسَــامِعِ
وَفي أَلْسُنِ الْعُشَّاقِ جَنَى النَّحْلِ

لأية حال حلتموا عن مودتي؟

لأيَّــةِ حَــالٍ حُلْتُمُــوا عَــنْ مَــوَدَّتِي وَدُمْتُمْ عَلىَ هَجْرِي مَلاَلاً لِصُحْبَتي

خَبَــأْتُكُمُ فِــي النَّائِبَــاتِ لِشِــدَّتِي لأَنْــتُمْ مُنــى قَلْبِــي وَأَنْــتُمْ أَحِبَّتــي

وَمَا لِفُؤَادِي سَلْوَةٌ عَنْكُمُ أَصْلاَ

عَلِيــلُ هَــوَاكُمْ بَــاتَ يَشْــكُو سِــقَامَهُ إِذَا مَــا دَجــى لَيْــلُ وَأَبْــدى ظَلاَمَــهُ

يُرَاعِــي الثُّرَيَّــا قَــدْ تَجَــافَى مَنَامَــهُ لأَنَّ فُـــؤَادِي يَســـتَلِذُّ حِمَامَـــهُ

فَرِيدُ فَنَا فِي الْحُبِّ يَسْتَعْذِبُ الْقَتْلاَ

بَكى مِنْ ضَنى جِسْمِي طَبيبٌ وَعَائِدُ وَقَـدْ نَقَـصَ السُّـلْوَانُ وَالْوَجْـدُ زَائِـدُ

وَمَالي سِوَى دَمْعِي عَلىَ الْخَدِّ شَاهِدُ لأنَّ دُمُـــوع الْعَاشِـــقِينَ قَلاَئِـــدُ

عَلىَ جِيدِ هَيْفَاءِ الْغَرَامِ بِهَا تُجْلاَ

عَفَـا اللهُ عَنْ ذَاكَ الْحَدِيثِ الَّذِي مَضَـى وَحَيَّـا زَمَانـاً قَـدْ تَصَـرَّمَ وَانْقَضـى

وَلَمَّا نَأَى الأَحْبَابُ ضَـاقَ بِي الْفَضَـا لأَسْتَخْبِرَنَّ الرِّيحَ عَنْ جِيرَةِ الْغَضَـى

أَقَامُوا بِوَادِي الأَيْكِ أَمْ قَطَعُوا الرَّمْلاَ

يُبَلْبِلُنِــي نَــوْحُ الْحَمَــامِ عَلــىَ اللَّــوى سُـحَيْراً فَيَـزْدَادُ التَّحَـرُّقُ وَالْجَـوى

أَحِبَّتُنَــا قَــدْ بَــدَّلُوا الْقُــرْبَ بِــالنَّوى لأَجْلِهِمُ يُسْتَعْذَبُ الْجَوْرُ فِي الْهَوى

وَقَدْ صَارَ عِنْدِي كُلُّ صَعْبٍ بِهِ سَهْلاَ

ذَكَـرْتُ أُوَيْقَـاتِ الْحَبِيـبِ الْمُهَـاجِرِ فَفَاضَتْ دُمُوعِي مِنْ سَحَابِ مَحَاجِرِي

وَبُحْـتُ بِمَـا أَخْفَيْتُـهُ مِـنْ سَـرَائِرِي لأيَّامِنَـــا بِـــالرَّقْمَتَيْنِ وَحَـــاجِرِ

أَحِسُّ بِقَلْبي مِنْ فِرَاقِي لَهُ نَبْلاَ

غَرَامِـــي مُطِيـــعٌ وَالسُّـــلُوُّ مُخَـــالِفُ وَكَـــمْ ذَا أُدَارِي عَـــذِلي وَأُلاَطِـــفُ

وَبَـــرْدُ عِظَـــامِي لِلسَّـــقَامِ مُحَـــالِفُ لأَجْفَـــانِ عَيْنِـــي وَالـــدُّمُوعِ مَوَاقِـــفُ

وَقَدْ شَهَرَ التَّفْرِيقُ مِنْ جَفْنِهِ وَصْلاَ

لَقَـدْ غَيَّـرَ الْهِجْـرَانُ وَالْبُعْـدُ حَـالَتي وَبُدِّلْتُ رُشْدِي فِي الْهَوى بِضَلاَلَتي

أُنَـــادِيهِمْ لَـــوْ يَسْـــمَعُونَ مَقَـــالَتي لأهْلِ الْحِمـى يَـا سَـعْدُ بَلِّـغْ رِسَـالَتي

لَعَلَّهُمُ بِالْقُرْبِ أنْ يَجْمَعُوا الشَّمْلاَ

إلَـى كـم أُعَـانِي عَـاذِلي وَأُعَانِـدُ وَأَكْـــتُمُ وَجْـــدِي فِـــيهِمُ وَأُكَابِـــدُ

وَقدْ لَـحَّ بـي فِي اللَّوْمِ وَاشٍ وَحَاسِدُ لإجْمَـاعِهِمْ مِـنْ دَمْـعِ عَيْنـي مَـوَارِدُ

أَيَا سَائِقَ الأَظْعَانِ مَهْلاً بِهَا مَهْلاَ

زَمَـانُ صِـبَائِي قَـدْ تَـوَلى بِعَزْمِـةِ وَعَـيْشُ مَشِـيبِي قَـدْ أَلَـمَّ بِلِمَّتـي

فَقُلْـتُ لِنَفْسِـي ذَائِـداً عَـنْ مَذَمَّـةِ لأَحْسَـنُ مَـا يُرْجـى لِكُـلِّ مُلِمَّـةِ

مَدِيحُ نَبِيٍّ كَانَ بِالْمَنْظَرِ الأَعْلاَ

نَبـيٌّ هُـدىً حُزْنَـا بِـهِ كُـلَّ نِعْمَـةٍ وَمَـنْ عَلَيْنَـا ذُو الْجَـلاَلِ بِرَحْمَـةٍ

بِـهِ كَـمْ فَهِمْنَـا مِـنْ عُلُـومٍ وَحِكْمَـةٍ لآيَاتِـهِ قَـدْ أَذْعَنَـتْ كُـلُّ أُمَّـةٍ

وَلَمْ تَرَ شِبْهاً قَدْ حَكَاهُ وَلاَ مِثْلاَ

هُـدِينَا بِـهِ لَمَّـا سَـلَكْنَا مَحجَّـةً وَخُضْـنَا بِحَـاراً فِـي رِضَـاهُ وَلُجَّـةً

وَلَـوْلاَهُ مَـا اشْـتَقْنَا طَوَافـاً وَحَجَّـةً لإسْـرَاهُ لَـيْلاً أَشْـرَقَ الْكَـونُ بَهْجَـةً

فَأَخْبَارُهُ تُرْوى وَآيَاتُهُ تُتْلاَ

لَقَدْ خَصَّهُ الرَّحْمنُ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ وَأمْطَرَهُ مِنْ جُودِ فَائِضِ فَضْلِهِ

وَأوْجَدَ كُلَّ الْكَائِنَاتِ لأجْلِهِ لأحْمَدَ جَاهٌ كُلُّنَا تَحْتَ ظِلِّهِ

وَمَنْ خَافَ حَرًّا مُحْرِقاً طلب الظِّلاَّ

لآيَاتِهِ فِي كُلِّ نَادٍ تَلاَوَةٌ وَفِي كُلِّ لَوْنٍ رَوْنَقٌ وَجَلاَوَةٌ

وَقَدْ حَمَلتْ مَنْ حَادَ عَنْهَا شَقَاوَةٌ لأَوْصَافِهِ فِي كُلِّ سَمْعٍ حَلاَوَةٌ

فَلِلهِ مِنْ ذِكْرٍ شَهِيٍّ فَمَا أَحْلاَ

رَسُولٌ إلَى كُلِّ الْبَرِيَّةِ مُرْتَضَى عَسَاكِرُهُ مَنْصُورَةٌ تَمْلأُ الْفَضَا

فَكَانَ عَلَىَ حُبِّ الثَّوَابِ مُحَرِّضَا لأَهْلِ النُّهى مِنْهُ الْبِشَارَةُ وَالرِّضَا

وَمَنْ كَانَ يَرْجُو الْبَعْضَ قَدْ أَحْرَزَ الْكُلاَّ

تَجَاوَزَ عَنْ جَانٍ وَعَنْ مُخْطِئٍ عَفَا وَإنْ قَالَ قَوْلاَ زَانَهُ الصِّدْقُ وَالْوَفَا

لَقَدْ عَزَّهُ رَبُّ الْعِبَادِ وَشَرَّفَا لأُقْسِمُ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَبِالصَّفَا

وَزَمْزَمَ وَالرُّكْنِ الْمُقَبَّلِ وَالْمَعْلاَ

لَهُ تَشْهَدُ الآيَاتُ فِي كُلِّ سُورَةٍ بِمَا خَصَّهُ الْمَولى بِمَعْنًى وَصُورَةٍ

وَإنْ عَاقَني عَنْهُ الْقَضَا لِضَرُورَةٍ لأَبْتَهِلَنَّ الآنَ فِي قَصْدِ زَوْرَةٍ

لِخَيْرِ نَبِيٍّ قَدْ حَوَى الْفَرْعَ وَالأَصْلاَ

مَشَارِقُنَا تَزْهُو بِهِ وَالْمَغَارِبُ وَلَوْلاَهُ مَا انْسَاقَتْ لِحَادٍ رَكَائِبُ

وَلَمْ يَسْرِ مُسْنَخْفٍ وَلاَ سَارَ سَارِبُ لأصْحَابِ خَيْرِ الْخَلْقِ بَاتَ مُرَاكِبُ

كما أنه جاز الجلالة والعقلا

أمثالـــــــه الْفِجَـــــاجِ وَسُـــــبْلِهَا وَسُـحْبُ سَمَاءِ الْجُـودِ سَحَّتْ بِوَبْلِهَـا

لَـهُ عِتْـرَةٌ تَسْـمُو وَتَزْهُـو بِفَضْـلِهَا لأنَّهُـــمُ خَيْـــرُ الْبَرِيَّـــةِ كُلَّهَـــا

وَهُمْ أَهْلُ مَنْ سَادَ النَّبِيِّينَ وَالرُّسْلاَ

لَقَـدْ سُـعِدُوا فِـي مَـوْتِهِمْ وَحَيَـاتِهِمْ وَقَـدْ شَـهِدَ الْبَـارِي بِصِـدْقِ رُوَاتِهِـمْ

دِمَـــاءُ أَعَـــادِيهِمْ شَـــرَابُ ظُبَـــاتِهِمْ لأَثْـوَابُ مَـدْحِ جُـدِّدَتْ فِـي صِـفَاتِهِمْ

لأَنَّ حَدِيثِي لَمْ يَكُنْ عَنْهُمُ مولاَ

عبد الغني النابلسي

عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي شاعر سوري وعالم بالدين والأدب مكثر من التصنيف.

ولد ونشأ وتصوف في دمشق وتنقل في بلاد عديدة كالحجاز ومصر وفلسطين وباقي البلاد السورية واستقر في مدينته دمشق وتوفي فيها.

من مؤلفاته:

ديوان الدواوين وهو مجموعة شعره.

من شعره :

لي في الإله عقيدة غراء

لـــي فـــي الإلـــه عقيـــدة غـــراء هـي والـذي هـو فـي الوجـود سـواء

نـــور علـــى نـــور فهـــذا عنـــدنا أرض وعنـــــد الله ذاك ســـــماء

يا قلب قلبي أنت جسم الجسم لي ومـــن الصـــفات تأتـــت الأســـماء

قـد جـاء نـوري منـك عنـك مبلغـا بـك لـي فكـان بـأمرك الإصـغاء

وتتابعـت بشـرى الهواتـف بالـذي يعنـــو لـــه الإلهـــام والإيحـــاء

بـي نشـأتان طفقـت أسـرح فيهمـا لـي هـذه صـبح وتلـك مسـاء

أبـدا أنـا نـور أضـيء وظلمـة وأنـا تـراب فـي الوجـود ومـاء

وسـمائي انشـقت وشمسـي كـورت ونجـومي انكـدرت فـزال ضـياء

وقيـامتي قامـت وإنـي هكـذا طبـق الـذي وردت بـه الأنبـاء

لـــي ســاعد فيمــا أروم مســاعد ويـــد أصـــابع كفهـــا الجـــوزاء

وفــم يحــدث بالمثــاني الغــض لا زالـــت تجـــول بغيثـــه الأنـــواء

يــا نحــل قــد أوحــى إليــك إلهنــا ومـــن الجبـــال بيوتـــك الأفيـــاء

فكلـي مـن الثمـرات طـرا واسـلكي سـبل السـعادة لا اعتـراك شـقاء

ومن البطـون إلـى الظهـور شرابها للنـــاس فيـــه لـــذة وشـــفاء

هــذا الــذي فيــه منادمــة المنــى ووجــود مــن قامــت بــه الأشــياء

والحــق لــيس لنــا إليــه إشــارة نحـــن الإشـــارة منـــه والإيمـــاء

ويقول:

وجه تعدد في المرائي

وجـــه تعـــدد فـــي المرائـــي وبـــه تحيـــر كـــل رائـــي

والكائنـــــــات بـــــــأمره مـــوج علـــى صـــفحات مـــاء

والأمــــر أمــــر واحـــــد فيـــه التقـــارب والتنـــائي

إن العـــــوالم كلهـــــا بظهورهـــــا والاختفـــــاء

فـــي ســـرعة وتقلـــب مثـــل الكتابـــة فـــي الهـــواء

قـــد خطهـــا القلـــم الـــذي هـــو بـــاب ديـــوان العطـــاء

بمـــداد أنـــوار الوجـــود الحـــق مـــن يـــد ذي العـــلا

قلـــم لــــه عـــدد الـــورى أســــنان رقـــم وانتشــــاء
صـــبغ الإرادة طبـــق مـــا فـــي الأرض يظهـــر والســـماء
يـــا باطنـــا هـــو ظـــاهر فـــي كـــل خـــتم وابتـــداء
إنـــــي وإنـــــك واحـــــد واثنـــان عنـــد الانثنـــاء
مـــن لـــي بمجهـــول العـــدا عرفتـــــه كـــل الأوليـــاء
إن غـــاب عـــن أغيارنـــا هـــو عنـــدنا مـــلء الإنـــاء
يشـــقي ويســـعد مـــن يشـــا بالـــداء جـــاء وبالـــدواء
هـــو بـــالتكبر فـــي الشـــعار وبالتعـــاظم فـــي الـــرداء
وهـــو الجلـــيس بـــذكره للعـــــارفين وبالثنـــــاء
غنـــى بمـــن غنـــى وقـــد طبنـــا بـــه لا بالغنـــاء
وبـــدا بكـــل مهفهـــف زاكـــي المـــلاح والبهـــاء
وبـــه القلـــوب تهيمـــت لا بالموشـــح فـــي القبـــاء
قمـــر محـــا ظلماتنـــا بطلوعـــه وقـــت اللقـــاء
حتـــى رأينـــاه بـــه فـــي كـــل أنـــواع الضـــياء
شـــمس وكـــل الخلـــق فـــي أنوارهـــا مثـــل الهبـــاء
طلعـــت فأعـــدمت الســـوى والكـــون آل إلـــى الفنـــاء
حتـــى تجلـــى فـــي غمـــائم باطـــل غيـــب العمـــاء
والكشـــف جـــاء بعســـكر والكـــون خفـــاق اللـــواء
والطبـــل أجســـام المـــلا والزمـــر أرواح الفضـــاء

تفاخر الماء والهواء

تفاخر الماء والهواء ... وقد بدا منهما ادعاء

لسان حال وليس نطق ... ولا حروف ولا هجاء

فابتدأ الماء بافتخار ... وقال إني بي ارتواء

وبي حيا لكل حي ... أيضا وبي يحصل النماء

وكان عرش الإله قدما ... علي يبدو له ارتقاء

وطهر ميت أنا وحي ... لولاي لم يطهر الوعاء

ولا وضوء ولا اغتسال ... إلا وبي ما له خفاء

وبالهواء اشتعال نار ... ضرت وللنار بي انطفاء

وأحمل الناس في بحار ... كأنني الأرض والسماء

وعند فقري ينوب عني ... في الطهر ترب به اعتناء

وأهلك الله قوم نوح ... لما طغوا بي لهم شقاء

وليس لي صورة ولون ... لوني كما لون الإناء

وقال عني الإله رجس الشيطان ... بي ذاهب هباء

والخلق يرجونني إذا ما ... مسكت عنهم لهم دعاء

والأرض تهتز بي وتربو ... فيخرج النبت والدواء

فقام يعلو الهواء جهرا ... وقال إني أنا الهواء

فــــإن أنفـــاس كـــــل حــــي تكـــون بـــي للحيـــاة جـــاؤوا
وإننـــــي حامـــــل الأراضـــــي والمـــاء فيهـــا لـــــه اســـتواء
وأهلـــــك الله قـــــوم عـــــاد بشــــدتي مـــا لهـــم بقـــاء
أروح القلــــــب بانتشـــــاق فيحصـــل الطيـــب والشـــفاء
وأدفـع الخبـث حيـث هـب النسيم يصـــفو بـــي الفضـــاء
ومـــا لحـــي مـــن البرايـــا عنـــي مـــدى عمـــره غنـــاء
والنطــق بــي لــم يكــن بغيــري والصـوت فـي الخلـق والنـداء
ولــــيس كـــل الكـــلام إلا حروفـــه بـــي لهـــا انتشـــاء
وبـــي كـــلام الإلـــه يتلـــى فيهتـــدي مـــن لـــه اهتـــداء
وكـــل معنـــى لكـــل لفـــظ فإنـــه بـــي لـــه اقتضـــاء
لـــولاي مـــا بـــان علـــم حـــق وعلـــم خلـــق والأنبيـــاء
ولا يكــــون اســــتماع إذن إلا وبـــي النـــوح والغنـــاء
وحاصــــل الأمـــر أن كـــلا مـــن ذا وذا للـــردى انـــدراء
ومـــا لــــذا فضـــل علـــى ذا ولا لـــذا بـــل همـــا ســـواء
وكـــل مـــاء لـــه مزايـــا يكـــون فيهـــا لنـــا الهنـــاء
ولا هـــــــوا إلا وفيــــــه نفـــع كمـــا ربنـــا يشـــاء
وآدم كــــان أصـــــله مـــــن طـــين وأضـــحى لـــه اصـــطفاء
والمـــارج النـــار مـــع هـــواء ســـــموم ريـــــح وذاك داء

ومنـــــه إبلـــيس كـــان خلقـــا ... لـــــــه افتخـــــار وكبريــــــاء

فكيـــف يعلـــو الهـــواء يومـــا ... والمــــاء فينـــا لـــــه العـــلاء

بـــه الطهـــارات والـــذي لـــم ... يجـــــده تـــــرب بــــه اكتفـــاء

والنـــار فيهـــا العـــذاب حتـــى ... لكـــــل شـــــيء بهــــا فنـــاء

وإنمـــا نورهـــا اشـــتعال الهـــواء ... فيهـــــــا لـــــــــه ضــــــياء

والتـــرب فيـــه الجســـوم تبلـــى ... فيظهـــــر الـــــذم والثنــــــاء

وعـــــز ربــــي وجـــل عمـــا ... نقــــول أن يلحـــق الخطـــاء

بخلقـــــــه ربنـــــــا علـــــيم ... والعلـــــم عنـــا لـــــه انتقـــاء

والفضـــل منـــه يكـــون لا مـــن ... ســـــواه حقـــا ولا امتـــــراء

الهبل الشاعر

هو حسن بن علي بن جابر الهبل اليمني.

شاعر عفيف، في شعره جودة ورقة يسمى أمير شعراء اليمن.

من أهل صنعاء ولادة ووفاة ، أصله من قرية بني هبل.

من شعره :

من ذا إلى عدله أنهي شكاياتي

مـن ذا إلــى عدلــه أنهــي شـكاياتي	سـواك يـا رافـع السـبع السـموات
مـن ذا أرجيــه أم مـن ذا أؤملـه	لمـا أتـاني مـن البلـوى ومـا يـأتي
مـن ذا ألـوذ بــه فيمـا ألـم ومـن	أدعوه إن قل صبري في مضراتي
مولاي عاداتك اللاتي عرفت بها الغفران	مهمـــا غـــدا العصـــيان عـــاداتي
وعفوك الجم يا مولاي أوسع مم ا	ضـاق عنـه احتمـالي مـن خطيئـاتي
كم نعمـة لـك عنـدي لا أطيـق لهـا	شكرا ولو أنني استغرقت ساعاتي
ومعضـل فـادح قـد كـاد يغرقنـي	فـي بحـر هلك فكانت منك منجاتي
أحسـنت يـا رب تقـويمي بتسـوية	مكمـــــــلا أدوات لـــــــي وآلات
حفظتنــي رب إذ لا خلـق يحفظنــي	بـرا وقـدرت أقـواتي وأوقـاتي
ولـم تـزل عـين بـر منـك تلحظنــي	فما خلت من صنيع منك حالاتي
أشـكو إليـك أمـورا أنــت تعلمهــا	فأنـت يـا رب عـلام الخفيـات

لـو كـان غيـرك يكفينـي عظائمهـا   أنبأتـه مـا بقلبـي مـن خبيـات

هيهات مـالي عند الخلق من فرج   فأنـت أنـت الـذي أرجـو لحاجـاتي

ويقول :

هي الدنيا وأنت بها خبير

هـي الـدنيا وأنـت بهـا خبيـر   فكـم هـذا التجـافي والغـرور

تـدلي أهلهـا بحبـال غـدر   فكـل فـي حبائلهـا أسـير

إلـى كـم أنـت مـرتكن إليهـا   تلـذ لـك المنـازل والقصـور

وتضـحك مـلء فيك ولسـت تـدري   بمـا يـأتي بـه اليـوم العسـير

وتصـبح لاهيـا فـي خفـض عـيش   تحـف بـك الأمـاني والسـرور

وعمـرك كـل يـوم فـي انتقـاص   تسـير بـه الليـالي والشـهور

وأنـت علـى شـفا النيـران إن لـم   يغثـك بعفـوه الـرب الغفـور

تنبـه ويـك مـن سـنة التجـافي   ولا تغفـل فقـد جـاء النـذير

وشـمر للترحـل باجتهـاد   فقـد أزف الترحـل والمسـير

وخـذ حصـنا مـن التقـوى ليـوم   يقـل بـه المـدافع والنصـير

ولا تغتر بالدنيا وحاذر   فقد أودى بها بشر كثير
فكم سارت عليها من ملوك   كأنهمو عليها لم يسيروا
وكم شادوا قصورا عاليات   فهل وسعتهم إلا القبور
فهل يغتر بالدنيا لبيب   وهل يصبو إلى الدنيا بصير
رويدك رب جبار عنيد   له قلب غداة غد كسير
ومفتقر له جاه صغير   وقدر عند خالقه كبير
ورب مؤمل أملا طويلا   تخرم دونه العمر القصير
فلوا أسفا وهل يشفي غليلي   وينقع غلتي الدمع الغزير
ومن لي بالدموع ولي فؤاد   تلين ولم يلن قط الصخور
وكم خلف الستور جنيت ذنبا   ورب العرش مطلع خبير
وما تغني الستور وليس يخفى   عليه ما تواريه الستور
إلام والاغترار بمن إليه   لعمري كل كائنة تصير
ومالي لا أخاف عذاب يوم   تضيق به الحناجر والصدور
وأترك كل ذنب خوف نار   بخالقها أعوذ وأستجير
ولي فيه تعالى حسن ظن   وذنبي عند رحمته يسير
تعالي عن عظيم الشكر قدرا   فما مقدار ما يثني الشكور
وقدس عن وزير أو معين   فلا وزر لديه ولا وزير
إله الخلق عفوا أنت أدرى   بما أبدي وما يخفي الضمير

عصيت وتبت من ذنبي وإني إلى الغفران محتاج فقير

فإن تغفر ففضلا أو تعاقب فعدلا أيها العدل القدير

وحسن الظن فيك يدل أني إلى إحسانك الضافي أصير

وصل على شفيع الخلق طرا إذا ما الخلق ضمهم النشور

وعترته الهداة الغر حقا جميعا ما تعاقبت الدهور

ويقول :

أضعت العمر في إصلاح حالك

أضعت العمر في إصلاح حالك وما فكرت ويحك في مآلك

أراك أمنت أحداث الليالي وقد صمدت لغدرك واغتيالك

وملت لزخرف الدنيا غرورا وقد جاءت تسير إلى قتالك

وكم أتعبت بالآمال قلبا تحمل ما يزيد على احتمالك

ولم يكن الذي أملت فيها بأسرع من زوالك وانتقالك

فعش فيها خميص البطن واعمل ليوم فيه تذهل عن عيالك

تجيء إليه منقادا ذليلا ولا تدري يمينك من شمالك

إليها في شبابك ملت جهلا فهلا ملت عنها في اكتهالك

فمهلا فهي عند الله أدنى وأهون من تراب في نعالك

وإن جاءتك خاطبة فأعرض وقل مهلا فما أنا من رجالك

إلـــــي تـــــزينين لتخـــــدعيني فمــا أبصــرت أقــبح مــن جمالــك

أمــا لــو كنــت فــي الرمضــاء ظــلا إذا مـــا ملـــت قـــط إلـــى ظلالـــك

صــلي مــا شــئت هجرانـــي فـــإني رضـيت الـدهر هجـرا مـن وصـالك

فلـــيس النبـــل مـــن ثعـــل إذا مـــا رمــت يومــا بأصــمى مــن نبالــك

حرامـــك للـــورى فيـــه عقـــاب عليــه والحســاب علــى حلالــك

وكـــن منهـــا علـــى حـــذر وإلا هلكـــت فإنهـــا أصـــل المهالـــك

فمــن قــد كــان قبلــك مــن بنيهــا زوالهـــم يـــدل علـــى زوالـــك

وكــم شـــادوا الممالـــك والمبـــاني فـــأين تـــرى المبـــاني والممالـــك؟

وأنـــت إذا عقلـــت علـــى ارتحـــال فخــد فــي جمــع زادك لارتحالــك

ودع طـــرق الضـــلال لمبتغيهـــا فطـــرق الحـــق بينـــة المســـالك

إلام وفـــيم ويحـــك ذا التصـــابي وكــم هــذا التغــابي فــي ضــلالك

تنبـــه إن عمـــرك قـــد تقضـــى فعــد وعــد نفســك فــي الهوالــك

وعاتبهـــا علـــى التفـــريط وانظـــر لأي طريقـــة أصـــبحت ســـالك

وقــل لــي مــا الــذي يــوم التنــادي تجيـب بـه المهـيمن عـن سـؤالك

ومـــاذا أنـــت قائلـــه اعتـــذارا إذا نشــروا كتابــك عــن فعالــك

فخـف مـولاك فـي الخلـوات وأجـأر إليـــــه بانتحابـــــك وابتهالـــــك

وراقــب أمــره فــي كــل حــال يفــرج فــي القيامــة ضــيق حالــك

ولا تجــنح إلــى العصــيان تــدفع إلـــى ليـــل مـــن الأحـــزان حالـــك

وإن أمــرا بليــت بــه فصــبرا لعــل الله يحــدث بعــد ذلــك

فــرب مصــيبة مــرت ومــرت عليـك كـأن مـا مـرت ببالـك

وكــم قــد ثقفــت منــك الرزايــا وأحكمــت الليــالي مــن صــقالك

أأطيعُ العذولَ في السلوانِ ؟

أأطيـــعُ العـــذولَ فـــي الســـلوانِ؟ لا ؛ ومـــن قـــد أضـــلهُ وهـــداني

يا عذولي في الحبّ دعني ؛ فإني فيـــه راضٍ بـــذلتي وهـــواني

وبروحـــي الـــذي تركـــت منـــامي فيـــه وقفـــاً لطرفـــهِ الوســـنانِ.

غير نكرٍ ؛ إن فاضَ شاني بالدمع علـــى حبـــهِ ؛ فـــدعني وشـــان

كلمـــا زاد عـــنْ وصـــالي بعـــداً زدتُ فيـــهِ بعـــداً عـــنِ الســـلوانِ

ورداحٍ خـــودٍ إلـــى الله أشـــكو جـــورَ ألحاظهـــا وجورزمـــاني

كلمـــا قلـــتُ ســـوف يجـــنحُ للسـلم أتـــى صـــرفه بحـــرب عـــوانِ

كـــم أرومُ اكتســـابَ مجـــدٍ رفيـــعٍ ؛ وصـــروفُ الزمـــان تثنـــي عنـــاني

وأرجـــي ابتنـــاء بيـــت فخـــارٍ ؛ وهـــو مغـــرى بهـــدم مـــا أنـــا بـــاني

كيـــفَ صـــبري علـــى هـــوانٍ ؛ ومن دون مرامي وهمتي الفرقدان

متْ كريماً ؛ فالموتُ أجدرُ بـالأحرارِ مـــن عـــيشِ ذلـــةٍ وهـــوانِ

ودعِ الحـــرص ويـــك واســـتغنِ بـاللهِ تعالى عن كلّ قاصٍ وداني ؛

وتغـربْ ففـي التغـرب مـا شئتَ مـن العـزّ مـعْ بلـوغ الأمـاني ؛

فـأرى البـيض لـيس تقطـع حتـى تتنـــاءى يومـــاً عـــن الأجفـــانِ

وحســـودٍ يـــروم نيـــل مكـــاني فـي المعـالي ؛ وأيـنَ أيـنَ مكـاني

لا يرانــي إلاّ بمقلتــه الحوصــا ؛ ومــــنْ لــــي بأنــــه لا يرانــــي

أيّ عــارٍ علــى الشـموس إذا مــا خفيـــتْ عــن نــواظرِ العميـــان

المصادر ومراجع

- ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر، مصادر تأريخ مصر الإسلامية ،المعهد الألماني للآثار الإسلامية، القاهرة ١٩٧١.
- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.
- بكري شيخ أمين ، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني :، دار الآفاق ، بيروت لبنان ، ط١ ١٩٧٩م .
- جمال الدين الشيال تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦.
- حمدي السعداوي، المماليك، المركز العربي للنشر، معروف أخوان للنشر والتوزيع، الإسكندرية.
- شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، القاهرة ١٩٨٥م.
- قاسم عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك - التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٧م.
- لطفي أحمد نصار : وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.
- المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.
- الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك ١٩٧٢م.
- جلال الدين السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج١.
- خير الدين الزريكلي : الأعلام ، المجلد الرابع.
- د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ، مصر.

- د. محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين.
- د. محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ، المجلد السابع.
- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين ألسبكي ج٦، ص٢-٣.
- (الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد) للإمام الإدفوي.
- ديوان ابن سناء الملك ، تحقيق محمد إبراهيم نصر في القاهرة سنة ١٩٦٩م .
- دار الطراز في عمل الموشحات ، ابن سناء الملك ، تحقيق جودت الركابي في بيروت سنة ١٩٤٩م .
- أ.د. محمد سهيل طقّوش: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة: صفحة ٣٢٩-٣٣٥.
- المصور في التاريخ، الجزء السادس. تأليف: شفيق جحا، منير البعلبكي، بهيج عثمان، دار العلم للملايين، صفحة ١١٦.
- تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تأليف: الأستاذ محمد فريد بك المحامي، تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، الطبعة العاشرة: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.